

اتهامات الحبشي لأبن تميمة

وقد نسب الحبشي إلى ابن تميمة جملة من الإفتراءات واتهامه باتهامات شتى لم يحل فيها إلى كتاب من كتب ابن تميمة وننتظر منه ذلك ، وربما أحال إلى بعض النصوص التي يحملها ما لا تحتمل ، أو يوردها مقطوعة مبتورة على طريقة لصوص النصوص .
وشهادة الحبشي وأتباعه مردودة قوله ^٤ " لا تقبل شهادة خائن ، ولا خائنة ، ولا ذي غمر على أخيه المسلم " ^(١)

وذو الغمر : ذو الحقد ، والحد المذهبى أعمى ترد به شهادتهم في حق ابن تميمة ، فاجتمعوا فيهم الصفتان في الحديث : الخيانة المعروفة عنهم ، والحد المذهبى الذي امتازوا به.

وهذه الألسن التي تعن هي نفس الألسن التي تمد الظالمين وتدخلهم على حسابها إلى بيت الإسلام

فمن أثني على هؤلاء فلا يؤخذ بشهادته في أولئك .

وهذه الألسن التي تعن في سلف الأمة كمعاوية ومواقفه من الأصحاب . وليس ابن تميمة بأفضل عند أهل السنة من معاوية والعلم عند الله .

ولا يدرى هؤلاء أنهم بطنهم بابن تميمة إنما يطعنون بأنفسهم وجرحهم له تجريح لأنفسهم ولكنهم لا يفقهون .

في يوم أن طعن ابن معين في الشافعى قائلاً " ليس بثقة " قال الذهبي " فقد آذى ابن معين نفسه بذلك ، ولم يلتفت أحد إلى كلامه في الشافعى ولا إلى كلامه في جماعة من الآثار . كما لم يلتفتوا إلى توثيقه بعض الناس "

وإليكم مجموعة الإفتراءات التي اختلفوا .

*زعم أن بن تميمة يشبه الله بخلقه . مع ان نقل عن السبكي أن كلامه يقتضي تشبيه الله بخلقه ^(٢) ، ومعه أن طريقة غلاة التنزية : " التأويل " وإثبات الصفات من غير تأويل لها يقتضي التشبيه عندهم ، مع لازم المذهب ليس بمذهب . فهل صرخ ابن تميمة بالتشبيه أم قال ما يقتضي ذلك عند الحبشي؟!

هكذا تتقى الأمانة العلمية عند أهل البدع .

﴿ وَزَعَمَ أَنَّهُ قَالَ : أَنَّ النَّبِيَّ ﴿٤﴾ لَيْسَ لَهُ جَاهٌ ^(٣) . اكتفى بذلك من غير أن يحيل إلى شيء من كتب ابن تميمة . ويأبى الله إلا أن يكشف كذب الحبشي ، فقد قال ابن تميمة " وقد اتفق المسلمين على أنه ^٤ أعظم الخلق جاءها عند الله ولا شفاعة أعظم من شفاعته " قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة 7 "

﴿ وَزَعَمَ أَنَّهُ قَالَ " لَا مَانِعَ أَنْ يَكُونَ نَوْعُ الْعَالَمِ غَيْرَ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ ^(٤) وَأَنَّهُ كَذَابٌ أَفَاكٌ لَدُعْوَاهُ أَنَّ السَّلْفَ قَالُوا " إِنَّ اللَّهَ يَنْزَلُ وَلَا يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ " ^(٥) مَعَ أَنَّ الْقَاضِيَ أَبَا يَعْلَى ذَكْرَ السَّلْفِ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ : أَوْلَاهَا أَنَّ نَزْولَهُ بِحَرْكَةٍ وَانْتِقَالٍ وَهُوَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ وَحَرْبٍ

^(١) رواه أبو داود وأبي مجاه بسند قواه الحافظ في التلخيص 198/4

^(٢) المقالات السننية 15 .

^(٣) المقالات السننية في كشف ضلالات ابن تميمية 16 و 76 .

^(٤) المقالات السننية 160 .

^(٥) المقالات السننية 24 .

الكرماني والدرامي وابن راهوية وسعيد بن منصور ، والثاني أنه بغير حركة وانتقال وهو قول أبي الحسن التيمي والثالث وهو لا يخلو منه العرش : قول ابن بطه وغيره .

﴿ وزعم أن ابن تميمة قال " إن الله مركب مفتقر إلى ذاته افتقار الكل إلى الجزء " (6) وأنه " بقدر العرش لا أكبر منه ولا أصغر منه .

﴿ وأنه وأتباعه يكفرون (7) المتواسلين بالرسول صلعم .

﴿ وأنه جعل زيارة الأنبياء والصالحين بدعة بل معصية بالإجماع (8)

﴿ وأنه نقض إجماع المسلمين فقال إن نار جهنم تبني (9)

ولكن لماذا لم يحل الحبشي إلى شيء من كتبه ؟ الجواب ببساطة لأنه لا يوجد شيء مما يزعم .

﴿ وزعم تلميذه " نزار حلي " أن " ابن تميمة رأس التطرف في القرن الثامن الهجري حيث كفر كل المسلمين باختلاف مذاهبهم ومشاربهم " (10) ونسى أن يحيلنا إلى الكتاب الذي قال فيه ذلك .

عصبية ابن الهيثمي

وبسبقه إلى هذه الاتهامات أحmd المكي الهيثمي عفا الله عنه حيث رمي ابن تميمه بالعظائم والمفتريات وزعم أنه عبد أصله الله 0000 إلخ " وهذا مادعا الألوسي رحمة الله إلى أن يكتب كتاباً بعنوان " جلاء العينين في محاكمة الأحمديين " قارن فيها بين إدعاءات الهيثمي ظلماً وطالبه بالدليل عليها من كتب ابن تميمه ، ثم ختم كتابه بيقوله " قد ظهر لك جميع ما تقدم أن الشيخ ابن حجر الهيثمي نسب إلى شيخ الإسلام من الأقوال التي لا أصل لها ولا سند في نقلها " (11) بل يظهر لك تعصبه رحمة الله حين صب جام سخطه على شيخ الإسلام زاعماً أنه ارتكب العظائم .

ولعلك تسأل ما هي هذه العظائم : يقول الهيثمي " فإنه وقع في حق الله تعالى ونسب إليه العظائم كقوله إن الله تعالى وجهه ويداً ورجلأً وعيناً وغيرها ذلك من القبائح الشنيعة . (12) ولا يخفاك أيها المنصف أن هذه التي يصفها الهيثمي بالعظائم والقبائح ليست من اختلاق ابن تميمه بل هي مما وصف الله به نفسه ورسوله ﷺ كقوله تعالى لأبلليس " ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي " وقول النبي ﷺ أن الله " كتب التوارة بيده " و قوله عن الدجال " إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور " وأن جهنم " لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها رجله " قمه " فتقول فقط .

الهيثمي والباقلاني يرجحان إيمان فرعون.

(6) المقالات السننية 76 .

(7) المقالات السننية 26 .

(8) المقالات السننية 73 .

(9) المقالات السننية 57 و 76 .

(10) المقالات السننية مجلة منار الهدى 29 / 5 .

(11) جلاء العينين في محاكمة الأحمديين 526 ز

(12) حاشية ابن حجر الهيثمي على شرح الأياضاح ص 489 نقلًا عن المقالات السننية للحبشي ص 94 .

وموقفه الشديد من ابن تيميه يقابله لين ورقه تجاه أهل الكفر . فلقد عاتب الهيتمي ابن عربي عتاباً رقيقاً لأعتقد هذا الأخير بإيمان فرعون قائلاً⁽¹³⁾ " فنحن وإن كنا نعتقد بجالة ابن عربي قوله بإيمان فرعون مردود " وكان حرياً به أن يغلوظ له القول .

ولكن وكما يقول الشاعر :
فرصاص من أجبيته ذهبأ كما

ذهب الذي لم ترض عنه رصاص .

فإن هذا القول من مستشعات الصوفية أخدوه عن أئمة الزنادقة كابن عربي وزينة الشيطان لهم فبرؤوا به ساحة فرعون .

بل قد نقل الزبيدي عن ابن حجر المكي الهيتمي أن ظاهر الآية يفيد وجود إيمان فرعون . ونقل الباقلاني قوة دليل من استدل بالآية على إيمان فرعون .

الزبيدي والقاري يثبتان قول ابن عربي بإيمان فرعون⁽¹⁴⁾ .

قال المرتضى الزبيدي " ومن قال بإيمانه - أي فرعون - الشيخ محبي الدين بن عربي في موضع من قتوحاته وفصوحته : لا يستربط مطالعها أنه كلامه وأنه غير مدسوس عليه " وقد رد على الشيخ عبد الوهاب الشعراوي زعمه أن هذا الكلام مدسوس على ابن عربي المقرى صاحب الأرشاد والحافظ بن حجر وتلميذه البقاعي ومن المتأخرین ملا على لقارئ من الحنفية والذي يصف ابن عربي بأنه زنديق منافق إمام الاتحدادية⁽¹⁵⁾ وكتب رسالة بعنوان " فرعون من القول بإيمان فرعون " وقال في شرح الفقيه الأكبر " وفيه رد على بن عربي ومن تبعه كالجلال الدواني ، وقد ألقت رسالة مستقلة في تحقيق هذه المسألة "⁽¹⁶⁾ وهي عن العلامة ابن نور الدين أنه صنف مجلداً كاملاً في الرد على ابن عربي "⁽¹⁷⁾

واعترف السرهدني النقشبendi أن ابن عربي أول من صرخ بالتوحيد الوجودي وبوب مسألة الوجود وفصلها وقال إن خاتم النبوة يأخذ بعض العلوم والمعارف عن خاتم الولاية وأراد بخاتم الولاية نفسه⁽¹⁸⁾ . أي أن مهداً^ع يأخذ العلم من ابن عربي .

وممن ذهب إلى تأييد كلامه في وحدة الوجود شراح الفصوص الجندي والكاذروني والقيصري والجامي وعلى المهايمي والجلال الدواني وعبد الله الرومي وللكاذروني كتاب بالفارسية سماه " الجائب الغربي " رد فيه على من اعترض على الشيخ ابن عربي منها هذه المسألة "⁽¹⁹⁾ وقد عرض بعض الصوفية على يهودي بعد أن أسلم " أن يوافقهم باعتقاد بإيمان فرعون فصرخ قائلاً : قد كنت بكافر حين كنت يهودياً أتفاقول بعد ان أسلمت .

وقد جعله النبي^ع أنموذج الكفر وقودة الجبارة والطغاة ، فلما مات أبو جهل جعل^ع يشير إلى جثته ويقول " هذا فرعون هذه الأمة " فكيف يشبه النبي^ع أبو جهل برجل مؤمن "؟!"
ولوكان أبو تيميه هو القائل بإيمان فرعون لتوقعنا حينئذ من الهيتمي أن يقول " وهذا من ابن تيميه كفر ، فإن القرآن والسنة يشهدان بکفر فرعون ، وكل من شك في كفره فهو کافر ، لأن من لم يکفر کافراً فقد کفر " . ولكن لتحيزة لأبن عربي وتعصبه له لا يقول بمثل ذلك لأنه من الاولیاء عنده ، ونعود بالله من التعصب المقيت .

ولانسى أن الهيتمي من أهل الغلو الصوفية القائلين بازلية نور النبي^ع وزعموا أن الله أخذ قبضة من نوره قبل أن يخلق الخلق وقال لها كوني مهداً ، وقد حكي عنه الحبشي هذا الاعتقاد في النبي^ع⁽²⁰⁾

⁽¹³⁾ الزواجر 33/1

⁽¹⁴⁾ إتحاف السادة المتلقين 2/246.

⁽¹⁵⁾ الرد على القائلين بوحدة الوجود " 56 و 60 وأنظر 64 تحقيق على رضا ط : دارالمأمون للتراث دمشق .

⁽¹⁶⁾ الفقه الأکبر 25 وقال مثله في كتابه " الرد على القائلين بوحدة الوجود " ص 32 و 37 .

⁽¹⁷⁾ الرد على القائلين بوحدة الوجود 37 .

⁽¹⁸⁾ مكتوبات الإمام الرباني 287 .

⁽¹⁹⁾ اتحاف السادة المتلقين 2/246/2

لكنه لم يلزمه بالقول بقدم شئ مع الله مع ان العقيدة الحبشية أن من الكفر " قول أن محمد خلق من نور (21) "

وكان يميل بعنصبيه إلى قل من زعم أن الله أحيا أبويا النبي ﷺ حتى أسلما . (22) ومعتمده في ذلك الاحاديث الضعيفة المخالفة للصحيحه مثل ثول النبي ﷺ " إستاذت ربى ان استغفر لأمي فلم يأذن لي " (23) قوله لرجل " إن أبي وأباك في النار " (24)

فموقفه المؤيد لأن بن عربي الاتحادي وغلوه في النبي حتى جعل نوره أزلياً . ووافق من زعموا أن القول بـ كفر أبيه قوله أدب في حقة ﷺ كل هذا يلحقه بالغلاة الذين لا يؤخذ منهم جرح ولا تعديل ولا يجوز تقديم تجريحهم على تعديل العدول لأن بن تيميه كالعسقاني والذهبى والحافظ المزى وابن كثير والزمكاني والسيوطي رحمهم الله .

موقفه من ابن عربي دليل على الظلم

و قبل الدخول في تفاصيل الرد على هذه الاقتراءات الجائرة أود لفت نظر القارئ إلى أن الحبشي وجماعته يكفرون من لا يستحق التكفير " كان بن تيميه ويدافعون عن ثبت تكفيره من قبل معاصرية .

***كان بن العربي الذي حكم عليه معاصره .**

العز بن عبد السلام " سلطان العلماء " بالزندة والانحلال وذلك حين سأله عنه ابن دقيق العبد فأجابه قائلاً " ابن العربي " شيخ سوء كذاب ، يقول بـ قدم العلماء ولا يرحم فرجاً " (25)
***وقد اعترف ابن حجر الهيثمي بأنه كان يصرح بإيمان فرعون (26)**

***واتهمه الحافظ بن حجر العسقلاني وابن حيان النحوي بالقول بـ وحدة الوجود المطلقة والتعصب للحاج (27) .**

***واتهمه السخاوي بالقول بـ وحدة الوجود وأنه من جملة الاتحادية المحضة لـ القائلين بـ وحدة الوجود بين الله وـ خلقه كالحاج وابن الفارض ، وعاتب ابن قططوبغا من حسن العقديه . (28) !**

***وذكر البهانى أنه كان يقول بأن الأولياء ينتقلون إلى مقام كريم يقولون للشئ كن فيكون . (29)**

***وذكر السرهندي أنه كان يقول بـ قدم أرواح الكمل من المشايخ وأن ترتيب الخلفاء كان بحسب أعمارهم . وأعترف أن أكثر كشوفاته تأتي مخالفة لـ عقديه أهل السنة ولا يتبعها إلا مريض القلب (30)**
وقال ابن المقرى في ابن العربي " ومن لم يكفره كان كمن لم يكفر اليهود والنصاري " (31) حكا
عنه ابن حجر المكي غير أنه علق على ذلك قوله " وهذا اعتراض منه على بن العربي وابن الفارض " ثم تسأله عن الدليل الذي يبرر تكفيه متجاهلاً بذلك ما في الفتوحات والقصوص من مقولات الكفر الصريح في حين يرمي بن تيميه بـ سلسلة من التهم ولا يكفل نفسه الإتيان بدليل عليها من كتبه ، فـ أجادر به أن يلحق بطائفة المتعصبين الذين لا يؤخذ منهم جرح ولا تعديل .

(20) الدليل القويم 179 .

(21) منار الهدى 25/34 .

(22) الزواجر 1/33 .

(23) رواه مسلم (976) .

(24) رواه مسلم (203) أن من مات عاى الكفر فهو في النار ولا تناه شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين .

(25) سير أعلام النبلاء 23 / 48 – 49 رسالة القاري في الرد على القائلين بـ وحدة الوجود ص 34 .

(26) الزواجر 1/35 .

(27) لسان الميزان 2/384 تفسير البحر المحيط 3/449 .

(28) الضوء اللماع 6/186 و 9/220 – 221 .

(29) جامع كرامات الأولياء 1/32 .

(30) مكتوبات الإمام الربانى السرهندي الفاروقى 264 و 277 و 303 .

(31) الزواجر عن أقتراف الكبار 2/379 .

أفهام المتعصبين

و هذه الأجاية تخرس السنة المتعصبين لأبن عربي ، فأن قالوا من لم يكفر ابن تيميه فهو كافر فقل لهم : هؤلاء كبار الأئمة كالحافظ ابن حجر وابن عبد السلام وابن المقرى سراج الدين البلقيني " ⁽³²⁾ وأبي حيان قالوا بکفر ابن عربي .

وأبی بکر محمد بن صالح المعروف بابن الخياط والقاضي شهاب الدين أحمد بن أبي بکر على الناشري وهو مما يقتدي بهما من علماء اليمن " ⁽³³⁾ فاما أن توافقهم في ذلك ، وإلا فمن لا يکفره يكون کافراً ، وإنما أن تقولوا ليس کافراً فيصير من حکموا بکفره کابن عبد السلام وابن المقرى وابن حجر وغيرهم کفاراً .

وهكذا نلاحظ الفرق بين موقف أهل البدع من ابن تيميه وبين موقفهم من ابن عربي ، نرى التحامل على ابن تيميه بينما نجد التغاضي المطلق عن ابن عربي الذي شهد علماء عصره وشهدت كتبه بزندقته .

حتى إننا لنجد السبكي يطعن في ابن تيميه في كتابه " طبقات الشافعية " في حين يسكت عن التحذير من ابن عربي أو على الأقل من كتبه الفصوص والفتוחات المكية التي اتفق الجميع على أن فيها کفراً يفوق کفر اليهود والنصارى ، وقد حکي محقق كتاب سير أعلام النبلاء " أن السبكي مؤاخذات على الذهبي صاغها بأسلوب مقيت ينبي عن تحامل وحقد وبعد عن الانصاف وجهل أو تجاهل بمعرفة القول الفصل في مواطن الخلاف ⁽³⁴⁾ .

و هؤلاء المتعصبون إذا قالوا : " إن هذا الكلام مدسوس عليه " فإنهم يقولونه تقليداً لأنتمهم لا عن تحقيق علمي ورجوع إلى أصل مخطوطة كتاب من يدافعون عنه .

ثناء بدر الدين العيني على ابن تيميه

وقد أثني بدر الدين العيني على ابن تيميه وموافقه الشجاعة من التثار وأنه كان يحرض الناس على قتالهم حتى دحرهم ، ⁽³⁵⁾ ولهذا كان العيني يجله ويدعوه له بالرحمة ⁽³⁶⁾ .
ويذكر انه كان ينزل إلى الأسواق مع تلاميذه فيمر بالمعروف وينهي عن المنكر بيده ، وأن أهل مشق شکوه إلى السلطان لأنه ذهب لقلع صخرة يعتقدون أن النبي ^ع قعد عليها فكانوا يعظمونها ويسألون الله عندها ، فأخذ بن تيميه فأساً ونز عنها فلما بلغ الامر السلطان أثني عليه لذلك وكان يوقد بنفسه بإزالة المنكريات فيقلب الرقع التي توضع عليها الشطرنج ويمر ومن معه على الخمارات وأماكن الفواحش فيربقوها ويكسرها أو زينها ⁽³⁷⁾ .

وذكر العيني مناظرة ابن تيميه المشهورة مع دجاجلة الرفاعية وأنه عرض عليهم حين زعموا أنهم أصحاب كرامات يدخلون النار فلا يصيّبهم شيء منها : عرض أن يدخلها معهم واشترط عليهم أن يغسل الجميع بالماء الحار والخل وأثبت أنهم يستخدمون بعض الدهون يحتالون بذلك على العامة حتى يظنووا فيهم الولاية ، وأن زعيمهم اعترف لأبن تيميه أن كراماته تظهر أمام التثار وأما قدام الشراع فلا ⁽³⁸⁾ .

⁽³²⁾ الأعلام بقواعد الإسلام للهيثمي 77 .

⁽³³⁾ الرد على القائلين بوحدة الوجود للشيخ على قاري 135 و 138 – 139 .

⁽³⁴⁾ سير أعلام النبلاء 471/18 .

⁽³⁵⁾ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان 4/30 الهيئة المصرية العامة للكتاب .

⁽³⁶⁾ عقد الجمان 4/223 .

⁽³⁷⁾ عقد الجمان 4/357 العقود الدرية 288 البداية والنهاية 14/11 .

⁽³⁸⁾ عقد الجمان 473 .

وأوضح العيني أن الشكوي ازدادت من ابن تيمية لكثره ما ينال من ابن عربي حتى سجن بإشارة من المنجبي⁽³⁹⁾ الذي كان عظماً لأبن عربي . هذا موقف العيني رحمة الله من ابن تيمية فماذا تقولون في ذلك ؟ !

إذن ، فقد بات واضحأ سبب سجن السلطان لأبن تيميه فقد كان وراء المرسوم السلطانيشيخ متعصب ينتصر لأبن عربي وتواطؤ شلة من المتعصبين للحلاج وابن عربي .

الذين اثنوا على ابن تيمية

وقد شهد العديد من الأئمة المعتبرين بصلاح حالة وقوته في الحق وذبه عن السنة وتفرده عن أقرانه في سعة علمه واجتهاده واقتفائه أثر السلف الصالح حتى قالوا " كان السنة نصب عينيه " ونذكر منهم :

الشيخ محمد ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي " ت 842 " الذي كتب كتاباً بعنوان " الرد الواifer على من زعم بأن من سمي ابن تيمية " شيخ الإسلام " كافر " أورد فيه شهادات المئات من كبار الأئمة في الثناء على ابن تيمية و قوله : الحافظ ابن حجر والعيني والتلهوني والبلقيني "⁽⁴⁰⁾

نص تفريط الحافظ بن حجر للرد الواifer

كما أورده السخاوي

قال السخاوي في الجواهر والدور في ترجمة الحافظ ابن حجر في معرض سرد تفريطات ابن حجر لكتب ما نصه :

" ومن ذلك ما كتب في الرد الواifer على من زعم أن ابن تيميه شيخ الإسلام كافر لحافظ الشام ابن ناصر الدين في سنة خمس وثلاثين وحدث به في أواخر السنة التي تليها بالشام بقراءة صاحبنا النجم الهاشم .

الحمد لله وسلم على عبده الذين أصطفى وفقت على هذا التأليف النافع والمجموع الذي هو للمقاصد التي جمع لأجلها جامع ، فتخففت سعة إطلاع الإمام الذي صنفه وتضلعه من العلوم النافعة بما عظمه بين العلماء وشرفه .

وشهرة إمامه الشيخ تقى الدين أشهر من الشمس ، وتلقى به بشيخ الإسلام باق إلى الآن على الألسنة الزكية ويستمر غداً كما كان بالأمس ولا ينكر ذلك إلا من جهل مقداره أو تجنب الإنفاق مما أكثر غلط من تعاطي ذلك وأكثر عثرة .

فالله تعالى هو المسؤول أن يقينا شرور أنفسنا وحصائر السنن بما له وفضله ، ولو لم يكن من الدليل على إمامته هذا الرجل إلا ماتبه عليه الحافظ الشهير علم الدين البرزالي في تاريخه أنه لم يوجد في الإسلام من اجتمع في جنازته لمات في جنازة الشيخ تقى الدين وأشار إلى أن جنازة الإمام أحمد كانت حافلة جداً شهدتها ما بين مئي ألف ، ولكن لو كان بدمشق من الخائق نظير من كان ببغداد بل أضعاف ذلك لما تأخر أحد منهم عن شهود جنازته .

وأيضاً فجميع من كان ببغداد إلا الأقل كانوا يعتقدون إمامية الإمام أحمد زكان أمير بغداد وخليفة الوقت إذ ذاك في غاية المحبة له والتعظيم بخلاف ابن تيميه فكان أمير البلد حين مات غالباً وكان أكثر من في البلد من الفقهاء فتعصبوه عليه حين مات محبوساً بالقلعة ، ومع هذا فلم يتخلص منهم عن حضور جنازته والترحم عليه والتأسف عليه إلا ثلاثة أنفس تأثروا خشية على أنفسهم من العامة .

ومع حضور هذا الجمع العظيم فلم يكن لذلك باعث إلا اعتقاد إمامته وبركته : لا بجمع سلطان ولا غيره .

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : أنت شهود الله في الأرض .

عقد الجمان 4/ 460 - 461 .⁽³⁹⁾

الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية 72 لمروع الحنبلي .⁽⁴⁰⁾

ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة من العلماء مراراً بسبب أشياء أنكروها عليه من الأصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة ودمشق ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقه حكمه بسفك دمه مع الشدة المتعصبين عليه حينئذ من أهل الدولة حتى حبس بالقاهرة ثم بالاسكندرية، ومع ذلك فكلهم معترض بسعة علمه وكثرة ورعيه وزهده ووصفه بالسخاء والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الإسلام والدعاء إلى الله تعالى في السر والعلانية فكيف لا ينكر على من أطلق أنه كان كافراً بل من أطلق على من سماه شيخ الإسلام الكفر . وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك فإنه شيخ الإسلام بلا ريب والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناًداً .

وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبرير منه ومع ذلك فهو بشر يخطئ ويصيب فالذي أصاب فيه – وهو الأكثر – يستفاد منه ويترجم عليه بسببه والذي أخطأ فيه – بل هو معذور – لأن آئمة عصره شهدوا له بأن أدوات الاجتهاد أجمعت فيه حتى كان أشد المتشعفين عليه القائمين في إيصال الشر إليه وهو كمال الدين الزملکاني يشهد له بذلك وكذلك الشيخ صدر الدين ابن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره . ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان أعظم قياماً على أهل البدع من الروافض والحلولية والاتحادية وتصانيفه في ذلك كثيرة مشتهرة وفتاویه فيها لا يدخل تحت الحصر فيما أعينهم إذا سمعوا تكفيره ويا سرورهم إذا رأوا من يكره من أهل العلم فالواجب على من تلبس بالعلم وكان له عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشهورة أو من السنة من يوثق به من أهل النقل فيفرد من ذلك ما ينكر فيحذر منه على قصد النصح ويتنبه إليه بفضائله فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء

ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشیخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظيم منزلته فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطق والمفهوم آئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلاً عن الحنابلة .

فالذى يطلق عليه مع هذه الأشياء الكفر أو على من سماه شيخ الإسلام لا يلتقط إليه ولا يعول في هذا المقام عليه بل يجب ردعه عن ذلك إلى أن يراجع الحق ويذعن للصواب " ووالله يقول الحق وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل " ⁽⁴¹⁾ انتهى كلام الحافظ ابن حجر رحمة الله .

وقد أثني الحافظ ابن حجر العسقلاني عليه في الدرر الكامنة 154/1 ودعاه بالرحمة فقال " قال شيخ شيوخنا الحافظ المزي ⁽⁴²⁾ في ترجمة ابن تيمية " كان يستوعب السنن والآثار حفظاً إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته أو أفتى في الفقه فهو مدرك أبناء جنسه " ⁽⁴³⁾

وخذه حيث حافظ عليه نص

فها هو حافظ عليه نص فما بال الأحباش خالفوا موقف الحافظ هنا مع أنهم حاملو رایة " خذه حيث حافظ عليه نص " ⁽⁴¹⁾ .

وما زال الحافظ ابن حجر يتحجج بأقواله بل يسلم له في نقاده في الحديث كما في روایة (كان الله ولا مكان) ⁽⁴⁴⁾ بل أعطاه لقب (حافظ) فقد ذكر في (التلخيص الحبير 3/109) حديث (الفقر فخرى وبه

⁽⁴¹⁾ مخطوطه موجوده في مكتبة طوبقيو بتركيا رقم المخطوطه 2991 .

⁽⁴²⁾ قال فيه السبكي " حامل رایة أهل السنة والجماعة " (طبقات السبكي 395/10 محققة) .

⁽⁴³⁾ الدرر الكامنة 1 : 156 و 157 .

⁽⁴⁴⁾ فتح الباري 289/6 .

أفتخر) ثم قال " وهذا الحديث سئل عنه الحافظ ابن تيمية فقال إنه كذب لا يعرف في شيء من كتب المسلمين المروية "

- ❖ ووصفه الشيخ ابن عابدين الحنفي صاحب الحاشية المشهورة بصفة (الحافظ) ⁽⁴⁵⁾
- ❖ الشيخ ملا على القاري ⁽⁴⁶⁾ الذي يذهب عنه وعن تلميذه ابن القيم ويقول " ومن طالع كتاب مدارج السالكين تبين له أنهما من أكابر أهل السنة والجماعة ومن أولياء هذه الأمة " ⁽⁴⁷⁾
- ❖ وشيخكم محمد رمضان البوطي لا يكاد يذكره مره الا قال " رحمة الله تعالى " ⁽⁴⁸⁾
- ❖ الحافظ عمر بن علي البزار له كتاب الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ذكر فيه فضائله ومناقبه ومنزلته عند العلماء.
- ❖ محمد ابن عبد البر السبكي القائل " والله ما يبغض ابن تيمية الا جاهل او صاحب هو يصدّه هواه عن الحق بعد معرفته به " ⁽⁴⁹⁾
- ❖ ابن الزملکاني الذي اودى بسبب انتقامه لابن تيمية وكان ذلك بإشارة من المنجبي ⁽⁵⁰⁾ المنتصر لعقيدة ابن عربي في وحدة الوجود وأدى إنكاره إلى النقمّة عليه والوشایة به ذكره الحافظ ⁽⁵¹⁾
- ❖ وكان على أعدائه أن ينصفوه لهذا الموقف الشجاع وهم الذين يزعمون أنهم أعداء للقائلين بوحدة الوجود لكن أعداءه لا يعرفون الانصاف ولا العدل .
- ❖ وأثني عليه ابن سيد الناس .
- ❖ وتأرج الدين الغزارى شيخ الشافعية ⁽⁵²⁾
- ❖ وابن دقيق العيد الذي قال لابن تيمية لما اجتمع به " ما أظن بقي يخلق مثلك " ذكره الحافظان ابن كثير وأبن رجب ⁽⁵³⁾
- ❖ وأنصفه ابن كثير: وبين عقيدته وعلمه وكيد الحاسدين له وقد زعم الحوت في رسائله السبکية أن الأرموي ناظر ابن تيمية وأفحمه مع أن ابن كثير كذب ذلك وأكّد أن ساقية الأرموي لاطمت بحراً " ⁽⁵⁴⁾
- ❖ وأنهم لما عقدوا له مجلساً لمناقشة رسالته الحمودية أجابهم بما أسكنتهم ⁽⁵⁵⁾ وكتب لهم عقيدته الواسطية وأمهلهم ثلاثة سنوات أن يراجعوها ويجدوا فيها ما يخالف عقيدة السلف .
- ❖ وشرف الدين المقدسي الذي كان يفتخر ببابن تيمية ويفرح به ⁽⁵⁶⁾
- ❖ وابن منجا التنوخي .
- ❖ والشيخ أحمد ولی الله الدھلوی كما في كتابه التفہیمات الالھیة.
- ❖ والشيخ محمد أنور الكمشيري صاحب فيض الباري الذي غالباً ما يصفه بالحافظ ⁽⁵⁷⁾ وشيخ الإسلام ⁽⁵⁸⁾

⁽⁴⁵⁾ رد المحتار على الدر المختار 2/257 ط : دار إحياء التراث العربي .

⁽⁴⁶⁾ وصفة الكوثري بأنه " ناصر السنة " (تبديد الظلام 100)

⁽⁴⁷⁾ مرقات المفاتيح 8 : 251 – 252 .

⁽⁴⁸⁾ السلفية مرحلة زمنية مباركة ص : 155 ط : دار الفكر .

⁽⁴⁹⁾ الرد الوافر 95 .

⁽⁵⁰⁾ البداية والنهاية 50/14 .

⁽⁵¹⁾ الدرر الكامنة 147/1 .

⁽⁵²⁾ البداية والنهاية 13: 303 .

⁽⁵³⁾ البداية والنهاية 14 : 27 الذيل على طبقات الحنابلة 2/392 .

⁽⁵⁴⁾ البداية والنهاية 14 : 36 ووصف السبکي الأرموي بأن خطه في غایة الرداءة وكان رجلاً ساذجاً " (طبقات السبکي 163/9 محققة) .

⁽⁵⁵⁾ البداية والنهاية 14 : 40 .

⁽⁵⁶⁾ البداية والنهاية 14 : 341 .

⁽⁵⁷⁾ إکفار الملحدین 23 و 46 و 75 و 90 و 103 و 113 .

⁽⁵⁸⁾ إکفار الملحدین 113 .

❖ وشيخ الحزاميين الوسطي الذي قال " فوالله ثم والله لم ير تحت السماء مثل شيخكم ابن تيمية علماً و عملاً و حالاً و خلقاً و اتباعاً و كرماً و قياماً في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته " ⁽⁵⁹⁾

- ❖ وأنني عليه الشيخ شهاب الدين الأذرعي وذكر شيئاً من كراماته قاله الحافظ ابن حجر ⁽⁶⁰⁾
- ❖ وابن طولون الحنفي ⁽⁶¹⁾
- ❖ وابن عبد الهادي وله كتاب العقود الدرية في مناقب ابن تيمية رد فيه على السبكي وكشف ضعفه في الحديث وأعتمد في رده على ابن تيمية حول شرعية شد الرحال إلى القبور على الروايات الضعيفة الموضوعة
- ❖ وبالغ الحافظ العلاني في الثناء عليه إلى أن قال " اللهم متعنا بعلومه الفاخرة وأنفعنا به في الدنيا والآخرة " ⁽⁶²⁾
- ❖ والحافظ عبد الرحمن ابن رجب الذي أثني عليه كثيراً وقال " هو الإمام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ المفسر الزاهد تقى الدين أبو العباس شيخ الإسلام وعلم الأعلام وشهرته تغنى عن الإطباب في ذكره ... كان رحمة الله فريد دهره في فهم القرآن ومعرفة حقائق الإيمان " ⁽⁶³⁾
- ❖ والحافظ العراقي .
- ❖ وعمر بن سعد الله ابن نجيح .
- ❖ وحافظ زمامه الشيخ أبو الحاج المزي .
- ❖ وأبو بكر الرحيبي .
- ❖ وفضل الله العمري .
- ❖ والشيخ قاسم بن طوبغا الحنفي .
- ❖ وشيخ الإسلام عمر بن سلان البلقيني مجتهد عصره.
- ❖ وامام الحنفية الشيخ بدر الدين " محمود بن أحمد " العيني الذي قال " فمن قال ابن تيمية كافر : فهو الكافر حقاً ، ومن نسبه إلى الزندقة فهو نديق ، وكيف ذلك ، وقد سارت تصانيفه في الآفاق ، وليس فيها شيء مما يدل على الزيف والشقاق " ⁶⁴
- ❖ الحافظ السخاوي الذي لم يزل يحتج ويعتمده في ترجيح درجة الأحاديث " وناهيك بابن تيميه إطلاعاً وحفظاً أقر له بذلك المخالف.
- ❖ شمس الدين الذهبي : وما رأيت أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه لأن السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقه وعين مفتوجه .
- ووصفة العلامة فتح الدين ابن سيد الناس مصنف السيرة النبوية المشهورة فقال " وكاد يستوعب السنن والأثار حفظاً ثم قال السخاوي بعد هذا النقل " نعم . قد نسبت إليه مسائل أنكرت عليه مقرره عند أهل العلم ، والسعيد من عدت غلطاته رحمة الله وإياناً " ⁶⁵
- وقد أمتلاء كتابه " المقاصد الحسنة " بالاحتجاج بابن تيميه في نقه للاحاديث الروايات تصحيحاً وتضعيفاً ونحيلك إلى جملة من ذه الأحاديث : حديث رقم " 45 " و " 17 " و " 233 " و " 384 " و " 609 " و " 838 " و " 856 " و " 883 " و " 714 " و " 1356 " و " 1126 " ولم يزل يحتاج بتصححه وتضعيفه لروايات الحديث فيقول مثلاً " قال ابن تيميه : هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم . " ⁶⁶

⁽⁵⁹⁾ البداية والنهاية لابن كثير 137/14 .

⁽⁶⁰⁾ الدرر الكامنة 1 : 160 .

⁽⁶¹⁾ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحة 2 . 583/2 .

⁽⁶²⁾ الدرر الكامنة 1:159 .

⁽⁶³⁾ الذي على طبقات الحنابلة 2 - 387/2 .

⁶⁴ الرد الوافر 245 .

⁶⁵ الفتاوى الحديثية عند حديث " كنت نبياً وآدم بين الماء والطين " .

⁶⁶ أنظر الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة ص 200 و 204 تحقيق الصباغ ط : الوراق - الرياض

تعظيم الزبيدي لأبن تيميه

وما زال الزبيدي يعظم ابن تيميه وتلميذه ابن القيم قوله " والله يغفر لابن القيم " 1 / 39 " ويكثر من الاحتجاج باقوال بن القيم 1 / 67 و 132 و 406 و 413 و 420 و 2 / 270 " وبأقوال شيخه ابن تيميه 1 / 170 و 176 " ويصف بن تيميه بـ " الحافظ " 1 / 400 " 2 / 106 " والإمام 1 / 170 " بل وبشيخ الإسلام 4 / 482 و 3 / 537 " فمإذا يقول الاباش الذين يتحجون بقول العلاء البخاري " من قال ابن تيميه شيخ الإسلام فهو كافر ⁶⁷ هل يحكمون بكافر الزبيدي ؟

ولئن كان تكبير العلاء البخاري حجة فليوافقوه في تكبيره لأبن عربي كما ذكر صاحب براءة الأشعريين 2 / 65 - 66 !! وابن طولون في " القلائد الجوهرية 2 / 538 " وكتب في الرد عليه كتاب " فاضحة الملحدين "

وهذا العلاء كان طعاناً بالنبوة ويحرم النظر في كتبه فإن كانت شهادته عندكم معتبرة فخذوا بحكمة في النبوة وابن عربي .

ويحتاج الزبيدي هو والحافظ العراقي بتصحیحات وتضعیفات ابن تیمیه فی الحديث كما فی شرح الأحیاء 1 / 449 " فقد قال عن حديث " الشیخ فی قومه كالنبوی فی أمتھ " قال العراقي : وسئل عنه الشیخ تیقی الدین ابن تیمیه فی جملة أحادیث فأجاب بأنه لا أصل له .

ولقد قرأت كتابه " الإتحاف کله " وعرفت الزبيدي رجلاً دُثُرَ الخلق موقرًا لأهل العلم ولو كان مخالفًا لهم في بعض المسائل .

السيوطی یقل ثناء الزملکانی علی ابن تیمیه
والسيوطی یصف ابن تیمیه " شیخ الأسلام أحد المجتهدین (تیقی الدین) وتلميذه بـ " العلامہ شمس الدین ابن القیم " ⁶⁸

ونقل عن الزملکانی ثناءه علی ابن تیمیه أنه " سیدنا وشیخنا الإمام العالم الأوحد الحافظ المجتهد الزاہد العابد القدوة إمام الأئمۃ قدوة الأمة علامۃ العلماء وارث الأنبياء آخر المجتهدین وأحد علماء الدین برکة الإسلام حجة العلام برهان المتكلمين قامع المبتدعین ذی العلوم الرفیعة والفنون البیدعیة ، محبی السنۃ ، ومن عظمت به الله علینا منه ، وقامت به علی أعدائه الحجة ، وایتیانت ببرکته وھدیه المراجحة تیقی الدین بن تیمیه : أعلى الله منارة وشید الدین أركانه "

ثم أنشد يقول :

ماذا يقول الواصفون له

وصفاتہ جلت عن الحصر .

هو حجة الله قاهرة

وهو بيننا أجيوبة الدهر .

هو آیة في الخلق ظاهرة وأنوره أربت على الفجر .

قال السيوطی : نقلت هذه الترجمة من خط العلامة فريد دهره ووحيد عصره الشيخ کمال الدين الزملکانی .

• وكان يقول " لم ير منذ خمسمائه سنة أحفظ منه " ⁶⁹

⁶⁷) يحتاج جميل حلیم بما ذکرہ صاحب کتاب " براءة الأشعرین من عقائد المخالفین 2 / 65 - 66 " کدلیل على کفر من يقول بأن ابن تیمیه شیخ الإسلام وقد کتب الشیخ ناصر الدین الدمشقی کتاباً فی الرد علی مقولۃ العلاء البخاری بعنوان " الرد الوافر علی من زعم أن ابن تیمیه کافر " .

⁶⁸) صون المنطق 201 الحاوی للفتاوی 123 / 1 و 221 و 2 / 136 و 341 .

• وكان يدعو لأبن تيميه⁷⁰ ويحتاج كثيراً بأقوال تلميذه ابن القيم
ويصفه بالعلامة شمس الدين .⁷¹
وينقل ثناء البرزالي عليه .

قال السيوطي " ونقلت من علم الدين البرزالي : قال : قال سيدنا شيخنا الإمام العالم العلامة القدوة ، الحافظ ، الزاهد ، العابد ، الورع ، إمام الأئمة ، حبر الأمة ، مفتى الفرق ، علامة الهدي ، ترجمان القرآن ، حسب الزمان ، عمدة الحفاظ ، فارس المعاني والآلفاظ ، زكي الشريعة والفنون البدعية ، ناصر السنة ، قامع البدعة ، تقى الدين ابن تيميه الحرани ، أدام الله بركته ورفع درجته " الأشياء والنظائر النحوية 3 / 681 - 683 "

الذين لقبوا ابن تيميه " شيخ الإسلام " أما عن استحقاق ابن تيميه للقب شيخ الإسلام :

• فأسال الحفاظ : السيوطي وابن رجب وأسأله الشعراي لماذا لقبوه بهذا اللقب ، فقد جاء في كلام السيوطي عن بن تيميه " شيخ الإسلام . الحافظ الفقيه المجتهد المفسر البارع . شيخ الإسلام نادرة العصر ، علم الزهاد "⁷²

• وأسائل الزبيدي صاحب تاج العروس واتحاف السادة : لماذا وصفه في كتابه " إتحاف السادة " بشيخ الإسلام وأثنى عليه وأحتاج بأقواله مرات عديدة في اتحافه ثم بعد أن وصفه بشيخ الإسلام مونقل له كلاماً عظيماً في أصول القرآن قال " انتهى ملخصاً من كلام ابن تيميه وهو كلام نفيس جداً "⁷³

• بل أسأل التاج السبكي الذي كان يفخر بأن الحافظ أبا الحاجاج المزي لم يكتب لفظ شيخ السلام إلا اثنين : لأبيه تقى الدين السبكي ولتقى الدين بن تيميه .⁷⁴

• واعترف الحافظ العلائي بأن المزي لم يكن يثبت لفظ " شيخ الإسلام " إلا للتقى السبكي ولأبن تيميه "⁷⁵

• والشيخ ملا علي القارئ الحنفي الذي كان كثير الذب عن أبي تيميه وتلميذه ابن القيم كما في شرح الشمائل ووصفهما بأنهما شيخاً الإسلام ومن أولياء هذه الأمة وأكابرها .

• والشعراي " عبد الوهاب " الذي كان يصفه " شيخ الإسلام "⁷⁶

• والشيخ شمس الدين محمد بن صفي الدين الحنفي الذي قال " إن لم يكن ابن تيميه شيخ الإسلام فمن؟ وقل لها قاضي القضاة ابن الحريري الحنفي الذي لقي الأذى بسبب وفاته المنصفة تجاهه "⁷⁷ .

• وابن طولون الذي يصفه بـ " التقى شيخ الإسلام " ويشهد له بأنه " علامة زمانه "⁷⁸ فهو لاء أثتو عليه بعد موته حتماً وفيه رد على أدعاء الحبشي أن ذاك الثناء كان أول الأمر .

⁶⁹⁾ الأشباء والنظائر النحوية 3/681 أعين العصر وإعوان النصر لصلاح الصافي 1/71 الذيل على طبقات الحنفية . 392/2 - 393/2

⁷⁰⁾ صون المنطق 201

⁷¹⁾ صون المنطق 201 الحاوي للفتاوى 1/123 و 221 و 2/136 و 341 .

⁷²⁾ طبقات الحافظ 516 ترجمة رقم (1144) ومقدمة كتاب السيوطي صون المنطق والكلام ص 1 والأشباء والنظائر للسيوطى 683/3

⁷³⁾ أتحاف السادة المتنقين 4/537 .

⁷⁴⁾ طبقات الشافعية 10/195 الذي على طبقات الحنابلة 2/387 الأشباء والنظائر 3/681 - 683 .

⁷⁵⁾ نقد الطالب لزغل المناصب 54 للعلاني .

⁷⁶⁾ لطائف المعن وأخلاق في التحدث بنعمة الله على الأطلاق 556 .

⁷⁷⁾ الدر الكامنة 1/147 البداية والنهاية لابن كثير 14/142 .

⁷⁸⁾ القلاند الجوهرية في تاريخ الصالحة 2/452 و 458 .

• محمد أنور الكشميري الحنفي صاحب فيض الباري شرح صحيح

⁷⁹

البخاري الذي يثني عليه الكوثري وأبو غدة الثناء البالغ "

الذهبي يصفه بشيخ الإسلام :

ولا يكاد يخلو كتاب من كتب الذهبي من الثناء على بن تيميه ووصفه بشيخ الإسلام⁸⁰

وقال في كتاب دول الإسلام " وفي ذي القعدة توفى بالقلعة شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيميه الحراني ، عن سبع وستين وأشهر ، وشيشه خلق أقل ما حزروا بستين ألفاً ، ولم يخلف أقاربه بعده من يقاربه في العلم والفضل "⁸¹

وأنتم تبطلون كلام الحافظ بن حجر الذي يثبت اختلاط السبيعي وترجمون عليه قول الذهبي في نفي الاختلاط عنه : فما لكم تتجاهلون ثناءه على بن تيميه ووصفه بشيخ الإسلام ؟
موقف الرفاعية من ابن تيميه

وبالرغم من نقد ابن تيميه للرفاعية إلا ان العديد من كبارهم كانوا يثنون عليه ومع هذا لم يخطر ببال واحد منهم أن يتهمه بالكفر .

*فمع تحامل الصيادي " محمد أبو الهدي " عليه إلا أنه كان يدعوه قائلًا " نسأل الله أن يرحمه ويفعل به " ⁸² وكذلك الوتري ⁸³

*وكان الشيخ صالح المنيعي الرفاعي يصفه ب " العالم المبارك " مع معاداته له ⁸⁴ وهذا يدل على أنه لم يكن عندهم كافراً ومع كون الحبشي رفاعي الطريقة فإنه لا يبالي برأي أعيان طريقته في ابن تيميه . فإن كنا عند الحبشي ضالين لأمتناعنا عن تكفيه فلماذا لا يحكم بـ كفر الأئمة الأفاضل الذين أثروا على بن تيميه أولاً ، وبـ كفر الشعراـني الذي وصفه ب " شيخ الإسلام " ثم بـ كفر رفقاءه في الطريقة الرفاعية التي ينتهي إليها لـ ثناـهم عليه ، ثم يـ حـكمـ عـلـيـهـ بـعـدـ ذـلـكـ بـالـكـفـرـ ! .

فـ لـ سـتـ أـعـتـقـدـ أـنـ يـخـفـيـ حـالـ اـبـنـ تـيمـيـهـ عـلـيـ هـؤـلـاءـ جـمـيـعـاـ ،ـ ثـمـ لـاـ يـنـفـطـنـ لـذـلـكـ إـلـاـ الـحـبـشـيـ وـأـتـبـاعـهـ المشـهـرـونـ بـتـكـفـيرـ أـغـلـبـ النـاسـ حـتـىـ ضـرـبـ بـهـمـ المـثـلـ وـلـقـبـهـمـ الـآخـرـونـ بـ "ـ فـرـقـةـ الـمـكـفـرـةـ" ⁸⁵

الجواب الفصل

وإذا كان الحبشي يحتاج بتزكية عبد الوهاب الشعراـني لأـبـنـ عـرـبـيـ وـتـبـرـئـتـهـ مـنـ الـكـفـرـ ⁸⁶ فـ لـمـ إـذـاـ لـ يـقـبـلـ فـيـ اـبـنـ تـيمـيـهـ وـهـوـ الـذـيـ كـانـ إـذـاـ ذـكـرـهـ يـلـقـهـ بـشـيخـ إـلـاسـلـامـ ⁸⁷ وـالـفـرـقـ أـنـ أـكـثـرـ

الـذـينـ أـثـرـواـ عـلـيـ بـنـ تـيمـيـهـ اـتـفـقـواـ عـلـيـ كـفـرـ اـبـنـ عـرـبـيـ وـعـلـيـ التـحـذـيرـ مـنـ كـتـبـهـ الـفـاسـدـةـ

غـيـرـ أـنـ الـحـبـشـيـ لـاـ يـقـيمـ لـشـهـادـاتـهـمـ وـرـزـنـاـ وـيـتـمـسـكـ بـشـهـادـةـ الـشـعـرـاـنـيـ :ـ فـهـلـاـ تـمـسـكـ بـشـهـادـةـ

الـشـعـرـاـنـيـ فـيـ اـبـنـ تـيمـيـهـ ؟ـ هـذـاـ جـوـابـ مـلـزـمـ لـهـ وـلـأـتـبـاعـهـ لـاـ يـسـهـلـ لـهـمـ الـأـجـابـةـ عـلـيـهـ .

وـإـذـاـ لـمـ يـقـلـ أـفـاضـلـ الـعـلـمـاءـ بـكـفـرـهـ بـلـ أـثـرـواـ عـلـيـهـ وـلـأـتـبـاعـهـ لـاـ يـسـهـلـ لـهـمـ شـهـادـتـهـمـ

كـلـهـمـ وـنـسـتـبـدـلـهـ بـشـهـادـةـ حـبـشـيـ شـهـدـ أـنـ الـفـاظـ الـقـرـآنـ مـنـ إـنـشـاءـ جـبـرـيلـ لـاـ مـنـ كـلـامـ اللـهـ ،ـ وـاـنـ الـقـرـآنـ لـيـسـ

بـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـأـبـاحـ خـرـوجـ الـمـرـأـةـ مـتـعـرـرـةـ مـتـزـيـنـةـ مـتـبـرـجـةـ وـأـبـاحـ الـرـبـاـ وـمـنـعـ الـزـكـاـةـ وـأـبـاحـ صـلـةـ الـمـتـلـبـسـ

بـالـنـجـسـ وـالـتـحـاـيلـ عـلـيـ اللـهـ وـأـجـازـ الـأـسـتـغـاثـةـ بـالـمـوـتـيـ دـوـنـ اللـهـ ،ـ وـاـسـتـبـاحـ الـكـذـبـ وـاـسـتـعـانـ بـالـبـاطـنـيـهـ

وـالـقـرـامـطـهـ كـيـفـ تـؤـخـذـ شـهـادـةـ رـجـلـ كـهـدـاـ وـتـرـدـ شـهـادـاتـ الـعـدـوـلـ الـأـفـذـاـ ؟ـ

⁷⁹) إـكـفـارـ الـمـلـحـدـيـنـ 113ـ نـشـرـ الـمـلـحـدـيـنـ الـعـلـمـيـ فـيـ كـرـاتـشـيـ وـأـنـظـرـ التـصـرـيـحـ بـمـاـ تـواتـرـ فـيـ نـزـولـ الـمـسـيـحـ 12ـ .

⁸⁰) سـيـرـ أـعـلـامـ النـبـلـاءـ 7ـ 373ـ وـ350ـ وـ11ـ وـ156ـ وـ21ـ 161/21ـ .

⁸¹) دولـ إـلـاسـلـامـ لـالـذـهـبـيـ 237ـ طـ :ـ الـهـيـئـةـ الـمـصـرـيـةـ الـعـامـةـ لـلـكـتـابـ 1974ـ .

⁸²) قـلـادـةـ الـجـواـهـرـ فـيـ سـيـرـةـ الـرـفـاعـيـ وـأـتـبـاعـةـ الـأـكـابـرـ لـمـحمدـ بـنـ حـسـنـ وـادـيـ الصـيـاديـ 208ـ وـ215ـ وـ217ـ .

⁸³) روـضـةـ النـاظـرـيـنـ وـخـلـاصـةـ مـنـاقـبـ الصـالـحـيـنـ لـلـوـتـريـ 141ـ .

⁸⁴) روـضـةـ النـاظـرـيـنـ 141ـ .

⁸⁵) المـوسـوعـةـ الـحـرـكـيـةـ 259ـ لـلـأـسـتـاذـ فـتحـيـ يـ肯ـ .

⁸⁶) الدـلـيـلـ الـقـوـيـمـ 152ـ .

⁸⁷) لـطـافـ الـمـنـ وـالـأـخـلـقـ 556ـ .

نعم . روی عن العلائی تضليل ابن تمیمیه ولعله حمله على ذلك تعصبه عفا الله عنه⁸⁸ ومثال التعصب قوله بأن رئيساً أهل السنة هما الماتریدی والأشعري اللذین لا يعارضهما إلا ضال مبتدع⁸⁹ وهذا عجيب منه : فإن إتباع كل من الفريقين لم يزل معتبراً على الآخر ، حتى حکم الماتریدیة بضلal الأشاعرة في بعض المسائل بل كفروهم كما في مسألة خلق الإيمان . فالذہبان ليسا مذهبها واحداً وأحدهما يرى الآخر ضالاً . وكلاهما يتلقى على تقديم الرأي على النص وللهذا تضارب أراوهم واختالفوا .

وكذلك مر بالنسبة للسبکی والحسنی والھیتمی فهو لاء أشاعرة في العقيدة مدافعون عن المذاهب ، دعاة إلى التأویل في أسماء الله وصفاته يحکمون على مثبت الصفات بخبث الاعتقاد وتشبيه الله بخلقه فته له عن إثبات الصفات ، ودفعاً به إلى التأویل المحفوف بالمخاطر .

وليس من النصف جعل الخصم هو الحکم وتحکیم من تحکیموا مع ابن تمیمیه في العقائد فإنهم على مذهب جديد أسمه المذهب الأشعري أو الماتریدی لم يعرفه الأشعري نفسه الذي تاب من بدعة الاعتزال وصار يحیل الناس إلى معتقد أحمد بن حنبل ومجرد تعصب المنتهی لمذهبهم سبب کاف للطعن في المخالف له ، كما رأیت من العلائی .

ولذلك قال ابن تمیمیه لخصومه الذين عقدوا له مجلس تحقيق : من الذي يحكم بيننا فقالوا : نحن الحكم فيك فقال : أنتم خصمي فكيف تكونون الحكم فيما بيني وبينكم .

قاعدة في جرح العلماء لبعضهم البعض

قال الألوسي " فإن قلت : قد تبين أن من العلماء من هو قادر في الشيخ ابن تمیمیه وإن كانوا أقل من الفرقة الراضية المرضية ، إلا أنه قد عرف من القاعدة التي عليها التعویل : أن الجرح مقدم على التعديل ، مما الجواب المميز للخطأ عن الصواب "

والجواب : قال العلامة ابن عابدين في محشی " الدر المختار " في كتابه " سل الحسام " ⁹⁰ إن هذه القاعدة " الجرح مقدم على التعديل " إنما هي في غير من اشتهرت عدالته ، وفي غير علم أن التکلم فيه ناشئ عن عداوة أو جهالة وغباء ، فقد قال الحافظ الباجي .

الصواب عندنا أن من کثر مادحوه ومزکوه ، وندر جارحه ، وكانت هناك قرینة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبی أو غيره فأنما لا نلتفت إلى الجرح فيه ونعمل فيه بالعدالة ، وإنما هي في غير علم أن الباب وأخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة ، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلک فيه هالکون .

وعن مالک بن دینار " يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شئ إلا في قول بعضهم في بعض " ⁹¹ وعن ابن عباس " اسمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذي نفسي بيدي هو أشد تغیراً من التیوس على زوربها " ⁹²

قال " وما ينبغي أن يتقدّم عند الجرح : حال العقائد وخلافتها بالنسبة إلى الجارح والمحروم ، فربما خالف الجارح المحروم في العقيدة فجرحه لذلك ، وإليه شار الرافعی بقوله " وينبغي أن يكون المزكون براء من الشحنة والعصبية في المذهب في المذهب خوفاً من أن يحملهم ذلك على جرح عدل أو تزکیة فاسقة ، وقد وقع هذا لکثير من الأئمة جرحاً بناء على معتقدهم المخطئون والمحروم مصيبة "

وقال الذهبي والحافظ بن حجر العسقلاني وأبو نعيم الأصفهانی " إن قول الآقران بعضهم في بعض غير مقبول ، لا سيما إذا لاح أنه لعداوة أو مذهب إذ الحسد لا ينجو منه إلا من عصمه الله تعالى . قال الذهبي " وما علمت عصرأ سلم أهله من ذلك "

⁸⁸) روی عن عکس ذلك من الثناء عليه .

⁸⁹) نقد الطالب لزغل المناصب 36 .

⁹⁰) لعله نقلها عن السبکی .

⁹¹) طبقات السبکی محقق 9/2 غير محقق 188/1 .

⁹²) أتحاف السادة المتنقین 6/362 .

وقال عند ترجمة الفضيل " إذا كان مثل كبراء السابقين قد تكلم فيهم الروافض والخوارج ومثل الفضيل بن عياض يتكلم فيه ، فمن الذي يسلم من ألسنة الناس ؟ ولكن إذا ثبتت إمامية الرجل وفضله لم يضره ما قيل فيه ، وإنما الكلام في العلماء يفتقر إلى وزن بالعدل والورع " ⁹³
وقال القتوجي في هداية المسائل إلى أدلة المسائل " قد فتح باب التقليد والتمذهب عدوات وتعصبات قل من سلم منها إلا من عصمه الله " ⁹⁴
وقال الإمام أحمد " كل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تجريح أحد حتى يبين ذلك بأمر لا يحتمل غير جره " ⁹⁵

وقال ابن جرير الطبرى " لو كان كل من أدعى عليه مذهب من المذاهب الرديئة ثبت عليه ما أدعى به ، وسقطت عدالته وبطلت شهادته بذلك للزم ترك أكثر محدثي الأمصار ، لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قوم إلى ما يرحب به عنه ومن ثبتت عدالته لم يبل فيه الجرح ، وما تسقط العدالة بالظن " ⁹⁶
ولنمض بعد هذه القواعد المهمة مع بعض خصوم بن تيمية .

عصور التعصب والمذهبية

وقد اتسم عصر بن تيمية بالتحيز الفكري والغلو الصوفي والتعصب الأشعري " فكل له إمام وفي العقيدة " ⁹⁷ وفي كل مدينة أربعة قضاة : قاض يقضي حسب المذهب ، وإمام يوم حسب المذهب .

قال في مقدمة سير أعلام النبلاء للذهبي " وكانت بلاد الشام تشهد نزاعاً مذهبياً وعقائدياً حاداً ، كان الحكام المماليك يتدخلون فيه فيكتثرون من الأحيان فيناصرون فئة على أخرى ، وكان الأيوبيون قبل ذلك قد عنوا بنشر عقيدة الأشعري وأعتبروها العقيدة الحقة التي يجب أتباعها وكان صلاح الدين الأيوبي رحمة الله أشعرياً متعصباً كما هو معروف من سيرته ، فلذلك أصبحت للأشاعرة قوة عظيمة في مصر والشام " ⁹⁸

وكل هذا يؤكد أنه من الأجراف أن تكون محاكمة ابنت تيمية بيد خصومه ، وأن العصبية للمذهب وحسد العلماء المعاصرين كان الدافع وراء الحملات عليه عفا الله عنهم جميعاً .
موقف الحصني من ابن تيمية

واحتاج الحبشي بموقف تقي الدين الحصني الشدود العادم من ابن تيمية .
ويكفي في بطلان هذا الاحتجاج بشهادة كثيرين في الحصني كالحافظ بن حج ر وابن قاضي شبهة والقريري والسحاوي أنه كان شديد التعصب ⁹⁹ يعمي عن الحق ويؤدي إلى ظلم الآخرين .
وكان الحصني يصرح بکفر ابن تيمية فأهانه القضاة والحنابلة وأهالي دمشق إهانات كثيرة واحتقروه ¹⁰⁰ .

ونرى الإمام السحاوي ينقل عن الإمام المقرizi شدة عصبية الحصني وغلوه تجاه ابن تيمية بل وتجاه الحنابلة بشكل عام فيقول وذكر المقرizi في عقوبه أن الحصني كان شديد التعصب للأشاعرة منحرفاً عن الحنابلة إنحرافاً يخرج منه عن الحد وتفحش في ابن تيمية وتجله بتکفيره من غير احتشام ، بل يصرح بذلك في الجوامع والمجامع ، بحيث تلقى ذلك عنه أتباعه ، واقتدوا به جرياً على عادة أهل

⁹³) سير أعلام النبلاء 8/ 448.

⁹⁴) ميزان الأعدال 111/1 سير أعلام النبلاء 5/399 وأنظر كلام الصيادي في ذلك (قلادة الجوهر 207) .

⁹⁵) تهذيب التهذيب ص 428 .

⁹⁶) هدي الساري ص 428 .

⁹⁷) تاريخ المذهب الإسلامية 642 محمد أبو زهرة .

⁹⁸) سير أعلام النبلاء 1/ 13.

⁹⁹) الضوء اللمع 6/83 أبناء الغمر بأتباء العمر 8/110 - 111 طبقات الشافعية لابن قاضي شبهة 4/98 الضوء اللمع 83/6 .

¹⁰⁰) الرد الوافر 261 الضوء اللمع 1/145 البدر الطالع 1/28 .

زماننا في تقليد من اعتقدوه ، وسيعرضان جميعاً على الله الذي يعلم المفسد من المصلح ، ولم يزل على ذلك حتى مات عفا الله عنه " ¹⁰¹

وذكر السخاوي أيضاً أن الشيخ إبراهيم بن محمد الطرابليسي اجتمع بالحسني وقال له " لعلك التقى الحسني ثم سأله عن شيوخه فسماهم فقاله إن شيوخك الذين سميتهم عبيد ابن تيميه أو عبيد من أخذ عنه ، فما بالك تحط عليه أنت ؟ ! فما وسع الحسني إلا أن أخذ نعله وانصرف ولم يجرس يرد عليه " ¹⁰² انتهي قول السخاوي .

فهذا الموقف من الحسني دليل على الشذوذ والتعصب لا سيماً عامة أهل العلم لم يعرف عنهم مثل هذا الموقف ولذلك كان كلام المقرizi السخاوي مشعران بتوببيه .

وقد نقل الحبشي من كلام الحسني ¹⁰³ أنه " بلغه عن شخص أنه نبش قبر بن تيميه فوجد على صدره ثعباناً مخيف المنظر . ¹⁰⁴

وهذا الذي بلغه عن مجھول " ولعله من مakashفي الصوفية " لو صر لكان كرامات لأبن تيميه فعل ذلك الثعبان يكون من جنود الله يحميه به من أمثال هذا الحاقد الذي يحمله حقده على نبش قبور أعدائه ، ونبشه للقبر يجعله مستحقاً مستحقاً للعنة لما جاء عن عائشة " أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن المختفي والمختفية " ¹⁰⁵ أي نباش القبور .

ومتأمل في كتاب الحبشي المذكور يجد العديد من الخرافات والمبالغات وكثرة محادثة رسول الله والاستغاثة به عند قبره فالحسني " حبشي المنهج "

موقف أبي حيان من ابن عربي وذكر الحبشي أن السبكي نقل عن أبي حيان المعاصر لأبن تيميه أه أطلع على رسالة ابن تيميه العرشية فلما قرأها زال يلعنه حتى مات لما رأي فيها من الكفر ¹⁰⁶ زعموا أنه قال فيها إن الله أخلي بـ محمد صلى الله عليه وسلم مكاناً على عرشه ليجلسه عليه .

وهذا جرح مبهم مما الذي قاله ليستحق عليه اللعن فليعرضه حتى ننظر فيه أم أنكم مقلدون حتى في اللعن المطلق .

أين هذه الرسالة المجهولة التي لا يبدو أن كبار الأئمة يعرفون عنها شيئاً .

وقد كان السبكي بحاجة ماسة إلى ما يثبت موقفه من ابن تيميه فلماذا لم يحك ما في فحواها؟

ولماذا لم يتكلم عنها العلماء عصره حتى يثبتوا فيها إنحراف ابن تيميه ؟

وكيف مع ذلك يضرب عنها أمراء النقد صحيحاً ، فيبالغوا في الثناء على ابن تيميه كالسيوطى والمزي والذهبى وابن حجر العسقلانى وابن رجب وابن دقيق العيد ، والحافظ البزار وبدر الدين وملا على قاري وغيرهم ؟

وتقديم شهادة لغوى أشعري مت指控 على جملة من الحفاظ هو عين التجنى .

الصوفية يدعون أن العرش مملوء من رسول الله .

*فإن كان صاحب هذا الكلام - على افترض صحته عن ابن تيميه يستحق صاحبه به اللعن فإليكم ما حكاه السيوطى ¹⁰⁷ عن أبي العباس الطنحى تلميذ شيخكم أحمد الرفاعى ، وفيها أن الشيخ عبد الرحيم بقا قال له " هب إلى بيت المقدس لتتعرف رسول الله هناك . قال : فحين وضع رجلٍ وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسى مملوئة من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فالعرش مملوء بالنبي صلى الله عليه وسلم وليس جزاً منه فقط ؟

هل يعني ذلك جواز لعن ابن فورك والخطيب

¹⁰¹) الضوء الالمعم 83/6 . 84 .

¹⁰²) الضوء الالمعم للسخاوي 145/1 البدر الطالع للشوکانی 1/30 .

¹⁰³) في كتابه دفع شبه من شبهه وتمرد 88 .

¹⁰⁴) المقالات السننية 77 .

¹⁰⁵) رواه البيهقي في السنن 270/8 بسند صحيح (الصحيحه 2148) .

¹⁰⁶) الدليل القويم 39 .

¹⁰⁷) الحاوي للفتاوى 2/260 و 265 .

فإن كان ابن تيمية يستحق اللعن لمجرد روايتها فقد رواها الخطيب في تاريخه الذي أخذته منه رواية تبرط الشافعي بقبر أبي حنيفة وتمسكت بها تعصباً منكم وتحيزاً . فقد ذكر الخطيب رواية " الكرسي الذي يجلس عليه الرب عز وجل ، وما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع وإن له أطيطاً كأطيط الرجل الجديد " قال الخطيب " قال أبو بكر المروذى قال لي أبو علي الحسين بن شبيب قال لي أبو بكر بن العابد - حين قدمنا بغداد - أخرج ذلك الحديث الذي كتبناه عن أبي حمزة فكتبه أبو بكر بن سلم بخطه وسمعناه جميعاً .

وقال أبو بكر بن سلم " إن الموضع الذي يفضل لمحمد صلى الله عليه وسلم ليجلسه عليه ، قال أبو بكر الصيدلاني : من رد هذا فإنما أراد الطعن على أبي بكر المروذى وعلى أبي بكر بن سلم العابد " تاريخ بغداد 52 / 8

فهل تلغون الخطيب البغدادي لهذه الرواية التي لا يعقب عليها بشئ بل يحكي ما يفيد الزجر على من يطعن في صحتها ! وهل تلغون ابن فورك وهو الذي روى الحديث الباطل الذي تهمون ابن تيمية بروايته وهو " إن الله ملا العرش حتى ان له إطيطاً كأطيط الرجل الجديد قائلاً ووضع أحدهما على الآخر ، قال ووضع حماد ساقه على ركبته السري " ثم حاول أن يوجد له تأويلاً على عادته في سياقة الروايات الباطئة وتأويلها " فقال " يحتمل أن يكون المراد ملاة عظمة ورفة " ¹⁰⁸

وبالجملة فالرسالة العرشية التي بين أيدينا ليس فيها ما يزعمون ؟ بيد أنهم يصررون على أن له رسالة عرشية أخرى غير هذه المتداولة أو أن هذه الرسالة قد تم حذف شئ منها ، هكذا ادعاء لا أساس له ، فليبرزوا لنا الأصل المخطوط للرسالة إن كانوا صادقين .

وعجباً لهؤلاء أن يقولوا عن كتب خصومهم " حذف منها هذا الكفر ، بينما يقولون في كتب أحبائهم من أهل الحلول والاتحاد كابن عربي " دس فيها هذا الكفر " فتأمل التحيز والتعصب واتباع الهوى .

ثم أن الحافظ ابن الحجر صرخ بأن الأشكال بين أبي حيان وابن تيمية إنما وقع حول قضية تتعلق بال نحو فقد دار جدال بينهما في النحو فخطأ ابن تيمية سببويه في مسائل فلما عارضه أبو حيان لذلك قال له ابن تيمية " لم يكن سببويه نبياً معصوماً "

قال ابن حجر ¹⁰⁹ فأعتبر أبو حيان هذه الكلمة دنباً لا يغتفر وكان هذا سبب مقاطعته إياه .

اختبار الصدق

ولئن كانت شهادة أبي حيان معتبرة عند الحبشي إلى هذا الحد : فليأخذ بشهادته في ابن العربي بأنه حلولي فاجر بوحدة الوجود !

فقد قال أبو حيان في قوله تعالى " لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم " " ومن بعض اعتقدات النصارى استتبط من تسر بل الإسلام ظاهراً وانتمي إلى الصوفية : " استتبط " حلول الله في الصور الجميلة .

ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة كالحجاج والشوزي وابن عربي المقيم بدمشق وابن فارض والمعلمون العفيف التلمساني ٥٠ قال " وإنما سردت أسماء هؤلاء نصحاً لدين الله تعالى وليخذل المسلمون منهم " ¹¹⁰ انتهي .

فلم إذا يميل الحبشي إلى موقف أبي حيان من ابن تيمية ولا يميل إلى موقفه من ابن عربي ؟ أنه الهوي والجور .

وبهذه الطريقة أيضاً تستطيع أن تلقم هؤلاء المفترين حبراً فإن قالوا لك إن أبو حيان لعن ابن تيمية ¹¹¹ فقل لهم وكذلك لعن أبو حيان ابن عربي فهل تقبلون بحكمة في كلا الرجلين .

¹⁰⁸) مشكل الحديث وبيانه 341 .

¹⁰⁹) الدرر الكامنة ١ / ١٥٣ – ١٥٣ .

¹¹⁰) تفسير البحر المحيط ٣ / ٤٤٩ .

على ابن حيان لا يعبأ بقوله في ابن تيمية بعد أن ثبت ثناء أكابر أهل العلم عليه الثناء البالغ . فهو ليس من الأئمة المعتبرين المعروفيين الذين يؤثر قولهم على قول ابن حجر والمزي والذهبى والحافظ ابن عبد الهادى وابن رجب وغيرهم .

ابن طولون يحكي الإجماع على كفر ابن عربى
ونص ابن طولون على أن غالبية الفقهاء وجميع المحدثين يعتقدون في ابن عربى أنه مبتدع إِتْهَادِي مُلْحَدٌ " قال وسمعت الشيخ الكفر السوسي بقول : رقاهم بعض المتأخرین إلى نحو خمسة وعشرين قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز المصري والعلامة شهاب الدين أحمد بن حمدان الحراني ، وعلامة زمانه تقى الدين ابن تيمية والعلامة كمال الدين جعفر الأدفوي والحافظ بن كثير ونادرة زمنه علمًا وعملاً علاء الدين البخاري وقاضي القضاة أبو زرعة العراقي وقاضي القضاة بدر الدين العيني وشيخ الإسلام شمس الدين البلاطنسى والعلامة محمد بن امام الكاملية الصوفى ، وحافظ العصر شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى ، والفقىه تقى الدين ابن الصلاح وقاضي القضاة ابن دقيق العيد ، وبدر الدين ابن جماعة ، وشيخ الإسلام تقى الدين لسبكى ¹¹² فما زال عساكم تقولون ؟!

ثم أن محاولة تبرئة ابن العربي محاولة فاشلة فقد ثبت عليه القول بوحدة الوجود وتتمذ عليه أناس من كبار القائلين بوحدة الوجود مثل القونوى وبخاصة عبد الحق ابن سبعين الذي شنع عليه أبو حيان والذهبى وابن حجر وكذلك بدر الدين العيني الذى أثنى على موقف ابن تيمية في التشريع عليه وعلى أمثاله من القائلين بوحدة الوجود . ¹¹³

فتتمذة ابن سبعين على ابن عربي وتتأثره بتعاليمه يعتبر الدليل الأكبر على صحة نسبة كتاب الفصوص إليه لا سيما وإن ابن عين شرح الكتاب المذكور ¹¹⁴ .

موقف التقى السبكي
وقد وبخ الذهبى السبكي لتكلمه في حق ابن تيمية فأجابه السبكي برسالة أثني فيها على ابن تيمية .

قال الحافظ ابن حجر " وكتب الذهبى إلى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه في حق ابن تيمية فكان من جملة جواب السبكي .

" وأما قول سيدى الشيخ في حق ابن تيمية ، فالمملوك يتحقق كبير قدره وزخارية يحره وتوسعة في العلوم النقلية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتتجاوز الوصف والمملوك يقول ذلك دائمًا ، وقدرة " أي قدر ابن تيمية " في نفسي أكبر من ذلك وأجل ، مع ما جمعه الله له من الزهاده والورع والديانه ونصرة الحق والقيامة فيه لا لغرض سواه ، وجريه على سنن السلف وأخذ من ذلك بالماخذ الأولي ، وغرابة مثلك في هذا الزمان بل من أزمان " أنتهى قول السبكي فيما حکاه الحافظ ابن حجر وابن رجب ¹¹⁵ .

هكذا كان موقف السبكي الألب " تقى الدين " من ابن تيمية يدعوه بالرحمة بالرغم من العداء العقائدي ويصفه بـ " تقى الدين " ¹¹⁶ تهور السبكي الابن :

¹¹¹) وهل كل لاعن يكون محقاً في لعنه ؟!

¹¹²) القلاند الجوهرية في تاريخ الصالحة 2/ 538 - 539 .

¹¹³) عقد الجمان لبدر الدين العيني 2/ 86 النجوم الزاهرة للatabki . 232/7 .

¹¹⁴) مخطوط بمكتبة برلين 2849 .

¹¹⁵) الدرر الكامنة 1/ 159 الذي على طبقات الحنابلة 2/ 392 .
¹¹⁶) شفاء السقام 139 و 145 و 147 و 148 و 150 و 129 و 132 .

ولم يسلك السبكي الابن مسلك والده ، فقد يطعن في ابن تيميه بأقذع النعوت وأقبحها وانتقده الناس على ذلك حتى نسبه السخاوي إلى التعصب المقيت لقوله في طبقاته " وهل ارتفع للخانبة قط رأس " .

قال السخاوي وهذا من أعجب العجائب وأصحاب التعصب . ولذا كتب تحت خطه قاضي عصرنا وشيخ المذهب العز الكنائي ما نصبه " كذلك والله ما ارتفع للمعطلة رأس 000 " إلى أن قال عن التاج السبكي " هو رجل

1. قليل الأدب .

2. عديم الانصاف .

3. جاهل بأهل السنة ورتبهم " ¹¹⁷ انتهي .

ولقد عامل الله السبكي بما يستحق ، فقد ذكر الشعراوي في الأجوية المرضية أن الناس شهدوا على السبكي بالكفر والانحلال والزنا وشرب الخمر وأنه كان يلبس الغيار والزنار بالليل زيخلعهما بالنهار ¹¹⁸ .

قالوا ابن كثير " وعقد مجلس لقاضي القضاة السبكي بسبب عظام اتهموه بها ينبو السماع عن استماعها " ¹¹⁹

ونحن والله لا نرجو أن يكون صدقاً . ولن نسارع أو نميل إلى تصديقه . ولكن لعل الله ابتلاه بما ظلم ابن تيميه ولا بد للظالم أن يبنتي بظلم مثله .

*رأى إنصاف نتوخاه من رجل لم يتورع عن الطعن واللعن بالمخالفين لمذهبه حتى ادي به الأمر أن أكثر من النيل من شيخه الذهبي ، ولم يتورع الأدب بحقه وهو من هو الناقد البصير الذي شهدت كتبه وسيرته الحسنة بإنصافه وحسن عقيدته ولا زال أهل العلم بل والمخالفون له من أهل البدع يحتاجون بحكمه على أحاديث الحاكم في المستدرك صحة وضعفاً .

وإذا بلغ الأمر بالتاج السبكي إلى هذا الحد فما الذي يجعله يتورع عن شب شيوخه والتشهير بهم ؟! أليس هذا التطاؤل والجرأة في الطعن يجعله جديراً بما رواه السخاوي عن الكنائي من أن السبكي رجل " قليل الأدب عديم الانصاف ، جاهل بأهل السنة ورتبهم " ¹²⁰

ولذلك فلا أزال أقول : راقبوا وتأملوا سير وأخلاق ومنهج الطاعتين – المتعصبين – في ابن تيميه وقارنوهم بأولئك الانمة العدول الكبار الذين أثروا عليه : عندها تعرفون الحقيقة .

دعاؤه لابن تيميه بالمفقرة يكشف أحقاد المعاصرين

ومع طعن السبكي الكبير بابن تيميه فإنه كان يدعوه له من وقت لآخر كما قال في طبقاته " يغفر الله لابن تيميه ولا حرمه وسيلة النبي صلى الله عليه وسلم " ¹²¹ ويصفه بالشيخ تقى الدين ¹²². ومعلوم أن تقى الدين وصف له وليس اسماً .

كما كان يترجم الذهبي على ابن تيميه وكان يدعو له في كل مناسبة يذكره فيها ¹²³ خاصة بعد موته ، ودعاله الوتري ¹²⁴ والصيادي ¹²⁵ والأمام الأذرعي كما حكاه الحافظ ¹²⁶ ودعاله بدر الدين العيني بالرحمة ¹²⁷

¹¹⁷) الإعلان بالتوبیخ لمن ذم التاريخ 94 ط : الرسالة .

¹¹⁸) قلادة الجواهر 206 جلاء العينين 24 – 25 والأعلام للزرکي 184/4 .

¹¹⁹) البداية والنهاية 14 : 316 .

¹²⁰) الإعلان بالتوبیخ لمن ذم التاريخ 97 – 95 .

¹²¹) طبقات السبكي 149/10 محققة ذكر ذلك عند ترجمة والده .

¹²²) طبقات السبكي 10/167 و 195 محققة .

¹²³) المعجم المختص 25 .

¹²⁴) روضة الناظرين 141 .

¹²⁵) قلادة الجواهر 208 و 217 .

¹²⁶) الدرر الكامنة 1/ 160 .

¹²⁷) عقد الجمان 223/4

ودعاء السبكي لابن تيميه في لاطبقات نفي صاحب الرسائل السبكية والتوفيق الرباني أن يكون
السبكي قد دعا له بالمغفرة
علمات التحيز والتعصب والعلو

ومن تعصب التاج السبكي قوله عن أبيه وهو يترجم له :

"* إعلم أن باب مباحثه بحر لا ساحل له ، بحيث سمعت بعض الفضلاء يقول : أنا أعتقد أن كل
بحث يقع اليوم على وجه الأرض فهو له ، أو مستمد من كلامه وتقريراته التي طبقت الأرض .¹²⁸
وكانت دعواته تخترق السموات السبع الطباق ، وتفترق برkanها فتملاً الآفاق . وتسترق خبر
السماء .¹²⁹

وأقسم بالله انه لفوق ما وصفته ، وإنني لناطق بهذا وغائب ظني أني ما ، صفتة " إلى ان قال "
وما سافة الله حين قبضه إلا إلى جنة عدن أعدت لأمثاله من المتقين الأبرار " ¹³⁰ وما عانده أحد إلا
وأخذه الله بعقوبته سريعاً " ¹³¹

وسافر إلى مصر وكان يذكر أنه لا يموت إلا في مصر ¹³² وكان الله استثناه من الآية " وما
تدرى نفس بأي أرض تموت " فصارت : إلا السبكي .

وزعم أن رجلاً رأه في المنام فسأله عما فعل الله به فقال : فتحت لي أبواب الجنة وقال لي : أدخل
، فقلت : وعزتك لا أدخل حتى يدخل كل من حضر الصلاة علي " ¹³³
ونقل عن برهان الدين القيراطي رثاءه لأبيه قائلاً ¹³⁴ :

و محل و فد ملائكة الرحمن
فيها على الإحسان بالاحسان .
تحف الجنان على يدي رضوان .
و سعي لها رضوان بالرضوان .
حباً لها كتشوق الولدان .
والجنة العليا محل ثان .
أمسى ضريحك موطن الغفران
وتبوأت غرف الجنان وجوزيت
وتلقيت بتحية وأنت لها
واستبشرت بقدومها أملاكها
روح لها حور الجنان تشوفت
كانت لها الدنيا محلأً أولاً

وهكذا جعلوه قبره مصدر المغفرة ، وحكموا له نيابة عن الله بأنه يتقلب الآن في الجنة ، هكذا
يروح الولد لأبيه بضاعته .

- وأما أبوه فكان يتلو القرآن جهراً ولو في الحمام ، وإذا كانت له حاجة يكتب بخطه إلى الله تعالى ويعلقتها على خشبة السطح ¹³⁵.
- وكان يسعى سعياً حثيثاً إلى منصب القضاء ¹³⁶ حين كان يعتبر هروب كثرين من القضاء من قبله وفضيله . وكان قد أمر المؤذنين بزيادات طويلة بعد الإذان وقبله ¹³⁷.
- وكان الناس يبغضونه وينقمون منه ¹³⁸

¹²⁸) طبقات الشافعية 10/266.

¹²⁹) وما أدرك أيها الغالي ويحك قطعت ظهر أبيك !

¹³⁰) طبقات الشافعية 142/10 - 143 محققة وقد سقطت العبارة الآتية من النسخة المطبوعة (وإن سيظن في أمراً ما تصورته) وجاء في الطبقات الوسطى (ولو عدت ما شاهدت وحكيت ما عانيت لطال الفصل وقال الغبي النذل : ولد يشهد لأبيه .

¹³¹) طبقات السبكي 10/210.

¹³²) طبقات السبكي 10/315.

¹³³) طبقات السبكي 10/317.

¹³⁴) طبقات السبكي 10/331.

¹³⁵) طبقات السبكي 10/205 و 215 مفتاح السعادة 2/329 طاش كبرى زادة .

¹³⁶) البداية والنهاية 14 : 204 .

¹³⁷) البداية والنهاية 14 : 194 .

¹³⁸) 14 : 206 .

• وكان عصبي المزاج متعصب المنهاج لا يتورع عن وصف مخالفٍ
رأية بالزندة فقد حكى عنه الهيثمي قوله " لا ينقص الغزالى إلا حاسد أو
زنديق " ¹³⁹ والنقد عنده انتقاد .

ولا يخفاك أيها الأخ المنصف نقد كثرين للغزالى أبرزهم في ذلك ابن الجوزي وابن الصلاح
والقاضي أبو بكر ابن العربي الذي كان معاصرًا له ، والمازري وأبو كبر الطرطوشى .
قال ابن الجوزي " وجاء أبو حامد فصنف لهم كتاباً على طريقة القوم " الصوفية " وملاهٌ
بالأحاديث الباطلة وهو لا علم بطلانها ، وتكلم في علم المكافحة وخرج عن قانون الفقه ، وقال إن المراد
بالكوكب والشمس والقمر اللواتي راهن إبراهيم أنور هي حجب الله ولم يرد هذه " الكواكب " المعروفات
هذا من جنس كلام الباطنية ، وأن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون
منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد . ثم يرقى الحال من مشاهدة الصور إلى درجات يضيق عنها نطاق
النطق " ¹⁴⁰ .

وأوصي الغزالى سالك التصوف أن " لا يفرق كره بقراءة القرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب
حديث " وذكر في ميزان العمل " 31 " أنه رغب مرة في قراءة القرآن فمنعه شيخه الصوفي من ذلك
قائلًا " السبيل أن تقطع علاقتك من الدنيا بالكلية " فجعل تلاوة القرآن من مشاغل الدنيا .

طلب علم الحديث ركون إلى الدنيا ؟؟

وأما طلب علم الحديث فقد نقل عن الداراني قوله " إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج
أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا لأن الزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله
عز وجل " ¹⁴¹ .

علق ابن الجوزي على ذلك قائلًا : " عزيز أن يصدر هذا الكلام من فقيه ، فإنه لا يخفي قبحه فإنه
طر لبساط الشريعة التي حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم ¹⁴² فهل تعتبر الزندة في نقد ابن الجوزي أما
مإذا ؟

غير ان المتعصبين أول ما يتدارس إليهم عند نقد من يحبونه أنه طعن فيه ولا ينصفونه ولا يتقبلون
نقده مع إحسان ظن ولا ينظرون نظرة تجرد وغيره على الدين ولا إلى ما وراء نقد الخطاطين من صيانة
للدين ومن هنا يسارعون إلى الطعن والتشكيك في مصداقية الناقد في نصحه بل في نيته ، ولا ينظرون
نظرة واقعية متجردة إلى ما فيه قيام الدين .

¹³⁹) الزواجر 2/379 الإعلام بقواعد الإسلام 77 .

¹⁴⁰) تلبيس أبيض 166 وأنظر المنفذ من الضلال للغزالى 50 .

¹⁴¹) الأحياء 1/61 و 2/24 و 2/237 و 4/229 .

¹⁴²) تلبيس أبيض 323 .

هجاء السبكي لابن تيمية والرد عليه في ذلك

هذا ويحتاج الحبشي ببعض أبيات السبكي يقول فيها:
ولابن تيمية رد عليه وفي

يشوبه كدر في صفو مشربه
حيث سير بشرق أو بمغربه
في الله سبحانه عما يظن به
ترك الزيادة أقفوا إثر سببها

لأنه خلط الحق المبين بما
يحاول الحشو أنى كان فهو له
يرى حوادث لا مبدأ لأولها
كماردت عليه في الطلاق وفي

ولقد رد عليها اليافعي [وهو عبد الله بن أسعد بن علي وقصيدته لا تزال مخطوطة
محفوظة في مكتبة شيستربيتி بإيرلندا رقم (3/4907) تحت عنوان (قصيدة فريدة) ومصورة في
جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، وذكرها الألوسي كاملة في جلاء العينين [19] بقصيدة
مطولة جاء فيها:]

اليافعي يستعرض كلام السبكي

قاضي القضاة تقى الدين وانتبه
يبغي من الأمر ما لا يستق به
الروافض رداً غير مشتبه
بفضله فضلاء الناس والنبله
بما أزال من الإشكال والشبه
وقال أبيات شعر غير منجبه

وبعد فاسمع كلاماً قد تقوله
أعني أبا الحسن السبكي حين غدا
فقال ذلك إذ رد الإمام على حزب
أعني ابن تيمية الحبر الذي شهدت
فاستحسن الرد حتى راح يمدحه
لأنه بعد هذا المدح خالفه

أبيات السبكي في حق ابن تيمية

من أجهل الناس في علم وأكذبه
لهجة الرفض واستقباح مذهبه
داع إلى الرفض غال في تعصبه
بمقصد الرد استيفاء أضربه

إن الروافض قو لا خلاق لهم
والناس في غنية عن رد إفكهم
وابن المظفر لم تظهر خلائقه
ولابن تيمية رد عليه وفي

يشوبه كدر في صفو مشربه
حيث سير بشرق أو بمغربه
في الله سبحانه عما يظن به
ترك الزيارة أقفو إثر سببها
هذا وجوهره مما أظن به
ولبسه أنمى بعض أضربه

لكنه خلط الحق المبين بما
يحاول الحشو أنى كان فهو له
يرى حوادث لا مبدأ لأولها
كماردت عليه في الطلاق وفي
وبعده لا أرى للرد فائدة
هذا الذي قاله السبكي مرتجلاً

رد اليافعي على اتهامات السبكي

عبد يرد عليه في تأدبه
الزمت نفسك أمراً ما أمرت به
العباس أحمد أمر لا يخص به
يشوبه كدر في صفو مشربه
حيث سير بشرق أو بمغاربه
في الله سبحانه عما يظن به
ماضين ما خرجوا عما أقر به
حازوا الفخار بأمر غير مشتبه
فقد ردت عليهم فبادر وانتبه
يرون ما قاله من غير ماجبه
بل بالجميع وهذا موضع الشبه
ليستبين خطاهم من مصوبه
يشوبه كدر في صفو مشربه
وكلهم أنت تقفو إثر سببها
فنسبة للمر تلغى عند مطلبها
من الكتاب ودع ما قد هذوت به
بها النصوص بلا ريب ولا شبه
بها يقينا يراها من أقر به
عن الحدوث كما تأتيك فانتبه

فقال مرتجلاً للحق منتصراً
يا أيها الرجل الحامي لمذهبك
وما عزوتهم إلى الشيخ الجليل أبي
في قولكم خلط الحق المبين بما
يحول الحشو أنى كان فهو له
يرى حوادث لا مبدأ لأولها
لقد علمتم بأن السلف الـ
هم القرون الأولى في نص سيدنا
لئن ردت عليه في مقالته
ثم الأئمة أهل الحق كلهم
فردكم ليس مخصوصاً بواحدهم
هلا جمعت الأولى قالوا بمقالاته
فكلاهم خلط الحق المبين بما
فكلاهم كان حشواً لديك يرى
وانظر إلى مطلب حاولته طلب
وخذ أدلة ما قالوه واضحة
فللإله صفات الذات قد وردت
كماتراها على قسمين قائمة
هو القديم بأوصاف منزهة

فرد جليل عظيم الشأن فارض به
ومثلها في المعاني غير مشتبه
وقس عليه وراغ الفرق تنجز به
يجيء يأتي بلا كيف ولا شبه
وواهق قبل مقهور يكون به
ورازق قبل مرزوق بأضربه
والامر ويحك لا شك يقوم به
منزلات كلاماً لا شبيه به
إذا يشاء وهذا الحق فارض به
بالنص فافهمه بانومان وانتبه
قديمة مثله من غير ما شبهه
من غير شائبة للتكييف والشبه
يقول جهنم ومن والاه في الشبه
يدلي بأخبار معمود وأغربه
وليس يدرى رباً يلوذ به
يرى أمانيه تسري لمركبته
حققت عقلاً ولا نقاً ظفرت به
هو عادة الله في قال لمذهب
فما علوت عليه بل علوت به
ترك الزيارة أمراً لا يقول به
أزال فيها صدا الإشكال والشبه
لكل ذي فطة في القول والنبوه
فالله ينصفه من رماه به
سقى الآكام بها من صفو مشربه
شد الرجال إليها فوق مركبته
خير القرون الأولى جاءوا بمذهب

حي سميع بصير قادر صمد
فهذه كلها ذاتية وردت
كذلك فعليه فانتظر مثالهما
يحب ببعض يرضى يستجيب يرى
وخلق قبل مخلوق يكونه
وراحم قبل مرحوم فيرحمه
عن أمره صدر المخلوق أجمعه
وقد تكلم رب العرش بالكتب الـ^{الـ}
ولم يزل فاعلاً أو قائل أزلاً
هذى حوادث لا مبدأ لأولها
إذ هل صفات لموصوف تقوم به
ومذهب القوم مروي كما وردت
ولا يرون بتعطيل الصفات كما
ما شبه الله إلا عابد صنمأ
ولا يعطيل إلا عابد عدما
سوى أباطيل ما يختاره عثما
وما رددت عليه في الطلاق فما
بل فاسدقصد أعيا الذهن منك كما
نزلت حول حماه كي تنازله
وما نسبتم إليه عند ذكركمو
فقد أجبكمو فيها بأجوبة
وقد تبين هذا في مناسكه
رميتموه ببهتان يشان به
وفي الجواب أمور من تدبرها
ولم يكن مانعاً نفس الزيارة بل
مستمسكاً بصحيح القول متبعاً

وقال آخر

تشعر وعجبت عن المرعى وأخصبه
الله بل للمراء أقبح منصبه
في محضر الخصم أما في مغيبه
أجبت قبل بسهم من مصوبه
عرین تسمع فيه ضبع ثعلبه
مالم يقله ولم تمرر بسببته
إما حديث ضعيف عند مطلبها
على مرادك بل هدم لمنصبه

فضحت نفسك في هذا المقال ولم
عرفتنا أن ما قد قلت ليس لوجهه
إذ لو أردت بيان الحق قلت به
ما ذاك صدك بل خوف الجواب كما
لكن إذا الأسد الضراغم غاب عن الـ
وفي الزيارة لم تتصف ردت على
رد ملخص أشياء ذكرها
إما صحيح ولكن لا دليل به

ثناء الحافظ بن حجر على بن تيمية ووصفه بشيخ الإسلام

إن أهم الأدلة على ثناء الحافظ علي ابن حجر على بن تيمية ما قاله فيه عند تفريطه في كتاب الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمية كافر لأن ناصر الدين المشقي كما أثبته السحاوي في كتابه الجواد والدرر في ترجمة الحافظ بن حجر قال فيه ما نصه
قال السحاوي في الجواد والدرر في ترجمة الحافظ بن حجر¹⁴³ في معرض سرد تفريطات ابن حجر لكتب ما نصه .

" ومن ذلك ما كتب به في الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمية شيخ الإسلام كافر لحافظ الشام ابن ناصر الدين في سنة خمس وثلاثين وحدث به في أوآخر السنة التي تلتها بالشام بقراءة صاحبنا النجم الهاشم .

الحمد لله وسلام علي عبادة الذين أصطفى .. وفقت على هذا التأليف النافع المجموع الذي هو المقاصد التي جمع لأجلها جامع . فتحققت سعة إطلاع الإمام الذي صنفه ، وتضلعه من العلوم النافعة بما عظمة بين العلماء وشرفه .

وشهرة إمامه الشيخ تقى الدين أشهر من شمس ، وتلقى بشيخ الإسلام في عصره باق إلى الأن على الآلسنة الزكية ويستمر غداً كما كان بالأمس ، ولا ينكر ذلك إلا من جهل مقداره أو تجنب الانصاف مما أكثر غلط من من تعاطي ذلك وأكثر عثاره فالله تعالى هو المسؤول أن يقينا شرور أنفسنا وحصادن السنننا بمنه وفضله .

ولو لم يكن من الدليل على إمامته هذا الرجل إلا ما نبه عليه الحافظ الشهير علم الدين البرزالي في تاريخه أنه لم يوجد في الإسلام من اجتمع في جنازته لما مات ما اجتمع في جنازة الشيخ تقى الدين ، وأشار إلى أن جنازة الإمام أحمد كانت حافلة جداً شهدتها ما بين ألف ، ولكن لو كان بدمشق من الخالق نظير من كان ببغداد بل أضعاف ذلك لما تأخر أحد منهم عن شهود جنازته .

وأيضاً فجميع من كان ببغداد إلا أقل كانوا يعتقدون إماماً الإمام أحمد وكان أمير بغداد وخليفة الوقت إذ ذاك في غاية المحبة له والتعظيم ، بخلاف ابن تيمية فكان أمير حين مات غائباً ، وكان أكثر من في البلد من الفقهاء فتعصبو عليه حين مات محبوساً بالقلعة ، ومع هذا فلم يتخلص منهم عن حضور جنازته والترحم عليه والتاسف عليه إلا ثلاثة أنفس تأثروا خشية على أنفسهم من العامة .
ومع حضور هذا الجمع الكبير والعظيم فلم يكن لذلك باعث إلا على اعتقاد إمامته وبركته لا بجمع سلطان ولا غيره .

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنت شهود الله في الأرض .
ولقد قام علي الشيخ تقى الدين جماعة من العلماء مراراً بسبب أشياء أنكروها عليه من لا اصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك مجالس بالقاهرة ودمشق ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفنى بزندقته ظلام حكم بسفك دمه مع شدة المتعصبين عليه حينئذ من أهل الدولة ، حتى حبس بالقاهرة ثم بالاسكندرية ، ومع ذلك فكلهم معترض بسعة علمه وكثرة ورعيه وزهده ووصفه بالسخاء والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الإسلام والدعاء إلى الله تعالى في السر والعلنية .

فكيف لا ينكر علي من أطلق أنه كان كافراً بل من أطلق علي من سماه شيخ الإسلام الكفر . وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك فإنه شيخ الإسلام بلا ريب .
والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي ولا يصر علي القول بها بعد قيام الدليل عليه عناداً .

¹⁴³) المخطوط موجود في مكتبة طوبقيو بتركيا رقم المخطوط 1992 .

و هذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبرير منه ، ومع ذلك فهو بشؤ يخطئ ويصيب فالذى أصاب فيه – وهو الأكثر – يستفاد منه ويترحم عليه بسببه ، والذى أخطأ فيه – بل هو معدور – لأن أئمة عصره شهدوا له بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه حتى كان أشد المتشعدين على القائمين في إيصال الشر إليه وهو كمال الدين الزمل堪ى يشهد له بذلك ، وكذلك الشيخ صدر الدين ابن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره .

ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان أعظم قياماً على أهل البدع من الروافض والحلولية والاتحادية ، وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة ، وفتاويه فيها لا يدخل تحت الحصر .

فيا قرة أعينهم إذا سمعوا تكفيه ويا سرورهم إذا رأوا من يكفره من أهل العلم .

فالواجب على من تibus بالعلم وكان له عقلاً من تصانيفه المشهورة أو من السنة من يوثق به من أهل النقل فيفرد من ذلك ما ينكر فيحذر منه على قصد النص ، ويثير عليه بفضائله فيما أصاب من ذلك كذاب غيره من العلماء .

ولو لم يكن للشيخ تقى الدين من المناقب الا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكنه غاية في الدلالة على عظيم منزلته – فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلاً عن الحنابلة .

فالذى يطلق عليه – مع هذه الأشياء – الكافر أو على من سماه شيخ الاسلام لا يلتفت إليه ولا يعول في هذا المقام عليه بل يجب ردعه عن ذلك إلى ان يرجع الحق ويدعن للصواب .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل "

انتهى كلام الحافظ بن حجر رحمة الله وهو كلام نفيس جداً .

احتاجه الدائم بابن تيميه

ويكفيك من ثناء الحافظ بن حجر على بن تيميه احتاجه بأقواله وأقوال تلميذه ابن القيم في العديد من المسائل ويصفه بـ "العلامة" و الحافظ وقد احتج بحكم بن تيميه على زيادة " كان الله ولا مكان " بأنه لا أصل لها . قال الحافظ بن حجر في الفتح " 6 / 289 " ما نصه .

"تنبيه : وقع في بعض الكتب في هذا الحديث " كان الله ولا مكان " " وهو الان على ما عليه كان " وهي زيادة ليست في شئ من كتب الحديث نبه على ذلك العلامة تقى الدين ابن تيميه ، وهو مسلم في قوله " وهو الان " إلى آخره ¹⁴⁴

وهذه الرواية معتمد الاحباش وغيره يتمسكون بها ويعارضون بها كثيراً من نصوص الآيات والأحاديث .

فهذا يبين منزلة بن تيميه عند الحافظ رحمة الله . قال الحافظ بعد موت بن تيميه فهل خفي عليه آخر حال بن تيميه كما تدعون ؟

وشهد لأبن تيميه استحقاقه مرتبة " حافظ " واحتج بحكمة علي درجة الاحاديث كما في كتاب " التلخيص الحبير 3 / 109 "

وحكى المرتضى الزبيدي في شرح الأحياء " 1 / 449 " عن الحافظ العراقي احتاجه بحكم بن تيميه على الحديث فقال عن حديث " الشيخ في قومه كالنبي في أمتة " قال العراقي : وسئل عنه الشيخ تقى الدين ابن تيميه في جملة أحاديث فأجاب بأنه لا أصل له "

قال الحافظ " وقرأت بخط الحافظ صلاح الدين العلائي عن وصف بن تيميه منها قوله " متعنا الله بعلمه الفاخرة ونفعنا به في الدنيا والآخرة وهو الشيخ الإمام العالم الرباني والبحر البحري القطب النووي إمام الأئمة برقة الأمة وارث علوم الأنبياء : آخر المجتهدين واحد علماء اليدن شيخ الإسلام ، قدوة الانام برهان المتعلمين ، قامع المبتدعين سيف المناظرين بحر العلوم كنز المستفدين ، ترجمان القرآن أعجوبة الزمان ، فريد العصر والآوان ، تقى الدين إمام المسلمين ، حجة الله على العالمين ،

اللاحق بالصالحين والمشبه بالماضيين ، مفتی الفرق ، ناصر الحق ، علامة الهدی عمدة الحفاظ فارس المعانی والألفاظ رکن الشريعة ذو الفنون البدیعة أبو العباس بن تیمیة ¹⁴⁵ .
ولم یقل الحافظ " هذا المدح كان قبل أن تفسد عقیدة بن تیمیة كما یزعمه المفتری .

موقف الذهبی من ابن تیمیة

وحقیقة النصیحة الذهبیة المزعومة

وأوردوا ما یسمی ب " النصیحة الذهبیة " زعموا نسبتها للذهبی وجھها إلى ابن تیمیة
وهي رسالتہ :

* لم یعرف عنه أبداً .

* ولم یذكرها أحد ممن أعتنی بمؤلفات الذهبی .

* أنها كتبت بخط خصم ابن تیمیة وهو بن قاضی شھبة علی زعم ناشرها المقدسی
بتعليقات الكوثری . فهي محکمة أشعریة أو قل تحکم أشعری .

* وهي تخالف اخر ما كتبه عنه الذهبی .

* أن أهل كتاب الذهبی ورد فيه کلام علی بن تیمیة ینادي بأن هذه النصیحة جھمیة لا
ذهبیة ولا تعدو نصیحة أعتبره صاحبها " ذهبیة " وليس كل الذهب حکراً علی الذهبی ! .
آخر أقوال الذهبی قبل موته .

ومن يطلع علی کلام الذهبی عن بن تیمیة بعد وفاته یتأكد له كذب هذه الرسالة
المزعومة . فلا يوجد کتب للذهبی إلا وفيه الثناء علی ابن تیمیة لا سيما بعد موته . وإذا انکره
الذهبی قال " شیخنا " وتارة يقول " شیخ الإسلام " ¹⁴⁶ مثل ذلك .

قال في كتاب دول الإسلام " وفي ذي القعدة توفی بالقلعة شیخ الإسلام تقی الدین احمد
بن عبد الحلیم ابن تیمیة الحرانی ، عن سبع وستین سنة وأشهر ، وشیعه خلق أقل ما حزرروا
بستین ألفاً ، ولم یختلف بعده من يقاربه في العلم والفضل " ¹⁴⁷

وقال في تذكرة الحافظ " كان بحور العلم ومن الاذکیاء المعدودین ، والزهاد والافراد
الشجعان الكبار والكرماء الاجواد : اثنی علیه الموافق والمخالف وسارط بتصانیفه الرکبان
وقد امتحن وأوذی وحبس بقلعة مصر والقاھرة والاسکندریة وبقلعة مصر مرتين وبها توفی
ثم جهز وأخرج إلى جامع البلد فشهده أمم لا يحصون فحرزوا بستین ألفاً . وقد انفرد بفتاوی
نیل من عرضه لأجلها . وهي مغفورة في بحر علمه ، فما رأیت مثله " ¹⁴⁸

" نصر السنة بأوضح حجج وأبهى براھین ، وأوذی في ذات الله من المخالفین ،
واخیف في نصر السنة المحضة حتى أعلى الله منارة وجمع قلوب أهل التقوی علی محبته "
¹⁴⁹ والدعاء له وكبت أعداءه وأحيا به الشام : بل والاسلام ، وهو أبر من أن ینبه علی سیرته
مثلي فلو حلفت بين الرکن والمقام لحافت أني ما رأیت بعینی مثله . ¹⁵⁰ وقال في المعجن
المختص " فوالله ما مقلت عینی مثله ولا رای هو مثل نفسه " ¹⁵¹

¹⁴⁵) الدرر الكامنة 159 – 160 وللمزيد طالع الكتاب المذکور . وأنظر كتاب الأشباه والنظائر 3/ 681 – 683 للسيوطی .

¹⁴⁶) سیر أعلام النبلاء 7/ 373 و 11 / 350 و 156/21 و 161/21 .

¹⁴⁷) دول الإسلام للذهبی 237 ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974 .

¹⁴⁸) تذكرة الحافظ 4/ 1497 .

¹⁴⁹) ولذا بغضّة قلوب أهل الكلام لأنهم كما وصفهم أبو حنیفة (ليس عندهم ورع ولا تقوی) سیر أعلام النبلاء 6/ 399
مفتاح دار السعادة 2/ 136 والذیل على طبقات الحنابلة 2/ 389 – 390 .

¹⁵⁰) الذیل على طبقات الحنابلة 2/ 390 .

¹⁵¹) المعجم المختص 25 تحقيق محمد حبیب الھیله .

ونقل الحافظ ابن رجب عن الذهبي ان ابن تيميه " كان إماماً متبhraً في علوم الديانة . صحيح الذهن ، سريع الإدراك ، سيال الفهم كثير المحسن ، موصوفاً بفرط الشجاعة والكرم ، فارغاً عن شهوات المأكل والملابس والجماع ، لا لذه له إلا نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه " ونقل الذهبي عن إعجاب ابن سيد الناس به قوله " أن تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته أو ذاكر بالحديث فهو ذو رايته . برز فب كل فن على أبناء جنسه ، ولم تر عيني مثله ولا رأت عينه مثل نفسه " ¹⁵²

فهذا الثناء البالغ من الذهبي علي بن تيميه لا يتفق و " النصيحة الذهبية " المزعومة . وقال الذهبي " قد سجن غيره مرة ليفتر عن خصومه يقصر عن بسط لسانه وقلمه ، وهو لا يرجع ولا يلوى علي ناصح إلي أن توفي معتقلًا بقلعة دمشق ، وشيعه أمم لا يحصون إلى مقبرة الصوفية ، غفر الله له ورحمه أمين ¹⁵³ انتهي .

أوردت هذا النص لأن أتباع الحبشي زوروا كلاماً علي الذهبي ونسبوا إليه في هذا الكتاب أن بن تيميه معجب برأية جرئ علي الامور ¹⁵⁴ وهذه العبارة لم ترد في حق بن تيميه وإنما وردت في ترجمة بن القيم ¹⁵⁵ وحول ثبوتها كلام . فقد جاء في النسخة الأصلية من كتاب المعجم " جري عليه أمر " ولكن وردت في الدور الكامنة " معجب " حول إثباتها في النسخة المخطوطة كلام .

فواعجبنا من الكذب ومن تصرفهم في نصوص الكتب . ومن أراد التأكيد فليسأل صاحب دار عالم الكتب كيف تصرف كمال الحوت في نص الكتاب الذي أرسله الشيخ عبد الفتاح أبو غدة للطبع مما أثار سخط صاحب الدار عليه وجعله يطرده من داره لينظر ما إذا فعل الأحباش بكتاب " تحفة الانام " للشيخ عبد الباسط فاخوري حيثأسقطوا منه ما يقارب الست صفحات . فهذا الذهبي يثبت علي الثناء البالغ وبذكر علمه وفضله ، وبخلاف ما زوروه عليه ، لا سيما تلك النصيحة المزعومة التي تختلف كل مصنفات الذهبي التي بين أيدينا .

وقال في كتاب زغل العلم " فوالله ما رمت عيني أوسع علمًا ولا أقوى ذكاء من رجل يقاله ابن تيميه مع الزهد في المأكل والملابس والنساء مع القيام في الحق والجهاد بكل ممكן 000 مقتته نفوسهم وازدوا به وكذبوا به وكفروه إلا لل الكبر والعجب وفرط الغرام في رياضة المشيخة ومحبة الظهور نسأل الله تعالى المسامحة ، فقد قام عليه أنس ليسوا بأروع منه ولا بأعلم منه ولا أزهد منه ، بل يتتجاوزون عن ذنوب أصحابهم وأثام أصدقائهم . وما سلطهم الله عليه بتقواهم وجلالتهم بل بذنبه ، وما دفع الله عنه وعن أتباعه أكثر وما جري عليهم إلا بعض ما يستحقون ¹⁵⁶

فهذه شهادة الذهبي المنشورة في كتبه منها ما كتبه في حياة ابن تيميه ومنها ما كتبه بعدها ، فمنذ متى تقدمون أبا حيان النحوي اللغوي علي الذهبي المحدث الناقد في الجرح والتعديل ؟ هل صار أبو حيان ناقداً في الجرح والتعديل مقدماً - في حكمه علي الرجال - علي كل هؤلاء العلماء الحفاظ الذين أثروا علي ابن تيميه كالبزار والمزي ؟

تزوير آخر من الحبشي

¹⁵²) الذيل على طبقات الحنابلة 2/390.

¹⁵³) المعجم المختص 25.

¹⁵⁴) الرسائل السبكية في الرد على ابن تيمية 78.

¹⁵⁵) أنظر المعجم المختص 269.

¹⁵⁶) كتاب زغل العلم تحقيق محمد بن ناصر العجمي ط : الصحوة الكويت .

ويضاف إلى تزوير الحبشي على أبي حنيفة والطحاوي "كما مر معنا" هذا التزوير حيث أستغل الحبشي جملة "وما جري عليهم إلا بعض ما يستحقون" وجملة "وما سلطهم الله عليهم بتقواهم وجلالتهم بل بذنبه"¹⁵⁷ استغلاً سينماً وزعم أن هاتين الجملتين في النص صريحتان في طعن الذهبي بابن تيمية . وهو كذب وتلقيق على النص فإن المقام في النص مقام ثناء لا ذم وكيف يكون ذمًا وهو وكيف يكون ذمًا وهو يقول "فوالله ما رمقت عيني اوسع علمًا ولا اقوى ذكاء من رجل يقال بن تيمية ويقول "فقد قام عليه اناس ليسوا باروع منه ولا باعلم منه ولا بازهد منه .

فانظر كيف ينصرف عن نعن صريح كلام الذهبي في النصوص الأخرى التي كتبها بعد موت ابن تيمية حتى دفعه الجور وعدم انصافه إلى الاعراض عن صريح ثناء الذهبي هلي ابن تيمية وبني على المبهم من الكلام ما يوافق هواه .

فاما العبارة "جري هليهم الا بعض ما يستحقون" فالمعنى أنها اعداء ابن تيمية حين تغير السلطان القديم الذي كان يطيعهم في سجن ابن تيمية فلما استولى السلطان السابق بخوله السجن فرفض قائلاً "من إذاني فهو في حل مني ، ومن آذني الله ورسوله فالله ينتقم منه . وانت إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم "¹⁵⁸

وقد جري على السبكي فتن ومحن فقد شهد عليه الناس بالكفر والانحلال وشرب الخمر وغير ذلك من الاتهامات¹⁵⁹ وتعرض الحصني لنقطة أهل الشام عليهم وإذلالهم له¹⁶⁰ ونقل السحاوي معاقبة المقرizi للحصني على تفحشه وببالغته في ابن تيمية وكذا نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني الشئ نفسه عن ابن قاضي شهبة
واما العبارة الثانية " بل بذنبه " بل بذنبه " فقد أجلب الحبشي عليها بخيله ورجله ونفخ الشيطان وزعم انها صريحة في ذم الذهبي له .
وهذا باطل :

فقد قال الذهبي عن مالك - حين ابتدأ وثبت على الابتلاء - مانصه " هذه ثمرة المحن المحمودة ، انها ترفع العبد عند المؤمنين ، وهي بكل حال بما كسبت ايدينا ويعفو عن كثير "¹⁶¹

فوضح مقصودة أن الله يجعل من طعن الآخرين وحسدهم سبباً يکفر به عن ذنوب أهل العلم والفضل كابن تيمية ويبتليهم بذلك :

1. فالذهبى من كبار أئمة الجرح والتعديل والحكم على الرجال .
2. وهو من المأمور بحكمهم على الحديث والحبشى معترف بذلك حين اشتهر لقبه تصحیح الحاکم : أن يوافقه الذهبى .
3. وقد عاصر الذهبى بن تيمية وعرف تفاصيل أحواله . فلماذا تعرض عن شهادته فيه وتقبل شهادة رجل كالحبشى له بالكفر ؟
4. أن الذهبى بالغ في الثناء على بن تيمية في الكتب التي كتبها بعد موته كالمعجم المختص ودول الإسلام وغيرها من غير أن يذكر نقداً واحداً مما تضمنته النصيحة المكتوبة وهذا أكبر دليل على كذبها .

¹⁵⁷) المقالات السنوية في كشف ضلالات ابن تيمية 18 .

¹⁵⁸) العقود الدرية 195 .

¹⁵⁹) الأعلام للزركي 184/4 قلادة الجواهر 206 جلاء العينين 24 – 25 البداية والنهاية 14 : 316 .

¹⁶⁰) أنظر البدر الطالع للشوکانی 1/28 .

¹⁶¹) سير أعلام النبلاء 8/81 .

شهادة الحبشي لا يعتد بها

وذكر الحبشي أن الألسن اتفقت بالثناء على بن تيميه إلا من لا يعتد به وأن الناس في شأن هذا الرجل قسمان :

1. قسم يرميه بالعظام .

2. وقسم آخر يبالغ في وصفه ويتجاوز به الحد .

وهذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحر في المعرف العلمية ويفوق أهل عصره ويدين بالكتاب والسنّة . فأنه لابد أن يستنكِر المقصرون ، ويقع له معهم محنّة بعد محنّة . ثم يكون من الأعلى قوله الأولى ويصير له بذلك الزلزال لسان صدق في الآخرين ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره .

وهكذا حال هذا الإمام ، فإنه بعد موته عرف الناس مقداره ، واتفقت الألسن بالثناء عليه إلا من لا

يعتد به¹⁶²

وقال الكتاني " ابن تيميه من الأفراد الذين كثُر الخلط فيهم بين مُكفر وبين ذاهب بهم إلى منزلة المعصومين . والإنصاف فيه قول الحافظ بن كثير " كان من كبار العلماء ومن يخطئ ويصيب ولكن خطأه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر ن وخطأه أيضاً مغفور له كما في الصحيح "¹⁶³

وقال فيه ابن شاكر في " فوات الوفيات " ٥٠ وصار بن تيميه " من أئمة النقد وعلماء الأثر مع التدين والذكر والصيام والزراحة عن حطام هذه الدار ، ثم أقبل على الفقه ودقائقه ، أما أصول الدين ومعرفة أقوال الخوارج والروافض والمعتزلة والمبتدةعة فكان لا يشق فيها غباره مع ما كان عليه من الكرم الذي لم يشاهد مثله ، والشجاعة المفرطة والفراغ من ملاذ النفس "

ثم نقل عن الذهبي قوله " ٥٠٠ وكان قوله بالحق نهاء عن المنكر ذا سطوة وإقدام وعدم مداراة

¹⁶⁴ "

اتهام ابن تيميه بأنه من المشبهه

وزعم الحبشي أن ابن تيميه يشبه الله بخلقه ، غير أن الحافظ ابن حجر نص على أن التشبيه والتجمسيم شيء ينسبه الناس إلى ابن تيميه¹⁶⁵ وهي طريقة أهل الكلام المعتادة في إلزام الخصم بما لا يلزم وهي عين طريقة المعزلة في إلزام الأشاعرة بالتجمسيم لإثباتهم رؤية الله والصفات السبعة .

البوطي يحكم بکذب السبكي وإضرابه

وينفي عن ابن تيميه تهمة التجمسيم

قال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي " ونحن نعجب عندما نجد غلاة يكفرون ابن تيميه رحمة الله ويقولون أنه كان مجسداً ، ولقد بحثت طويلاً كي أجد الفكرة أو الكلمة التي كتبها أو قالها ابن تيميه والتي تدل على تجمسيمه ، فيما نقله عنه السبكي أو غيره فلم أجد كلاماً في هذا قط¹⁶⁶ كل ما وجدته أنه في فتواه يقول " أن الله يداً كما قال واستوياً على العرش كما قال ، وله عين كما قال "

¹⁶²) البدر الطالع 1/ 65 .

¹⁶³) فهرس الفهارس لعبد الحفي الكتاني 201/ 1 - 202 تحقيق أحسان عباس .

¹⁶⁴) فوات الوفيات 5/ 1 و 74 - 80 تحقيق أحسان عباس .

¹⁶⁵) الدرر الكامنة 1/ 155 .

¹⁶⁶) وهذا والله الحمد شهادة على تعدى السبكي وظلمه لابن تيمية وأن اتهامه له كان زوراً وعدواناً منه .

وأضاف البوطي " ورجعت إلى آخر ما كتبه أبو الحسن الأشعري وهو كتاب الأبانة – فرأيته هو الآخر يقول كما يقول ابن تيمية وأقرأوا كتاب الإمام أبي حسن الأشعري " الأبانة " الذي يقول فيه نؤمن أن الله يداً كما قال ، وأنه على العرش استوي كما قال " إذن فلماذا نحاول أن نعظام وهم لا وجود له ؟ ولماذا نحاول أن ننفخ في نار شقاق ؟ والله سبحانه وتعالى سيحاسبنا على ذلك ¹⁶⁷ انتهي كلامه النفي . لكن الحبشي يريد نفخ الشقاق كما نفخها من قبل في موطن هرار ، ولذلك حكم علسي كفر ابن تيمية بالاجماع ، ويبدو أنه يعني بالإجماع : إجماع حسنة من المتعصبين .

ولقد تعقب الشيخ إبراهيم الكوراني في إفاضة العلام من اتهم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بالتجسيم قائلاً :

" أما إثبات الجهة والجسمية إليهما فقد تبين حالة وإنهما لم يثبتا الجسمية أصلاً بل صرحاً بنفيها في غير غير موضع من تصانيفهما " وقد احتج الألوسي بكلام الكوراني في تبرئة ابن تيمية من تهمة التشبيه والتجسيم ¹⁶⁸ وبرأه من تهمة التجسيم والتشبيه قائلاً " حاشا لله تعالى أن يكون من المحسنة ! بل هو أبرا الناس منهم " ¹⁶⁹

والاتهام بالتجسيم ناشئ عن القاعدة الكلامية أن الأجسام متماثلة فبسبب هذا هربوا من إثبات ما أثبته الله لنفسه وهذه القاعدة مبنية على جهل بحقيقة الأجسام : فإن الأجسام مختلفة فالهواء جسم وليس كالماء وأبدان الحيوان ليست كأجسام الحديد فإذا كانت الأجسام المخلوقة تتفق في لفظ الجسم وتختلف حقيقها فما بين المخلوق أولى مع العلم أن لا أطلق على الله بأنه جسم فهو بدعة لا نفي ولا نثبت ولا يوصف الله إلا بما وصف نفسه .

أذوبة الاستقرار على بعوضة .

وقد موه بعضهم بعبارة نسبها لأبن تيمية إنما هي في الحقيقة عبارة لعثمان بن سعيد الدرامي نقلاً عن ابن تيمية من كتابه " الرد على بشر المرسي " ص 85 . ونص العبارة كالتالي " ولو شاء لاستقر على ظهر بعوضة ، فاستقلت بقدرته ولطف ربوبيته ، فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات والأرض " " بيان تلبيس الجهمية 1 / 568 .

وهذا من أعظم الافتراضات على بن تيمية رحمه الله ، وعلى أقل تقدير فقد يرد السؤال التالي : إذا كان ليس من كلامه فلماذا أرد بنقله لهذا الكلام من الدرامي أراد ؟

فالجواب أن الدرامي أراد بذلك أن الله غني عن العرش غناه عن البعوضة سواء بسواء . ويؤكد ذلك ما قاله في " مجموع الفتاوى " ص 2 / 88 " وإذا كان المسلمون يكفرون من يقول : إن السموات نقله أو تظله لما في ذلك من احتياجاته إلى مخلوقاته ، فمن قال " أنه في استوانه على العرش محتاج إلى العرش كاحتياج الرسول إلى حامله ، فإنه كافر "

أذوبة قصة ابن بطوطة

ويحتاج الحبشي وأصحابه برواية ابن بطوطة المكذوبة على ابن تيمية بل والتي ربما كانت مكذوبة على ابن بطوطة نفسه كما ستعلم .

فقد ذكروا ¹⁷⁰ أن ابن بطوطة دخل المسجد الأموي بدمشق ورأي بن تيمية على المنبر وهو يقول " إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزولي هذا " ثم نزل درجة من المنبر ¹⁷¹

*أن رحلة ليست من كتب التاريخ المعتمدة ، وليس مؤلفها معروفاً من أهل العلم ، وإنما كان من عوام المتصوفة . وقد غلب على رحلته زيارة أضرحة الأولياء والتبرك بقبورهم وتقبيل أعتابها حتى أن الشيخ حسن السائح أشار إلى هذه الحقيقة في مقدمته لكتاب تاج المفرق " في تحلية علماء المشرق "

¹⁶⁷) ندوت أتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر 264 – 265 مجموعة محاضرات أقيمت في البحرين عام 2/25 1985 .

¹⁶⁸) جلاء العينين 569 .

¹⁶⁹) جلاء العينين 340 .

¹⁷⁰) أنظر مجلتهم مellar " الهدي " 50/15 .

¹⁷¹) رحلة ابن بطوطة أو تحفة الناظر في غرائب الأمصار 110 .

للشيخ خالد بن عيسى البلوي . وأنه ربما سمع باسم عالم من علماء المشرق " للشيخ خالد بن عيسى البلوي ، وأنه ربما سمع باسم عالم من علماء البلد التي زارها فيذكر اسمه في الرحلة ولو لم يتصل به اتصالاً شخصياً كما فعل في تونس حسن ذكر علماً من أعلامها وهو ابن الغماز " ¹⁷²

وثمة ملاحظة أخرى مهمة وذكرها الحافظ الحافظ بن حجر وهي أن ابن بطوطة لم يكتب تفاصيل رحلته إنما جمعها منه أبو عبد الله بن جزي ونمقها وكان البافقي يتهمه بالذب ¹⁷³ وعلى كل حال فهذا يفيد أن ابن بطوطة ليس هو الذي كتب تفاصيل رحلته بيده .

ولقد عجب محقق كتاب رحلة ابن بطوطة " الدكتور علي المنتصر الكتاني " من هذا الكذب فقال " هذا محض افتراء على الشيخ رحمة الله فإنه كان قد سجن بقلعة دمشق قبل مجئ ابن بطوطة إليها بأكثر من شهر . فقد أتفق المؤورخون أنه اعتقل بقلعة دمشق لأخر مرة في اليوم السادس من شعبان " سنة 726 هـ ولم يخرج من السجن إلا ميتاً، بينما ذكر الملف في الصفحة 102 " من كتابه هذا انه وصل دمشق في التاسع من رمضان " وهذا ما نص عليه الحافظ ابن كثير والحافظ بن رجب والحافظ بن عبد الهاדי حيث ذكروا ان ابن تميمه مكث في السجن في السادس من شعبان سنة ست وعشرين سنة 726 حتى موته " ¹⁷³

ومعلوم أن تميمه كان واعظاً وكان يلقي الدرس جالساً على كرسي وكان الخطيب المسجد الأموي آنذاك قاضي القضاة القزويني .

ولو كان ما ادعاه ابن بطوطة صحيحاً لقام عليه علماء عصره ولشكوه إلى السلطان ولألفوا رسائل في الرد على قوله . فالمشنعون عليه كثر ومع ذلك لم يذكر أحد منهم شيئاً من ذلك .

ثم أن ابن تميمه كتب كتاباً ضخماً في شرح حديث النزول ، ولم يقل فيه شيئاً مما ادعاه ابن بطوطة ، وإنما شدد فيه على نزول الله كنزول البشر .

رأي ابن تميمه في المشبهة :

ومن المثير للعجب أن ينسب إلى ابن تميمه مثل هذا الكلام في الوقت الذي يحكم هو بالكفر على من يقول بمثله ، فقد قال في مجموع الفتاوى " فمن قال أن علم الله كعلمي ، أو قدرته كقدرتي .. أو إستواوه على العرش كاستواهى أو نزوله كنزاولى ، أو إتيانه كاتيانى : فهذا قد شببه الله بخلقه ، تعالى الله عما يقولون ، وهو ضال خبيث مبطل بل كافر . " ¹⁷⁴

وقال " ونزوله واستواوه ليس كنزاولنا واستوانا " ¹⁷⁵ فالدليل من كتاب ابن تميمه نفسه أقوى شهادة من هذه والروايات والإشاعات .

إن هؤلاء يتذمرون مما يشيعه النصارى حول الإسلام ونبيه من الأكاذيب ويطالبونهم بأن لا يتكلموا عن الإسلام إلا بدليل ، ولكنهم بدورهم يستخدمون طريقة النصارى في إشاعة الأكاذيب من غير تدقيق ولا تحقيق .

ومن المثير للعجب أيضاً أن نجد تشديد ابن تميمه في تكفير من يشبه الله بخلقه في حين نجد ابن حجر الهيثمي يصرح بأننا لا نكفر المشبهة على المشور إلا إن اعتدوا لازم ما يثبتونه من الحدوث ¹⁷⁶ .

أول القائلين بالتجسيم عند ابن تميم

و حول لفظ الجسم قال ابن تميمه " وإثبات لفظ الجسم ونفيه بدعة لا أصل لها في الكتاب والسنة ، ولم يتكلم به أحد من السلف والأئمة ، وأهل السنة والجماعة لا يطلقون هذا اللفظ لا نفياً ولا إثباتاً ، كما أنهم لم يثبتوا لفظ التحيز و لا نفوء و لا لفظ الجهة و لا نفوء ، ولكن أثبتوا الصفات التي جاء بها الكتاب

¹⁷²) الدرر الكامنة 3/480.

¹⁷³) طبقات الحنابلة 2/405 البداية والنهاية 14/123 العقود الدرية 329.

¹⁷⁴) مجموع الفتاوى 11/482 رسالة التدميرية 20 ط المكتب الإسلامي .

¹⁷⁵) مجموع الفتاوى 5/352.

¹⁷⁶) الإعلام بقواعد الإسلام 68

والسنة ، ونفوا مماثلة المخلوقات " . قال " وإنما يطلقه أهل الكلام مثل هشام ابن الحكم الرافضي و هشام الجواليقي فانه " أول من قال إن الله جسم ¹⁷⁷ " .

ثم بين اختلاف المتكلمين في معنى لفظ الجسم أن مفهومه للجسم مخالف لمفهوم اللغويين له وذكر أن " ما كان مبتدعاً من الألفاظ يجب استفصال صاحبه والنظر إلى مراده : فإن كان يريد معنى صحيحاً قبل منه ذلك ونبه على أنه لايجوز إستعمال مثل هذه الألفاظ . إن كان مراده نفي ما وصف الله به نفسه من العلو والأستواء والنزول فالمعنى باطل والله لفظ باطل . ¹⁷⁸

ومع ذلك فإن كبار الأشاعرة من يجيز وصف الله بالجسم بشرط معين ، فقد صرخ أبو جعفر السمانى رأس الأشاعرة وكبيرهم ¹⁷⁹ أن " من سمى الله جسماً من أجل أنه حامل لصفاته في ذاته فقد أصاب المعنى أخطأ في التسمية " ¹⁸⁰

فهذا اللفظ الذي قاله أحد كبار الأشاعرة يرفض ابن تيمية مجرد إطلاقه على الله تعالى فكيف يكون قائلًا بأن الله جسم كما زعم المفترون؟ !
وعلى إفتراض تصريح ابن تيمية بالجسم فإنه لم يقل " جسم كجسم " أو " يد كيد " أو " عين كعين " كما تقول المجمسة والمشبهة ، فكيف وانه لم يقل ذلك وهيئات أن يجد أعداؤه في كتبه ما يؤيد افتراهم .

لذا فأنت مطالبون بأمررين

1) أن تثبتوا بالدليل أن ابن تيمية صرخ بأن الله جسم .

2) أن تثبتوا لنا على إفتراض أنكم وجدتم أنه جسم أن تثبتوا أنه قال جسم كجسمي ((حكم التجسيم عند الشافعية))

*ولقد نص ابن حجر المكي الهبتي على أن المشهور [بل] الصحيح من المذهب عدم تكفير المجمسة كما قاله جمع من المتأخرین : من أن المجمسة لا يكفرون ولكن أطلق في المجموع تكفيرهم ¹⁸¹

قال " وينبغي حمل الأول [أي عدم التكفير] على ما إذا قالوا جسم لا كال أجسام والثاني [أي التكفي] على ما إذا قالوا : جسم كال أجسام لأن النقص الازم على الأول قد لا يتزمونه ولا زم المذهب ليس بمذهب ¹⁸² وانتهي إلى أن الصحيح أننا لا نكفر الجهوية ¹⁸³ ولا المجمسة إلا إن صرحو بإعتقاد لوازم الحديث " الخ .

*ونص العز بن عبد السلام رحمة الله تعالى على أن معتقد الجهة مخطئ خطأ مغفواض عنه لأن اعتقاد موجود ليس بمحرك ولا ساكن ولا منفصل عن العالم ولا متصل به ولا داخل فيه ولا خارج عنه لا يهتدي إليه أحد بأصل الخلقة في العادة ولا يهتدي إليه أحد إلا بعد الوقوف على أدلة صعبة المدرك عشرة الفهم ¹⁸⁴ قال : فإن قيل يلزم من الاختلاف في كونه سبحانه في جهة أن يكون حادثاً قلنا : لازم المذهب ليس بمذهب لأن المجمسة جازمون بأنه في

¹⁷⁷) درء التعارض 2 : 288 – 289 وأنظر مجموع الفتاوى 17 : 301 – 329 .

¹⁷⁸) بيان تنبيس الجهمية 9 ط الرياض

¹⁷⁹) فتح الباري 1/ 70 .

¹⁸⁰) سير أعلام النبلاء 17 : 651 – 652 .

¹⁸¹) الإعلام بقواعد الإسلام ص 38 و 50 .

¹⁸²) الزواجر عن أفتراق الكباير 2/ 358 و أنظر 351 و 387 .

¹⁸³) أي القائلين على الله بالجهة .

¹⁸⁴) قواعد الأحكام الكبرى 170 الحاوي للفتاوى 2/ 133 والحمد لله على اعتراف العز بأن طريقة أهل الكلام صعبة المدرك عسيرة الفهم فهذا أحد أدلة أهل السنة على بطلان طريقة أهل الكلام .

جهة وبأنه قديم أزلي ليس بمحدث فلا يجوز أن ينسب إلى مذهب من يصرح بخلافه وإن كان لازماً من قوله¹⁸⁵

وقال الأسنوي¹⁸⁶ " لا نكفر المجمدة على المشهور كما دل عليه كلام الشرح والروضة في الشهادات"

*وقال به أبو حامد الغزالى¹⁸⁷

• وقال الجلال الدواني في شرحه على العقائد العضدية "

ص 532 " " ومنهم من تستر بالبلκفة وقال : هو جسم لا كال أجسام وله حيز لا كال أحياز ونسبة إلى حيزه ليست كنسبة الأجسام إلى أحيازها " وهكذا ينفي عنه جميع خواص الجسم حتى لا يبقى إلا اسم الجسم وهو لاء لا يكفرون بخلاف المترحين بالجسمية "

*وقال العضد الإيجي في المواقف (273) :

" أنه تعالى ليس بجسم وذهب إلى ذلك بعض الجهال كالكرامية وقالوا : هو جسم : أي موجود وقوم قالوا : هو جسم : أي قائم بنفسه فلا نزاع معهم إلا في التسمية .
الذهبي ينفي التجسيم عن الحنابلة

قال الحبشي " هؤلاء الحنابلة يحبون ابن تيمية لأنه مجسم وهم يكثر فيهم التجسيم وفي مشايخهم قبل ابن تيمية وبعد ابن تيمية هؤلاء سموه شيخ الإسلام ثم بعض علماء أهل السنة قد أغتر بكلام هذين فسموه شيخ الإسلام من أين يستحق هذا اللقب ؟¹⁸⁸ "

وقد رد الذهبي هذه التهمة فقال " والجهال يتكلمون على الحنابلة ويرمونهم بالتجسيم وبأنه يلزمهم وهم بريئون من ذلك إلا النادر والله يغفر لهم "¹⁸⁹ وصدق الذهبي بذلك فإن المعتزلة المعطلة يقولون لمن أثبت الصفات وخالفهم في التأويل : يلزم من ذلك التجسيم والتشبيه¹⁹⁰ .

ومن هذا النادر ما كتبه القاضي أبو يعلي الحنبلـي صاحب كتاب إبطال التأويل الذي أنتقه ابن تيمية لأنه حشا فيه الضعف والموضوع من روايات ونصوص الصفات التي لا تليق بالله تعالى وهذا يدل على إنصاف الرجل وأنه يثبت نصوص الصفات من كتاب الله وما صح من السنة¹⁹¹

ولهذا صرخ كثير من المنصفين بأن تهمة التجسيم التي ألصقت بالآمام ما هي إلا شهادة زور في حقه يؤكد ذلك كلامه نفسه كما في فتاويه (482/11) حيث أفتى بکفر الذين يشبهون الله بخلقه .

ولهذا فإننا نطالب هؤلاء أن يأتونا بكتاب من كتب الحنابلة المعتبرة يقولون فيها إن يد الله كيدي أو سمعه كسمعي أو أستواءة كاستواءي الخ .

وإنما يراد بهذه الاتهامات تقييـح طريقة إثبات صفات الله عند عامة الناس وترغـيـهم بطريقة التأويل ويعتمدون في ذلك سياسة المعتزلة في التهويل والتـهـور في تكـفـير المـتـبـتـين لـصـفـاتـ الله .

¹⁸⁵ قواعد الأحكام الكبرى 172 .

¹⁸⁶ الإعلام بقواعد الإسلام للمهتمي 25 و 38 و 50 .

¹⁸⁷ فيصل التفرقة بين الإسلام والزنادقة 129 و 148 .

¹⁸⁸ شريط 12 (أ) 300 – 345 .

¹⁸⁹ زغل العلم 39 .

¹⁹⁰ مجموع الرسائل الكبرى 1 : 418 .

¹⁹¹ الدرء 5 : 237 .

كما ظلموننا يظلمونكم

وقد نص الكوراني في شرح عقيدة القشاشي في بحث رؤية الله يوم القيمة : أن المعتزلة كفرت أهل السنة (الأشاعرة) لقولهم برأيته سبحانه يوم القيمة ظناً منهم أن ذلك يستلزم التجسيم وهذا ظن فاسد لأن أهل السنة يثبتونها بلا كيف لكن الأشاعرة أنفسهم يكررون اليوم الظلم نفسه فيزعمون أن إثبات صفة الاستواء يلزم منه التجسيم لأنهم لا يتصورون مستويًا إلا ما كان جسماً ولم يتصوروا مرئياً إلا ما كان جسماً لأنهم على التقليد في العقائد .

لفظ الحد

وقد حكم نبيل الشريفي بـ كفر ابن تيمية لقوله " وقد اتفقت كلمة المسلمين والكافرين أن الله في السماء وحدوه بذلك " ¹⁹² .

فكفره حيث زعم أنه وصف نفسه الله بأنه حد وهذا جهل وتسريع وظلم بل الحد هو الوصف نفسه إذ قوله وحدوه أي أثبتوا له هذا الوصف .
وكان عليه أن يعترف باختلاف أهل المتنطق والكلام اختلافاً كثيراً حول تعريف الحد .
إذ ليس للحد تعريف واحد وإنما تعريفات متعددة .

فالحد في عرف النحاة والفقهاء والأصوليين هو ما يميز الشيء عن جمع ما عداه .
وعند أهل الكلام أن حد الشيء معناه : الذي لأجله استحق الوصف المقصود بالذكر .
وعند أهل المتنطق : هو القول الدال على ماهية الشيء . ويطلق ويراد به نهاية الشيء ¹⁹³ .
وقد أصيّبوا بالوسوسة من قول النبي " جعل الله الرحمة مئة جزء " لأنه عندهم صريح في التحديد والتجزئة نقل الزبيدي تعليق التوربشتى على الحديث بقوله " رحمة الله تعالى غير متناهية فلا يعثورها التقسيم ... ولم يرد - أي النبي به تحديد ما قد جل عن الحد أو تعريف ما جاوز العد " ¹⁹⁴

قال أبو القاسم التيمي " تكلم أهل الحقائق في تفسير الحد بعبارات مختلفة محصوراً لها أن حد كل شيء موضع بينونته عن غيره " ¹⁹⁵
فإذا كان للحد معان متضاربة لم يجز تحميل أحدها على ابن تيمية إلا يصرح هو بالمعنى الذي يقصده .

وقد أبان ابن تيمية عن مفهومه للحد فقال " الحد ما يتميز به الشيء عن غيره من صفتة وقدره " ¹⁹⁶ وسبب الحد الرد على الجهمية الذين قالوا ليس له حد وقصدوا بذلك أنه لا يباين المخلوقات ولا يكون فوق العالم لأن ذلك عندهم مستلزم للحد .
ونحن نعلم أن أهل المتاب يقررون بأنه في السماء ولا يقال هذا تفليد لهم لأن معنا من الأدلة القرآنية على ذلك ما لا يحصى .

ونذكر ابن تيمية ¹⁹⁷ أن أهل السنة قالوا إن الله ينزل إلى السماء الدنيا من غير أن يحدوا فيه حداً وأحتاج بقول ابن وضاح " وسألت يوسف بن عدي عن النزول : قال نعم أؤمن به ولا أحد فيه حداً وسألت ابن معين فقال : نعم أقر به ولا أحد فيه حداً "

يتجاهلون تحديد الغزالى لقدرة الرب

ولكن لماذا لم يحاكم الأشاعرة الغزالى لتحديد قدرة الله حين قال " ليس في الامكان أفضل من مما كان " ¹⁹⁸ أليس في هذا وضع حد لقدرة الله أو إثبات لعجز الله كما أعرف به البيجوري في شرحه على جوهرة التوحيد ؟ ¹⁹⁹ إن إنكار المنكر والغيرة على الدين بقدر ما هو تعصب

¹⁹²) شريط 15 مجالس الهدى الوجه (ب) 65 .

¹⁹³) معيار العلم للغزالى 234 والبحر المحيى للزرκشي 1/29 الكفاية في الجدل 1 .

¹⁹⁴) أتحاف السادة المتلقين 10/ 557- 558 .

¹⁹⁵) سير أعلام النبلاء 20/ 86 .

¹⁹⁶) نقض التأسيس 1/ 442 .

¹⁹⁷) الفتاوى 5/ 65 .

¹⁹⁸) الاملاء في أشكالات الأحياء 5/ 13 على هامش أحياء علوم الدين .

¹⁹⁹) انظر تحفة المرید شرح جوهر التوحيد ص 40 .

مذبه وتقليد محضر في الثناء والذم والافهال يجوز السكوت عن الطاعن في قدرة الله إذا كان أشعرياً؟

بل إن الأشاعرة هم الذين يحذون الله بصفة الحد حيث يجعلون لقدرة الله حداً فيقولون : لا يستطيع أن يظلم . وبسبب ذلك ألزم ابن حزم الأشعريه بتحديد قدرة الله تعالى²⁰⁰

عبد الله ابن المبارك وموقفه من لفظ الحد

غير أن هناك أثراً عن عبد الله بن المبارك رواه البيهقي في الأسماء والصفات عن علي بن الحسن قال " سألت عبد الله بن المبارك : كيف نعرف ربنا ؟ قال : في السماء السابعة على عرشه قلت : فإن الجهمية تقول : هو هذا قال إنا لا نقول كما قالت الجهمية تقول هو هو قلت : بحد ؟ قال : أي والله بحد "²⁰¹

فتأمل كذب الأحباش حيث قالوا " والحد عن الله منفي على لسان السلف " ²⁰²

وتأمل كيف كان موقف البيهقي رحمه الله من لفظ الحد الذي قاله المبارك فقد قال " إنما أراد عبد الله بالحد حد السمع وهو أن خبر الصادق ورد بأنه على العرش أستوى فهو على عرشه كما أخبر وقد بدأ بذلك تكذيب الجهمية فيما زعموا أنه بكل مكان ، وحكياته تدل مراده "

هذا بدون تكثير ولا تضليل مع أن ابن المبارك لم يفصل مقصده من اللفظ في حين أن ابن تيمية فصل مراده من لفظ الحد فقال بأن " لفظ الحد عند كل من تكلم به يراد به شيئاً : يراد بهحقيقة الشيء في نفسه ويراد به الوجود العيني أو الوجود الذهني فأخبر الإمام أحمد أن الله على العرش بلا حد يحده أحد أو صفة يبلغها وأصف وأتبع ذلك بقوله " لا تدركه الأبصار لا بحد ولا غاية " والقصد أن تفسير الحد بالوجود العيني - وهو ما يقع تحت إدراك البصر وإحاطته أو الوجود الذهني وهو ما يقع تحت إدراك الذهن والعقل وتحديده مشاهدة أو تصوراً - كلاهما باطل منفي عن الله عز وجل وليس الله صفة اسمها الحد وإنما الحد تعبير عن تميز الله عن غيره بصفاته وأختصاصه بكماله وعلوه عرشه ومبانيته لخلقه " (بيان تلبيس الجهمية 2/163) وهذا يعني الحد عند الأصوليين والفقهاء والمنطقة²⁰³

فهل يصر أعداء ابن تيمية على تكفيه لتصريحه بلفظ صرح هو بأن مراده به تميز صفات الله عن صفات المخلوقين وليس بمعنى أدراك منتهى الله . وهل يقتدون بأدب البيهقي ؟

²⁰⁰) الفصل في الملل والنحل 4/213 .

²⁰¹) الأسماء والصفات 2/169 والسنة لعبد الله بن أحمد 1/175 والرد على الجهمية للدرامي 162 والرد على بشر المريسي الجهمي 34 قال الذهبي في مختصر العلو " هذا صحيح ثبت عن ابن المبارك " غير أن الكوثري أعمل هذا الأثر بثلاث علل : أولاً : الحسن بن الصباح روايه عن علي بن الحسن عند البيهقي : قال النسائي " ليس بالقوى " ثانياً : ابن شقيق تكلموا فيه في الإرجاء . ثالثاً : اختلاف الروايات عن ابن المبارك كما ترى (الأسماء والصفات بتحقيق الكوثري ص 537) وقد رد على هذه العلل بما يلي : أولاً : الحسن بن الصباح متبع من غير واحد فضلاً عن أن قول النسائي هذا فيه غير مقبول كما تراه بالدلائل في دفاع الحافظ بن حجر عنده في " هدي الساري " ص 397 " ثانياً : الطعن بالبدعة - على الراجع - لا يطعن برواية الثقة من الحفاظ وبخاصة أن روایته هذه ليس لها مدخل في شيء من الإرجاء . ثالثهما : أن دعوى الإرجاء باطلة مردودة فقد قيل له في ذلك فقال " لا أجعلكم في حل " وقد جاء في تاريخ بغداد (ص 371) وتهذيب الكمال (20 / 372) ثالثاً : دعوى اختلاف الروايات مردودة لأن ليس هناك أدنى وجه من وجوه الاختلاف .

²⁰²) منار الهدى 41/44 .

²⁰³) الحدود في ثلاثة رسائل ص 9 تأليف الفاكهي وأخوان الصفا وابن سينا تحقيق عبد الطيف محمد العبد .

ويُسخر ابن تيمية ممن يتوهم أن الله صفة هي صفة الحد قائلًا "أن هذا الكلام الذي ذكره أنما يتوجه لو قالوا : إن له صفة هي الحد كما توهّمه هذا الراد عليهم وهذا لم يقله أحد ولا يقوله عاقل فإن هذا الكلام لا حقيقة له إذ ليس في الصفات التي يوصّف بها شيء من الموصفات كما وصف باليد والعلم صفة معينة يقال لها : الحد وإنما ما يتميّز به الشيء عن غيره من صفتـه وقدره كما هو معروـف في الحد في المددات فيقال : حد الإنسان وحد كذا وهي من الصفات المميزة له" (بيان تلبيس الجهمية 442/1).

ثانياً كان عليهم أن يبيّنوا موقف ابن تيمية من هذا اللفظ فقد شرحـه في مواطن كثيرة من كتبـه فقال بأنـ هذا لفظ لم يقلـ به السلف ولكنـ يطلقـ ويرادـ به معنيـان :

الأول : بمعنىـ الإحاطةـ باللهـ عـلـماـ فـلاـ شـكـ أـنـ الحـدـ منـفيـ عـنـ اللهـ تـعـالـىـ . لأنـ اللهـ تـعـالـىـ غـيرـ مـدـرـكـ بـالـإـحـاطـةـ وـعـلـىـ هـذـاـ يـحـمـلـ قـوـلـ مـنـ نـفـيـ الحـدـ مـنـ السـلـفـ كـسـفـيـانـ الثـورـيـ وـحـمـادـ بـنـ زـيدـ .

الثـانيـ : بـمعـنىـ أـنـ اللهـ تـعـالـىـ مـتـميـزـ عـنـ خـلـقـهـ مـنـفـصـلـ عـنـهـمـ مـبـاـيـنـ لـهـمـ عـالـ عـلـىـ هـذـاـ يـحـمـلـ قـوـلـ مـنـ أـثـبـتـ الحـدـ اللـهـ تـعـالـىـ 204ـ كـابـنـ الـمـبـارـكـ .

"إنـ كانـ المرـادـ مـنـ معـنىـ (ـالـحدـ)ـ أـنـ اللهـ تـحـوزـهـ الـمـخـلـوقـاتـ فـالـلـهـ أـعـظـمـ وـأـكـبـرـ بـلـ قـدـ وـسـعـ كـرـسيـهـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـقـدـ قـالـ ((ـوـالـأـرـضـ جـمـيعـاـ قـبـضـتـهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ وـالـسـمـوـاتـ مـطـوـيـاتـ بـيـمـيـنـ))ـ وـفـيـ حـدـيـثـ اـبـنـ عـبـاسـ "ـمـاـ السـمـوـاتـ السـبـعـ وـالـأـرـضـوـنـ السـبـعـ وـمـاـ فـيـهـنـ فـيـ يـدـ الرـحـمـنـ الـأـكـرـدـلـهـ فـيـ يـدـ أـحـدـكـمـ"

وـإـنـ أـرـادـ أـنـهـ مـنـحـازـ عـنـ الـمـخـلـوقـاتـ أـيـ مـبـاـيـنـ لـهـاـ مـنـفـصـلـ عـنـهـاـ لـيـسـ حـالـاـ فـيـهـاـ فـهـوـ سـبـانـهـ كـمـاـ قـالـ أـئـمـةـ أـهـلـ السـنـةـ فـوـقـ سـمـوـاتـهـ عـلـىـ عـرـشـهـ بـائـنـ مـنـ خـلـقـهـ" 205ـ

"ـفـمـنـ قـالـ :ـ إـنـ اللهـ مـتـحـيـزـ :ـ أـرـادـ بـقـولـهـ (ـمـتـحـيـزـ)ـ عـلـىـ مـعـنىـ أـنـ الـمـخـلـوقـاتـ تـحـوزـهـ وـتـحـيـطـ بـهـ فـقـدـ أـخـطـأـ وـإـنـ أـرـادـ أـنـهـ مـنـحـازـ عـنـ الـمـخـلـوقـاتـ بـائـنـ عـنـهـاـ عـالـ عـلـيـهـاـ :ـ فـقـدـ أـصـابـ وـمـنـ قـالـ لـيـسـ بـمـتـحـيـزـ :

ـإـنـ أـرـادـ أـنـ الـمـخـلـوقـاتـ لـاـ تـحـوزـهـ فـقـدـ أـصـابـ .

ـوـإـنـ أـرـادـ لـيـسـ بـبـيـانـ عـنـهـ بـلـ هـوـ لـاـ دـاـخـلـ فـيـهـاـ وـلـاـ خـارـجـ عـنـهـاـ فـقـدـ أـخـطـأـ قـالـ "ـوـقـدـ عـلـمـ أـنـ اللهـ تـعـالـىـ كـانـ قـبـلـ أـنـ يـخـلـقـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ ثـمـ خـلـقـهـماـ :ـ فـإـمـاـ أـنـ يـكـوـنـ دـخـلـ فـيـهـمـاـ وـهـذـاـ حـلـوـلـ باـطـلـ وـإـمـاـ أـنـ يـكـوـنـ دـخـلـ فـيـهـ وـهـوـ أـبـطـلـ وـأـبـطـلـ وـإـمـاـ أـنـ يـكـوـنـ اللهـ سـبـانـهـ بـائـنـ عـنـهـمـاـ لـمـ يـدـخـلـ فـيـهـمـاـ وـلـمـ يـدـخـلـ فـيـهـ وـهـذـاـ قـوـلـ أـهـلـ التـوـحـيدـ وـالـسـنـةـ"

ـوـبـهـذـاـ يـتـبـيـنـ لـكـ أـنـهـ يـأـتـيـنـ بـالـمـجـمـلـ مـنـ كـلـامـ الـأـئـمـةـ وـلـاـ يـذـكـرـونـ مـاـ يـفـصـلـ كـلـامـهـمـ وـبـيـنـهـ حـسـبـيـبـهـ اللهـ

* وبالجملة فـهـذـهـ الـاقـوالـ كـالـحدـ وـالـتـحـيـزـ وـالـجـهـةـ لـاـ يـفـهـمـهـاـ عـامـةـ النـاسـ
وـفـيـهـ إـجـمـالـ يـشـتـبـهـ عـلـيـهـمـ ،ـ وـإـنـمـاـ دـأـبـ أـهـلـ الـبـدـعـ الـهـيـمـنـةـ عـلـىـ الـعـوـامـ
بـمـصـطـلـحـاتـ وـأـفـاظـ غـرـبـيـةـ عـلـيـهـمـ وـإـيـهـامـهـ أـنـهـمـ مـتـعـمـقـونـ فـيـ الـعـلـمـ ،ـ
وـلـتـشـوـيـهـ مـنـهـجـ أـهـلـ السـنـةـ ،ـ فـيـسـلـمـ الـعـامـيـ لـهـمـ قـوـلـهـمـ وـيـقـلـهـمـ فـيـ باـطـلـهـمـ وـفـيـ

²⁰⁴) درء تعارض العقل والنّقل 33/2 - 35.

²⁰⁵) الرسالة التدمرية 46.

معادة خصومهم ويقلدهم في تكفيرهم .
ورحم الله الإمام أحمد إذ قال عن المتكلمين²⁰⁶ يتكلمون بالتشابه من
الكلام و يخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوا ذ بالله نت فتن
المضلين " .

²⁰⁶) الرد على الجهمية ص 6 وهو ثابت له (أنظر فتح الباري (493/13)

القول بالجهة

كذلك زعموا أن ابن تيمية صرّح بإثبات لفظ الجهة على الله. وصرّح كلام ابن تيمية يكذب ما يزعمون. لأنّه يكرر دائمًا أن هذا اللّفظ من جملة الألفاظ المبتدعة التي لم يتكلّم السلف والأئمة فيها نفيًا ولا إثباتًا.

بل إننا نرى إثباتها من قِبَل الشّيخ عبد القادر رحمه الله الذي يزعم الحبشي الانتساب إلى طريقته. قال الجيلاني: «وهو بجهة العلو، مستوى على العرش، محتو على الملك، وأن استواء الله هو (ذات) على العرش لا على معنى القعود والمماسة ولا على العلو والرّفعة كما قالت الأشعرية، بل يقال إنه في السماء على العرش كما قال: [الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] [الآية 5 من سورة طه] [الغنية لطاطبي طريق الحق 56]. فهل عندكم الجرأة على تكبير من تعتبرونه شيخ طريقكم القادرية وقد صرّح بما تعتبرونه كفراً؟!!

وقد مشى الغزالى [فيصل التفرقة بين الإسلام والزنادقة 129 و 148] وابن عبد السلام [قواعد الأحكام 170 - 172 الحاوي للفتاوى 133/2] وابن حجر الهيثمي [الزواجر 2/351 و 358 و 378] على عدم تكثير القائل بالجهة. فإن رضيتم بذلك وإلا لزمكم تكثير الشيوخ: عبد القادر الجيلاني والعز بن عبد السلام والغزالى وابن حجر الهيثمي!

مفهوم الجهة عند ابن تيمية

يرى ابن تيمية أن لفظ الجهة لفظ مبتدع لم يتلفظ به السلف نفيًا ولا إثباتًا، وليس ثمة نص لا عن الرسول ﷺ ولا عن الصحابة أن الله متحيز أو هو جسم أو جوهر إلى غير ذلك من الألفاظ المبتدعة.

والناظرون بها قد يريدون معنى صحيحاً، فإن أرادوا معنى صحيحاً يوافق الكتاب والسنة كان ذلك مقبولاً منهم وإن أرادوا معنى فاسداً كان ذلك مردوداً عليهم.
قال: «للناس في إطلاق الجهة ثلاثة أقوال: فطائفة تنفيها، وطائفة تثبتها، وطائفة تفصل... وذلك أن لفظ الجهة قد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو به ما هو معدوم.

ومن المعلوم أن لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله كان مخلوقاً لله، والله تعالى لا يحصر ولا يحيط به شيء من المخلوقات، وإن أريد بالجهة أمر عدمي - وهو ما فوق العالم - فليس هناك إلا الله وحده» [منهج السنة 1/216].

وقد يراد بالجهة شيء موجود غير الله فيكون مخلوقاً كما لو أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السماوات، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم، ومعلوم أنه ليس في النص إثبات الجهة ولا نفيه.

- فإذا قال القائل: «هو في جهة» قيل له ما تريده بذلك؟ أترى أن الله سبحانه في جهة موجودة تحصره وتحيط به؟ مثل أن يكون في جوف السماوات؟ فالله ليس داخلاً في المخلوقات! أما تريده بالجهة أمراً عدمياً وهو ما فوق العالم، فإنه ليس فوق العالم شيء من المخلوقات، والله فوق العالم؟

- فإن أردت الجهة الوجودية وجعلت الله محصوراً في المخلوقات فهذا باطل.
- وإن أردت الجهة العدمية، وأردت أن الله تعالى وحده فوق المخلوقات بائن عنها
فهذا حق ... وقد قال ابن عباس: «ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما
بينهن في يد الرحمن إلا كخرذلة في يد أحدكم» فما كان بهذا الحقر والصغر كيف يحيط به
ويحصره؟

ومن قال: إن الله تعالى ليس في جهة قيل له: ما تريده بذلك؟ فإن أراد بذلك أنه ليس
فوق السماوات رب يعبد ولا على عرش إله، ونبينا ﷺ لم يُعرج به إلى الله تعالى، والأيدي لا
ترفع إلى الله تعالى في الدعاء ولا تتوجه القلوب إليه: فهذا فرعوني معطل، جاحد لرب
العالمين.

ومن هنا دخل أهل الحلول والاتحاد وقالوا: إن الله تعالى بذاته في كل مكان، وأن
وجود المخلوقات هو وجود الخالق [استغل المتصوفة هذا الاعتقاد الأشعري لا سيما قول الأشعري
أن وجود كل شيء عين ذات ذلك الشيء لا زاندا عليه. وبنوا عليه قولهم بوحدة الوجود وكان أبرزهم في
ذلك ابن عربي وابن الفارض والقونوي وابن سبعين وقد ابتدأ عبد الغني النابلسي كتابه «إيضاح
المقصود من معنى وحدة الوجود» عبارة الشعري ثم انطلق يوافق ابن عربي وابن الفارض في قولهم
بوحدة الوجود جاعلاً إياهم أئمة الهدى وأنه لا قول إلا بوحدة الوجود وأن هذا القول باق إلى يوم القيمة
إن شاء الله، وجعل منكر وحدة الوجود جاهلاً محجوباً عن الحق. (إيضاح المقصود من وحدة الوجود
306 – 310 للنابلسي). واستغلوا فكرة الجوهر والعرض عند الأشاعرة فجعلوا الجوهر هو الباطن،
والعرض ظاهراً وقالوا إن الله متجلٌ ظاهراً في موجوداته لأن موجوداته هي صفاته]. انتهى كلامه
[الفتاوى 3: 41 و 5: 626 - 298 و 6: 38 و 17: 326 و منهاج السنة 2: 252].

ولذلك قيل عن أهل التعطيل إنهم معطلة في العقائد، حلولية اتحادية في التصوف، فإن
تعطيلهم يؤول إلى تضييع الرب [بسبب إنكارهم علوه سبحانه]، فإذا بحثوا عنه في التصوف
وجدوه في كل مكان.

لُفْظُ الْحَرْكَةِ

أما لفظ الحركة فلم يثبت أن ابن تيمية اعتقده في الله، بل هذا من مفتريات الحبشي الذي زعم أن ابن تيمية ينسب الحركة إلى الله⁽¹⁾.
جل ما قاله ابن تيمية أن "طوائف"⁽²⁾ من أهل السنة والحديث قالوا إن الحركة من لوازم الحياة وكل حي متدرك كحرب الكرمانى وعثمان بن سعيد الدارمى ومنهم من نفأها كنعيم بن حماد الخزاعي والبخارى وابن خزيمة "أضاف" "ومن أهل الحديث والفقهاء من لم يتكلم بنفي ولا إثبات"⁽³⁾.

ولم يذكر ابن تيمية ترجيحاً لطريقه أحد الفريقين، وإنما ذكر الخلاف في ذلك. وتبني موقفاً حذراً من هذه الألفاظ المبتدةعة، فهل يلزم من هذا أنه يقول بالحركة؟

ولنضرب مثالاً من كلام الحبشي: فقد سئل عن حكم شرب الخمر فقال "عند بعض الفقهاء لا يجوز التداوى بالخمر في حال من الأحوال. يجوز عند بعضهم إعطاء المريض جرعة من الخمر لإساغة اللقمة بالنسبة لمن أصيب بالغصة، يجوز أن يسخن اللقمة بالخمر، وقال بعضهم يجوز التداوى بالخمر إن لم يوجد دواء غيره"⁽⁴⁾. فبناءً على قاعدة الحبشي يمكن أن نحكم عليه بأنه رجح شرب الخمر والتمداوى به.

ومسألة الحركة لكم فيها تلبيس ماهر، وهي لوثة آرسطية آلت بكم إلى نفي الصفات الفعلية لله تعالى فصار إثبات أفعاله إثباتاً للحركات، فلا يتكلم الله بمشيئته وقدرته ولا يستوي إلى السماء ولا ينزل في الثلث الأخير من الليل، ولا يجيء إذا شاء، وقد كفرت ابن تيمية إرضاء لشيخكم وسلفكم آرسطو الذي يعتقد أن الله لا ينزل ولا يستوي ولا يجيء كما قال "بل لا بد من محركٍ أزليٍ يُحرّكُ ولا يَتَحرّكُ هو. ولا ينفع بغيره وإلا لما كان أولاً"⁽⁵⁾.

(1) الدليل القويم 40.

(2) حرف الحبشي النص من (طوائف أهل السنة) إلى (آئمة أهل السنة) الدليل القويم 40.

(3) درء تعارض العقل والنقل 7/2-8-8 مجموع الفتاوى 5 / 578.

(4) شريط رقم 7 عدد 400.

(5) الطبيعة لأرسطو ترجمة إسحاق بن حنين 2: 733.

وحرفتم معنى قوله تعالى {لَا أَحِبُّ الْأَفْلَى} ليتلاعه ومذهب شيخكم فز عتم أنه قال ذلك حين رأى الشمس تتحرك، لأنه كان يعلم أن كل متحرك مخلوق. ولكن ألم يكن يعلم أن الشمس جسم والأجسام مخلوقة فيستدل على خلقيتها بجسميتها؟

ثم لماذا تتجاهلون أن الأفول معناه الغياب وأن الآية لا علاقة لها بالحركة لأن الماشي والمتحرك لا يقال له آف؟

ولقد نقد العز بن عبد السلام هذا الاستدلال وذكر أنه غاية في الإشكال⁽¹⁾.

⁽¹⁾ فوائد في مشكل القرآن ص 119 .

موقف ابن تيمية من لفظ الحركة

وغيره من الألفاظ المبتدةة

وموقف ابن تيمية من هذا اللفظ كموقفه من غيره من الألفاظ التي لم يتكلم بها السلف نفيًا ولا إثباتًا فقال "إن السلف كانوا يراغون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه عن الله من صفاته وأفعاله، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات ... والألفاظ المبتدةة ليس لها ضوابط، بل كل قوم يريدون بها معنىًّا غير المعنى الذي أراده أولئك للفظ الجسم والجهة والحيز بخلاف لفظ الرسول ... والألفاظ المبتدةة تضمنت تكذيب كثير مما جاء به الرسول ﷺ وصاروا يعارضون به الكتاب والسنة، واللفظ المحدث يجب استغصال صاحبه"⁽¹⁾.

قال "فمن قال ينزل فيتحرك وينتقل من مكان إلى آخر، أو يفرغ منه ليشغل آخر؟ فهذا كله باطل قطعاً يجب أن ينزعه الله عنه"⁽²⁾.

وذكر أن "تلك العبارات من الألفاظ المجملة المتشابهة المشتملة على حق وباطل، وفي نفيها نفي حق وباطل، وفي إثباتها إثبات حق وباطل، فيمنع من كلا الإطلاقين بخلاف النصوص الإلهية فإنها فرقان فرقان الله بها بين الحق والباطل ..." ولهذا كان السلف لا يطلقون اللفظ ولا ينفونه إلا بعد الاستفسار والتفصيل. بخلاف كلام الله ورسوله فإنه يجب قبوله وإن لم يفهم معناه..⁽³⁾.

- قال "فالمعزلة عندما ينزعون الباري عن الأعراض والحدود والأحياء والجهات والجسمية لا يقصدون تنزيه الباري بما يجب تنزيهه عنه ... وإنما يدخلون في مضامينها نفي ما أثبتته الله لنفسه وأثبتته رسوله من صفات الكمال.

إذا قالوا "إن الله منزه عن الأعراض لم يكن في ظاهر العبارة ما يُنكر لأن الناس يفهمون من ذلك أنه منزه عن الاستحلال والفساد للأعراض التي تعرض لبني آدم من الأمراض، ولا ريب أن الله منزه عن ذلك، ولكن مقصودهم أنه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام قائم به ولا غير ذلك من الصفات التي يسمونها أعراضًا".

وإذا قالوا: إن الله منزه عن الحدود والأحياء والجهات: أو هموا الناس أن مقصودهم بذلك أن لا تحصره المخلوقات ولا تحوزه المصنوعات. وهذا المعنى صحيح. ومقصودهم: أنه ليس فوق السماوات رب ولا على العرش إله، وأن محمداً لم يعرج به إليه، ولم ينزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء.

وإذا قالوا: إنه ليس بجسم: أو هموا الناس أنه ليس من جنس المخلوقات. ولا مثل أبدان الخلق: وهذا المعنى صحيح، ولكن مقصودهم بذلك أنه لا يُرى ولا يتكلم بنفسه ...".

⁽¹⁾ مجموع الفتاوى 5 / 432 .

⁽²⁾ مجموع الفتاوى 5 / 458 - 459 و 578 .

⁽³⁾ درء تعارض العقل والنقل 75/1 .

قال "إن خطأ المتكلمين في تحديد مفاهيم تلك اللفاظ لا يرجع إلى مجرد التعبير عنها بمعانٍ مخالفة لمعاني الكتاب والسنة، بل يرجع كذلك إلى تفسيرها تفسيراً مخالفًا للغة العربية التي خاطبهم بها القرآن. ويؤدي نفيهم لمعاني اللغوية الصحيحة التي يقرها القرآن إلى تنزيه الله عن معانٍ صحيحة في حقه وهو باطل: لقد عبروا عن المعاني التي أثبتتها القرآن بعبارات أخرى ليست في القرآن وربما جاءت في القرآن بمعنى آخر"⁽¹⁾.

⁽¹⁾ درء تعارض العقل والنقل 310/1 - 311 .

تحريف المعاني من عمل اليهود

واعترضوا على قول ابن تيمية "إن التوراة والإنجيل لم تبدل ألفاظهما وإنما وقع التحريف في معانيهما⁽¹⁾".

وهذا أسلوب المدلسين الذين يُظهرون للعوام هذه المسائل وكأنها مخالفة لأصل الإسلام. وقد كتم هذا المدلس عليهم أن هذا قول ابن عباس رضي الله عنه وهو ترجمان القرآن وقال به وهب بن منه و هو من أعلم الناس بالتوراة. وهو مختار البخاري "كما حكاه الحافظ ابن حجر⁽²⁾".

ورد على بدر الدين الزركشي.

وفي صحيح البخاري "قال ابن عباس "يُحَرِّفُونَ": يزيلون، وليس أحد يُزيل لفظ كتاب من كتب الله، ولكنهم يحرّفونه: يتلّونه عن غير تأويله" قال الحافظ في فتح الباري بأن تحريف أهل الكتاب لمعنى النصوص لا يُنكر بل موجود عندهم بكثرة" أضاف "قال الراغب: التحريف: الإملاء، وتحريف الكلم أن يجعله على حرف من الاحتمال بحيث يمكن حمله على وجهين فأكثر"⁽³⁾.

سلف الحبشي في تحريف معاني النصوص
ويجدر التنبيه إلى أن الحبشي حريص على أن يكتم على الناس تلك الحقيقة وهي أن أهل الكتاب كانوا يحرّفون معاني النصوص. وهو ثابت عنهم باعتراف الحافظ ابن حجر الذي أفاد بأن أهل الكتاب لمعاني النصوص لا يُنكر بل موجود عندهم بكثرة.

والمسؤولة أمثال الحبشي يتهربون من تبيين هذه الحقيقة حتى لا يقول الناس إن الحبشي يضاهى أهل الكتاب في تحريفاته معاني النصوص والتي يسميها زوراً بـ (التأويلات) جاعلاً الاستواء بمعنى الاستيلاء والغصب بمعنى العقوبة والرضى بمعنى الثواب الخ . . . متذرعاً بذريعة التنزية. وبالطبع لا بد للشر من تزيين وزينة التحريف دعوة التنزية.

قال تعالى {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} وقال {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا}.

⁽¹⁾ المقالات السننية ص 15 .

⁽²⁾ فتح الباري 13/523 .

⁽³⁾ فتح الباري 13/524 .

ثم أثبتت ابن حجر أن هذا ما رجحه الإمام البخاري صاحب الصحيح. فقال "قال شيخنا ابن الملقن في شرحته: هذا الذي قاله أحد القولين في تفسير هذه الآية وهو مختار البخاري"⁽¹⁾.

وأخذ الحافظ يسرد الأقوال التي قيلت في تفسير في معنى التحريف: حتى وصل إلى القول الثالث: وهو أنه وقع اليسير منها، ومعظمها باق على حاله، ونصره الشيخ تقي الدين ابن تيمية في كتابه (الرد الصحيح لمن بدل دين المسيح).

ولقد رد الحافظ ابن حجر على الزركشي دعواه إبطال هذا القول فقال "وفي وصفه القول المذكور بالبطلان نظر، فقد نسب لوهب بن منبه وهو من أعلم الناس للتوراة، ونسب لابن عباس ترجمان القرآن، وكان ينبغي له ترك الدفع بالصدر والشاغل برد أدلة المخالف التي حكتها" انتهى.

اتهامه بالقول بفناء النار

هل قال ابن تيمية بفناء النار.

وأشاع خصوم ابن تيمية أنه كان يقول بفناء النار وأنها تنطفئ بأهلها.

أما خصومه فمنهم الحبشي الذي قال "وكان ابن تيمية نقل في كتابه منهاج السنة النبوية أنه لا خلاف بين المسلمين في ذلك إلا أن جهماً خالف فكره المسلمين. ثم قال هو [أي ابن تيمية] بخلاف ذلك في النار"⁽¹⁾.

وأنا ما تركت كتاباً للحبشي إلا وقد قرأته ومع ذلك لم يأت بنص واحد من كتب ابن تيمية يؤيد ما يزعم، وأتحداه أن يأتي بدليل واحد وإلا كان حكمي فيه أنه كذاب ومفتر. وإنما وجدت في كتاب الحبشي (فتح الرحمن) أن الشيخ عبد القادر الجيلاني يمكنه أن ينفح في نار جهنم فيطئها. فهذا عندي قول بفناء النار. وهو قول أشر من القول المنسوب لابن تيمية. بل قد تجد من الأشاعرة كأبي منصور البغدادي من يجوز فناء النار في العقل مع قوله بدواه حسبما جاء في الخبر⁽²⁾.

أن تصيبوا قوماً بجهالة

- وأما أصحاب ابن تيمية ومحبّوه فمنهم الشيخ شعيب الرناؤوط محقق الطحاوية الذي نسب القول بفناء النار إلى ابن تيمية وابن القيم⁽³⁾. وليس في كتب ابن تيمية ما يفيد ذلك بل قد نصت كتبه على دوام النار إلى الأبد.

القاري ينفي التهمة عن ابن تيمية

وقد نفى العلامة القاري هذه التهمة عن ابن تيمية فقال في رسالته القيمة التي رد بها على ابن عربي "وأما قول المؤول إن ابن تيمية الحنفي ذهب إلى أن الكفار في عاقبة المر يخرجون من النار فافتراء عليه"⁽⁴⁾.

(1) إظهار العقيدة السننية . 191 .

(2) أصول الدين 230 .

(3) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص 422 ط: المؤيد .

(4) الرد على القائلين بوحدة الوجود 86 .

أقوال ابن تيمية في أبدية الجنة والنار

قال "وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يُعدم ولا يَفْنِي بالكلية كالجنة والنار والعرش. ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفه من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة. وهذا قولٌ باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع سلف الأمة وأئمتها"⁽¹⁾. "ولهذا اشتد إنكار السلف عليهم لقولهم بفناء الجنة والنار"⁽²⁾.

قال "والجهم يقول بفناء الجنة والنار وأبو الهذيل الذي يقول بانقطاع حركات أهل الجنة والنار ... وخالفهم جماهير المسلمين⁽³⁾. وطريقة الأعراض عند أهل الكلام الجائتهم إلى أن يلتزموا لوازם فاسدة أدت بالجهم بن صفوان وغيره إلى القول بفناء الجنة والنار⁽⁴⁾.

قال "وقال أهل الإسلام جميعاً: ليس للجنة والنار آخر، وإنهما لا تزالان باقيتين لا يزال أهل الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يُعذّبون: ليس لذلك آخر"⁽⁵⁾. "وقد أخبر الله ببقاء الجنة والنار بقاء مطلقاً"⁽⁶⁾. فها هو يؤكد اتفاق أئمة السلف على أبدية النار وإنكارهم قول الجهمية بفناها فكيف يوافق هؤلاء ويختلف السلف؟

فها هو يعزّو القول بفناء النار إلى الجهم بن صفوان رأس الجهمية وأبي الهذيل العلaf رأس المعتزلة. فكيف يأخذ بقولهم مع أنه صرّح - بما رأيت - أن جمهور المسلمين مخالفون لهم؟

والعجب أن ابن عبد الهادي ذكر عند سرد مؤلفات ابن تيمية أن "له كتاب قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار"⁽⁷⁾.

هل قال ابن القيم بفناء النار؟

وقد قسّم ابن القيم منازل الناس يوم القيمة إلى ثلات دور: دار الطيب المحسن، ودار الخبيث المحسن، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطين، وهي الدار التي تفني، وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذّبوا

⁽¹⁾ مجموع الفتاوى 18: 307 .

⁽²⁾ درء تعارض العقل والنقل 8: 345 .

⁽³⁾ الفتاوى 8: 380 و12: 45 و14: 348 منهاج السنة 1/ 146 و310 و351 .

⁽⁴⁾ مجموع الفتاوى 3: 304 . درء تعارض العقل والنقل 1: 39 و305 و3: 158 تحقيق د: محمد رشاد سالم. ط: جامعة الإمام بالرياض .

⁽⁵⁾ درء التعارض 2: 358 .

⁽⁶⁾ بيان تلبيس الجهمية 157 .

⁽⁷⁾ العقود الدرية في مناقب ابن تيمية 67 دار الكتب العلمية .

بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة: ولا يبقى إلا دار الطيب المغض ودار الخبيث المحض⁽¹⁾.

واحتاج ابن القيم على الجهمية بعقيدة أبي زرعة وأبي حاتم الرازى وسرد عقidiتىهما ومما احتاج بقولهما فيه أن الجنـة والنـار مخلوقـان لا يـفـنـيـان⁽²⁾.

قال ابن القيم "وأنا في هذه المسألة على قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه ذكر دخول أهل الجنـة الجنـة، وأهل النار النار، ووصف ذلك أحسن صفة، ثم قال: ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء⁽³⁾".

فافتضـت حكمـته سـبحـانـه أن خـلـق دـاراً لـطـالـبـي رـضـاهـ العـامـلـينـ بـطـاعـتـهـ،ـ المؤـثـرـينـ لـأـمـرـهـ القـائـمـينـ بـمحـابـهـ:ـ وـهـيـ الجنـةـ...ـ وـخـلـق دـاراً أـخـرىـ لـطـالـبـ أـسـبـابـ غـضـبـهـ وـسـخـطـهـ...ـ فـهـاتـانـ الدـارـانـ هـمـ دـارـاـ القرـارـ"⁽⁴⁾.

موقف أهل التحرير من ابن القيم

وقد أـبـىـ لـصـوـصـ النـصـوصـ إـلـاـ الدـسـ وـاتـبـاعـ ماـ تـشـابـهـ منـ كـلـامـ ابنـ الـقـيمـ معـ تـجـاهـلـ لـمـحـكـمـ أـقوـالـهـ وـصـرـيـحـهاـ التـيـ نـصـتـ عـلـيـهاـ كـتـبـهـ،ـ فـانـظـرـوـاـ أـدـلـتـهـمـ لـتـعـرـفـوـاـ حـقـيقـتـهـمـ:ـ قـالـلـوـاـ⁽⁵⁾ـ "ـ وـكـذـبـ عـلـىـ اللـهـ حـيـنـ قـالـ فـيـ (ـ حـادـيـ الـأـرـوـاحـ 257ـ)ـ أـنـ النـارـ قـدـ أـخـبـرـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ فـيـ ثـلـاثـ آـيـاتـ عـنـهـ بـمـاـ يـدـلـ عـلـىـ عـدـمـ أـبـدـيـتـهـاـ"ـ اـنـتـهـىـ.

وـتـجـاهـلـوـاـ أـنـ ابنـ الـقـيمـ كـانـ يـنـقـلـ أـقـوـالـ الفـرـيقـيـنـ الـمـخـلـقـيـنـ فـيـ هـذـهـ الـمـسـأـلـةـ،ـ ثـمـ خـتـمـ مـقـالـةـ الـفـرـيقـيـنـ بـقـوـلـهـ "ـ فـهـذـهـ نـهـاـيـةـ أـقـدـامـ الـفـرـيقـيـنـ فـيـ هـذـهـ الـمـسـأـلـةـ"ـ.

قـالـ "ـ فـإـنـ قـيلـ فـإـلـىـ أـيـنـ اـنـتـهـىـ قـدـمـكـمـ فـيـ هـذـهـ الـمـسـأـلـةـ الـعـظـيمـةـ الشـأـنـ؟ـ قـيـلـ:ـ إـلـىـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ {ـ إـنـ رـبـكـ فـعـالـ لـمـاـ يـرـيدـ}ـ وـإـلـىـ هـنـاـ اـنـتـهـىـ قـدـمـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ فـيـهـ حـيـثـ ذـكـرـ دـخـولـ أـهـلـ الجنـةـ الجنـةـ،ـ وأـهـلـ النارـ النارـ،ـ وـقـالـ:ـ ثـمـ يـفـعـلـ اللـهـ بـعـدـ ذـلـكـ ماـ يـشـاءـ،ـ وـإـلـىـ هـنـاـ اـنـتـهـتـ أـقـدـامـ الـخـلـائقـ.ـ وـمـاـ ذـكـرـنـاـ مـنـ صـوـابـ فـمـنـ اللـهـ،ـ وـمـاـ كـانـ مـنـ خـطاـ فـمـنـيـ وـمـنـ الشـيـطـانـ،ـ وـالـلـهـ وـرـسـوـلـهـ بـرـيءـ مـنـهـ"ـ اـنـتـهـىـ.

فـمـنـ أـيـنـ زـعـمـتـ أـنـ ابنـ الـقـيمـ تـبـنـىـ القـوـلـ الصـرـيـحـ بـفـنـاءـ النـارـ أـيـهـاـ الـمـحـرـفـونـ؟ـ ثـمـ لـجـأـوـاـ إـلـىـ تـحـرـيـفـ آـخـرـ فـقـالـلـوـاـ "ـ وـقـالـ [ـ الـحـافـظـ اـبـنـ حـجـرـ]ـ وـقـدـ مـالـ بـعـضـ الـمـتـأـخـرـيـنـ إـلـىـ هـذـاـ القـوـلـ السـابـعـ وـنـصـرـهـ"ـ قـالـلـوـاـ:ـ وـيـرـيدـ الـحـافـظـ بـبـعـضـ الـمـتـأـخـرـيـنـ:ـ اـبـنـ الـقـيمـ الـجـوزـيـةـ،ـ وـلـاـ يـخـفـىـ ذـلـكـ عـلـىـ مـنـ طـالـعـ حـادـيـ الـأـرـوـاحـ"⁽¹⁾.

يـاـ لـجـرـأـ الـمـحـرـفـيـنـ كـيـفـ عـلـمـوـاـ أـنـ مـرـادـ الـحـافـظـ بـذـلـكـ اـبـنـ الـقـيمـ بـيـنـمـاـ لـمـ يـصـرـحـ اـبـنـ الـقـيمـ نـفـسـهـ بـتـبـنـىـ هـذـاـ القـوـلـ فـيـ كـتـابـهـ المـشـارـ إـلـيـهـ؟ـ وـعـلـىـ مـنـ لـاـ يـخـفـىـ؟ـ

(1) الوابل الصيـبـ شـرـحـ الـكـلـمـ الطـيـبـ 49ـ تـحـقـيقـ الـأـنـصـارـيـ .

(2) اـجـتمـاعـ الـجـيـوشـ الـإـسـلامـيـةـ 233ـ تـحـقـيقـ عـوـادـ الـمـعـنـقـ طـ:ـ الـرـيـاضـ .

(3) شـفـاءـ الـعـلـيـلـ 264ـ طـ:ـ دـارـ الـمـعـرـفـةـ .

(4) طـرـيقـ الـهـجـرـتـيـنـ 140ـ طـ:ـ دـارـ الـوـطـنـ لـلـنـشـرـ وـالـإـعـلـامـ .

(5) مـجـلـتـهـمـ مـنـارـ "ـ الـهـدـىـ"ـ عـدـدـ 13ـ صـ 53ـ .

(1) مـجـلـتـهـمـ مـنـارـ "ـ الـهـدـىـ"ـ . 53 / 31 .

هكذا فعل الذين في قلوبهم مرض في القرآن فاتبعوا ما تشابه منه وأعرضوا عن حكمه، وهكذا يفعلون مع نصوص العلماء: يتبعون ما تشابه ويتجاهلون ما صرحو باعتقاده بكلمات واضحة.

ثم زعموا أن ابن أبي العز قال في (شرح الطحاوية 427) "السابع: أن الله يُخرج منها من يشاء كما ورد في الحديث ثم يبقيها شيئاً فشيئاً ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه" وهم يهجمون بمثل هذا الدس على العامة والجهال. وأما طلبة العلم فيعلمون أن قوله (السابع) أي القول السابع من الأقوال المختلفة. حيث كان يسرد أقوالهم في هذه المسألة. فانظر إلى أهل التحريف كيف يحرفون كلام المخلوقين بعد تحريفهم كلام الله ورسوله.

من القائلون بفناء النار

ولو فرضنا أن ابن تيمية وتلميذه قد صرحا بذلك فلا يجوز أن يُعتبر ذلك كفراً فإن فيه روايات منقولة عن السلف أبي هريرة وأبي سعيد وعمر وابن مسعود منها ما أورده السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى {خالدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} :

- أخرج ابن المنذر عن الحسن قال: قال عمر رضي الله عنه "لو لبث أهل النار قدر رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه"⁽¹⁾.

- وقال الشعبي "يأمر النار أن تأكلهم". وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن إبراهيم قال "ما في القرآن أرجى لأهل النار من هذه الآية". وقال "جهنم أسرع الدارين عمراناً وأسرعهما خرابا"⁽²⁾.

وقال في قوله تعالى {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} وهو أن يأمر النار فتأكلهم وتفنيهم ثم يجدد خلقهم"⁽³⁾.

- وأخرج اسحق بن راهويه عن أبي هريرة قال "سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد".

وعن ابن مسعود قال "ليأتينَ على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلتهمون فيها أحقاباً".

فهذه النصوص المحكية عن السلف كانت مورداً للشبهة، وقد يأخذ بها من لا يتحقق من درجة ثبوت هذه الروايات أو ضعفها. وهذا بخلاف من بنى قوله أصلاً على قواعد أهل الكلام أدت به إلى التزام لوازم فائدة كالجهم بن صفوان. فكيف وأن الثابت عن ابن تيمية وتلميذه تصرحهما المطلق بأبدية الجنة والنار وأنهما لا تفنيان أبداً! وهو ما أذهب إليه.

ولقد أنكر الشعري صحة القول بفناء النار إلى محي الدين بن عربي، مع أن ذلك موجود في كتبه، فقال الشعري في الأجوية المرضية "ثم إنه بتقدير صحة نسبة ذلك إلى الشيخ محي الدين فالشيخ لم ينفرد بذلك، فقد قال جمع من الظاهريه وفرقة من الحنابلة والقدريه بفناء النار"⁽⁴⁾. ومع ذلك فإن المتعصبين لم يُشيروا إلى ذلك وإنما سكتوا عنه وكتموا الحق بشأنه لأنه من الأولياء:

نعم؛ هو من الأولياء ولكن أولياء من؟

قال تعالى {إِنَّهُمْ أَنْهَدُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلَيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسِنُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ}. وقال {فَقَاتَلُوا أَوْلَيَاءَ الشَّيَطَانَ}.

(1) قال الألباني في شرح الطحاوية 484 "ضعيف فإن الحسن لم يدرك عمر بن الخطاب".

(2) تفسير الطبرى المجلد السابع 12 / 71 والدر المنثور للسيوطى 350/3 .

(3) تفسير القرطبي 100/10 .

(4) نقاً عن جلاء العينين للألوسي 425 .

قيام الحوادث بالرب هو قول الأشعري

أما عن استنكار الحبشي قول ابن تيمية "فإن قلتم لنا: فقد قلتم قيام الحوادث بالرب. قلنا لكم: نعم، وهذا قولنا الذي دل عليه الشرع والعقل"⁽¹⁾: فالحبشي يكتم الناس أن هذه من مسائل الأشعري نفسه خالفة فيها الماتريدية وأن الأشاعرة يوافقون ابن تيمية في ذلك.

الرازي يصرح بقيام الحوادث بالرب ويكتم الحبشي أيضاً عن عامة أتباعه أن هذا ليس مذهب ابن تيمية وحده وإنما هو ما انتهى إليه نظار الأشاعرة حيث انتقدوا القول بأزليّة الصفات مطلقاً بعد أن واجهتهم مشكلات بسبب هذه النظرية، فتفرقوا واضطربوا:

حتى صرّح إمامهم في المذهب الأشعري وهو الرازي بأن أكثر العقلاة يقولون بـقيام الحوادث بالرب وإن أنكروه باللسان:
أضاف الرازي:

فأبو علي وأبو هاشم من المعتزلة وأتباعهما قالوا بإرادة حادثة لا في محل.
وأبو الحسين البصري يثبت في ذاته تعالى علوماً متعددة بحسب تجدد المعلومات.
والفلاسفة يقولون بأن الإضافات وهي القبلية والبعدية موجودة في الأعيان. فيكون الله مع كل حادث. قال الرازي: وذلك الوصف الإضافي حدث في ذاته.
والأشعرية يثبتون نسخ الحكم، ويثبتون للعلم والقدرة تعلقات حادثة⁽²⁾ وانتهى إلى أن القول بـقيام الصفات الفعلية (ذكر منها صفة الكلام) بمشيئة الله واختياره هو أصح الأقوال عقلاً ونقلأً" قال الحافظ ابن حجر "وهو المحفوظ عن السلف"⁽³⁾.

⁽¹⁾ المقالات السنّية 19.

⁽²⁾ الأربعين في أصول الدين للرازي 118.

⁽³⁾ فتح الباري 441/13.

وقال في المطالب العالية "هل يعقل أن يكون الله ملأاً للحوادث؟ قالوا⁽¹⁾ هذا قول لم يقل به إلا الكرامية. وأنا أقول: إن هذا قول قال به أكثر أرباب أهل المذاهب، أما الأشعرية: فإنهم يدعون الفرار من هذا القول إلا أنه لازم عليهم". ثم أوضح بطلان عقيدة الأشاعرة في الكلام النفسي هو قول بعيد عن الصواب⁽²⁾.

فإذا كان قيام الحوادث بصفات الرب الفعلية: لزم الحبشي تكفير ابن حجر والرازي والأشاعرة عموماً، فإنهم أكدوا قيام الحوادث في أفعاله سبحانه. وأنه قول لا مهرب منه. أليس غريباً حينئذ أن يتهم ابن تيمية بأنه يقول بـقيام الحوادث بالرب بينما يكتم عن عامة أتباعه أن هذا ما اثّهم به الأشعري نفسه في موقفه من صفة التكوين وسائر صفات الأفعال. ولقد زعم أن الأشعرية والماتريدية تمثلان عقيدة أهل السنة والجماعة. وأنه لا حرج على من يختار أي من الطريقتين شاء. فإذا كان يلزم من القول بـحدوث صفات الرب حدوث الرب نفسه فـأخرجوا الأشاعرة من بوتقة أهل السنة والجماعة. وهذا لا ريب فيه.

ولقد اعترف الحبشي بأن معظم الأشاعرة خالفوا الماتريدية قائلين: إن الصفات الفعلية ليست أزلية لأنها لا تتعلق بـذات الله تعالى⁽³⁾ وإنما تقوم بإرادة الله ومشيئته⁽⁴⁾. ويلزمهم من ذلك أن يعترفوا بأن الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية خلاف في أصل العقيدة. وأن منه ما جعلهم يـكـفـر وبـيـبـدـع بعضهم بعضاً.

ولقد اعترف الحبشي بصحة ما ذكره الحافظ ابن حجر في (الفتح 13/439) بمعارضة الأشعري القول بأزلية كل الصفات للـله تعالى مما جعل الماتريدية يـلـزـمـونـه بأنه يـقـولـ بـحـلـولـ الـحـوـادـثـ بـالـلـهـ⁽⁵⁾. وبـقـيـمـةـ هذا الخلاف قائماً بين الفريقيـنـ إلىـ الـيـوـمـ:

فالأشاعرة يقولون بأن الصفات الفعلية للـله ليست أزلية بـخـلـافـ الصـفـاتـ الـذـاتـيـةـ فإنـهاـ أزليةـ.ـ وهذاـ باـعـتـرـافـ الـحـبـشـيـ نـفـسـهـ⁽⁶⁾.

(1) يعني أصحابه من الأشاعرة.

(2) الدليل القويم 76.

(3) إظهار العقيدة السننية 31.

(4) فتح الباري 13/441 و455 و491.

(5) الدليل القويم 76.

(6) الدليل القويم 75.

التعقيقات والإضافات هروب شبيه بالكسب

وقد فسروا أفعال الله بالتعقيقات والإضافات وهي في الحقيقة ليست إلا الأفعال ولكنها مخالفة لها في اللفظ موافقة لها في المعنى كقولهم في الكسب الذي خالفوا في الجهم لفظاً ووافقوه معنى. ولهذا الزم الرازي الأشاعرة بأن التعقيقات والإضافات التي يقول بها المتكلمون هي الحدث بنفسه في الله⁽¹⁾.

أما عن التعقيقات فيسألهم ابن تيمية أولاً عن الدليل الشرعي من الكتاب والسنة على وجود إضافات وتعلقات لله وهو أمر غبي لا قبل لهم بالعلم به إلا من عند الله؟ فهذا افتراء شبيه بافترائهم أن جبريل فهم ما في نفس الله من المعاني وصاغه بألفاظ من عنده.

ثم ينالشهم ابن تيمية فيقول "إما أن يكون التعلق أمراً وجودياً أو عدمياً؟ فإن كان عدمياً فلم يتجدد شيء والعدم لا شيء. وهذا قول غير معقول. وإن كان وجودياً بطل قولهم من أصله فيلزمهم إثبات إرادة فعلية مستقبلة⁽²⁾..

⁽¹⁾ الأربعين في أصول الدين 118 .
⁽²⁾ درء تعارض العقل والنقل 283/8 .

نفي قيام الحوادث بالرب

ذرية اعتزالية قديمة موروثة

ولقد استخدم المعتزلة هذه الذريعة فقالوا: لا تحلّ الحوادث بالله: لا الأعراض ولا الجواهر. وأرادوا بذلك نفي أن تقوم به صفة العلم والقدرة أو أن يقوم به الفعل كالخلق والاستواء والإحياء والإماتة. غير أن السلف ردوا عليهم.

- قال البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ} وقوله {الْعَلَّةُ يُحْدَثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} بأن حدثه سبحانه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى {لَا يَسْأَلُ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}.^١

فإنكار قيام الحدث في أفعال الرب يؤدي إلى القول بأزلية المخلوقات، وإثبات ذلك على وجه لا يشبه حدث المخلوقين هو الموفق للشرع والعقل كما قال البخاري".
وأين هذه الأزلية من قول النبي ﷺ المتفق على صحته "لما فرغ الله من الخلق كتب على عرشه رحمتي سبقت غضبي"؟!

تفصيل معنى الحوادث

ولا بد لنا أن نتفهم مراد ابن تيمية من عبارة (قيام الحوادث بالرب):
قال "فمن قال: الرب تعالى ليس محلًا للحوادث، نقول له: إن هذا لفظُ مجمل لا يقبل
على إطلاقه، بل يُفسَّر ويُفصَّل كالتالي:

فإن أريد بهذا النفي المجمل أن الله تعالى ليس محلًا للحوادث، أي ليس داخل ذاته
المقدسة شيء من المخلوقات المحدثة فهذا نفي صحيح.

وإن أريد بذلك النفي: نفي ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من
الصفات الإختيارية من أن لا يتكلم بما شاء إذا شاء ولا أنه يغضب ويرضى ولا أن يوصف
بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته: فهذا نفي باطل
ومردود على قائله⁽¹⁾.

وأهل الكلام المذموم يطلقون [لفظ] نفي الحوادث، فيسلم السُّنْيَ لـه ذلك على ظن أنه
ينفي عن الله ما لا يليق بجلاله.
إذا سلم له ذلك ألمعه [المتكلم] بنفي الصفات الإختيارية وصفات الفعل، وهو غير
لازم له.

وإنما أتى السُّنْيَ من تسلیمه لهذا النفي المجمل، وإلا فلو استفسر واستفصل لم
ينقطع معه" أي لم يتمكن المتكلم من إلزامه بهذا النفي.

مسألة قدم العالم

وزعم الحبشي أن ابن تيمية كفر لقوله بقدم العالم بنوعه، ونقل عن التقى السبكي قوله في الدرة المضية أن ابن تيمية "جعل الحادث قدماً والقديم حادثاً" يعني قوله بقدم المخلوقات قوله بحدوث الإرادة بالله. قال: ولم يجمع أحد سواه بين هاتين الضلالتين⁽¹⁾.

- قلت لو كان هذا صحيحاً فكيف يثبت السبكي عليه الثناء البالغ ويصرح أن الله جعل له بين الورع والزهدادة وبلغه والاجتهد والديانة ونصرة الحق، واتباعه مذهب السلف⁽²⁾ رواه الحافظ ابن حجر.

وإذا كان السبكي يصف ابن تيمية بهذه الأوصاف العظيمة: كيف يجرؤ لرجل ككمال الحوت أن ينفي دعاء السبكي له بالرحمة⁽³⁾ فإنه بالرغم من تعصب السبكي للبن ضد ابن تيمية إلا أنه كان يدعوه له بالرحمة والفوز بشفاعة النبي ﷺ ووسيلته⁽⁴⁾.

القائلون بأزلية فعل الخالق يلزم أزلية المخلوق بل إن من يدعون أن صفات الله كلها أزلية ولا يعترفون بأن أفعال الله كالتخليف والتصوير أفعال حادثة: يلزمهم القول بأزلية المخلوق، لأنه إذا كان فعل الله بلا أول لزم أن يكون المفعول المخلوق بلا أول.

الفخر الرازي يمنع من تكبير القائلين بقدم العالم وتعجب إذا علمت أن الفخر الرازي - مقعد المذهب الأشعري - قرر في "شرح إشارات ابن سينا" (41-42) أنه لا يُكفر لمن يقول بقدم العالم على طريقة الفلسفه مع إثبات الخالق وأن العالم مخلوق لازم لذات الله، بل لم يجعلها من مسائل التوحيد ما دام الكل متفقاً على أن الله هو خالق كل شيء.

قال "فأما القائلون بأن واجب الوجوب واحد، فقد اختلفوا على قولين: فمنهم من قال: إنه تعالى لم يكن في الأزل فاعلاً، ثم صار فيما لا يزال فاعلاً، ثم صار فيما لا يزال فاعلاً وهم المليون بأسرهم. ومنهم من قال: إنه كان في الأزل فاعلاً، وهو الفلسفه". ثم قال بعد سطور: إنه كان في الأزل فاعلاً وهو الفلسفه. قال "فثبت أنه لا تعلق لمسألة القدم والحدوث بالتوحيد".

اختبار الصدق

وكنا نود أن يكون الحبشي شديداً على القائلين الحقيقيين بقدم العالم، غير أنها رأينا على عكس ذلك فإنه يستتر عليهم ويتأول الفاظهم.

فمع أنه يذكر أن الأمة اتفقت على كفر القائلين بقدم العالم، إلا أنه لا يريد أن يعرف بأن أبرز القائلين بقدم العالم هم الصوفية، يتزعمهم في ذلك ابن عربي كما صرّح به:

(1) الدليل القوي 160 .

(2) الدرر الكامنة 1/159 الذيل على طبقات الحنابلة 293/2 .

(3) التوفيق الرباني 68 و76 والرسائل السبكية 60 .

(4) طبقات السبكي 10: 149 تحقيق الحلو والطناхи ط: الحلبي مصر .

العز بن عبد السلام (الذي كان معاصرًا لابن عربي).

وأبو حيّان النّحوي.

والحافظ ابن حجر.

حيث صرحو أن ابن عربي يقول بقدم العالم ولا يحرّم فرجاً⁽¹⁾.

لكن الحبشي ينسب القول بقدم العالم (زوراً) إلى ابن تيمية ويكتم على شهادة العز بن عبد السلام وأبي حيان في ابن عربي أنه كان مؤمناً بقدم العالم: فهل هذا إلا الظلم والتعصب الأعمى؟!

هذه كتب ابن تيمية: أين قال فيها بِقَدْمِ الْعَالَمِ؟ قارنوها بكتب ابن عربي التي قال فيها الذهبي "إن لم تكن كفراً فلا يوجد في الدنيا كُفُرٌ"⁽²⁾.

(1) لسان الميزان 2/384 سير أعلام النبلاء 23/48 تفسير البحر المحيط 3/449 تنبية الغبي إلى تكفير ابن عربي 157 للبقاعي طبقات ابن الملقن (153) صفحة 469 .

(2) سير أعلام النبلاء 23/48 .

ما حكم القائلين بأزلية النور المحمدي؟

إن الحبشي يخفي حقيقة لا يعرفها من يتعصبون له، وهو أنه في الوقت الذي يتهم فيه على ابن تيمية ويتهمه كذباً بأنه يقول بأزلية شيء مع الله، يخفي عليهم أن القول بوجود مخلوق أزلي مع الله هو قول المنحرفين الصوفية الذين يفخر بأنه على طريقتهم كالرفاعية والنقشبندية.

الصيادي والرواس يصرحان بأزلية نور النبي ^م

فقد ذكر الصيادي في قلادته الصلاة الرفاعية ونصها:

"اللهم صلّ على نورك الأسبق الذي أبرزته رحمة شاملة لوجودك: نقطة مركز الباء الدائرة الأولية الذي فتقت به رتق الوجود وخصصته بالمقام المحمود وأقسمت بحياته: فهو سرُّ القديم الساري وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحivistَ به الموجودات من معدن وحيوان ونبات⁽¹⁾".

ووصفه الصيادي بأنه نور من نور الله وسر من أسراره⁽²⁾. وهذا السر قديم مع قدم الله.

وهذا ما صرَّح به المهدى الرواس في كتابه (بوارق الحقائق)⁽³⁾ حيث جعل نور النبي ^م أزلياً وأن عمامته فوق عرش الله، قال:

وهو نور أزليٌ طرزه
صار في وجه وجود الكون شامة
طوي العالم في جبته
وعلى العرش علت منه العمامه

وتسألهُم: كيف اعتقدتم بوجود أزلي مع الله؟ أليس هذا كفراً؟ لماذا لا تحكمون بـ كفر زعيمين من كبار الطريقة الرفاعية: الصيادي والرواس؟

وهنا ستخرس ألسنتهم ولن يرضوا بتکفير الصيادي ولا الرواس، لأنهما رأس الطريقة الرفاعية، وسيحاولون التملص من الإلزام، وسيشعرون بالذلة بعد تعاظمهم، يتبعون بتکفير ابن تيمية لقوله بزعمهم بأزلية المخلوقات، ألا فليجيروا عن انحرافات الصيادي والرواس إن كانوا صادقين. فإن أبويا فاعلم أنهم متغصبون: يصدق فيهم قول أبي حنيفة "إني وجدت أهل الكلام قاسية قلوبهم، غليظة أفتدتهم، يبالغون مخالفة الكتاب والسنة، وليس عندهم ورع ولا تقوى"⁽¹⁾

(1) قلادة الجواهر 249 وهذا الكتاب يعتمد الحبشي ويعظمه.

(2) قلادة الجواهر 263.

(3) بوارق الحقائق ص 333 وص 15 من المجموعة النادرة.

(1) سير أعلام النبلاء 6/399 مقناح دار السعادة 2: 136.

والصيادي يزعم أنه لو لا محمد لما خلق الله السماوات والأرض. قال "فالكل لأجله كان وبه نظم، بمعنى لو لاك لو لاك لما خلقت الأفلاك"⁽²⁾ وقد كذبه الله حين قال {وما خلقت الجنَّ والانسَ إلَّا لِيَعْبُدُونَ}.

والصوفية يزعمون أنهم يصيرون إلى حالة تجعلهم مع الله شيئاً واحداً، وكلامهم في "الفناء بالله" مشهور منتشر في كتبهم. فكيف يصير القديم والحادي ثانياً واحداً؟!

عقيدة مصطفى نجا من وحدة الوجود

كما يعبر عنه عبد السلام بن بشيش "اللهم انشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة"⁽³⁾، هذه العبارة المشؤومة قد استحسنها من تجعلونه قدوة لكم في الاعتقاد وهو الشيخ مصطفى نجا⁽⁴⁾. قاله في كشف الأسرار الذي أثني عليه الأحباش وزعموا أنه دليل على صحة عقيدته⁽⁵⁾.

فيما من تزعم أن من مزايا الطريقة الرفاعية محاربة القائلين بوحدة الوجود لماذا تثنى أنت وأتباعك على مصطفى نجا الذي استحسن هذا الكلام الكفري من ابن بشيش، فالتوحيد عنده أوحال، والوحدة عنده هو عين التوحيد!!

وإليك المزيد من عقيدة مصطفى نجا الشاذلي اليشرطي⁽⁶⁾:

وكان يؤمن بقدم نور نبينا ﷺ وأن من نوره ﷺ خلق الله الأشياء، وأن نور النبي ﷺ أول صادر عن الله⁽⁷⁾.

وأنه لو لا محمد ما خلق الله سماءً ولا أرضاً، ولم يخرج شيء من العدم إلى الوجود لو لا سريان سره في الأشياء وإمداده لها: لم يصح بقاء موجود⁽¹⁾.
وزعم أن الله يتجلى لمن شاء من خلقه كما وقع لموسى حين تجلى الله له على النار المخلوقة⁽²⁾.

طريقة أهل البدع في الحكم على الآخرين
وزعم أن ابن تيمية قال "لا مانع أن يكون نوع العالم غير مخلوق لله"⁽³⁾ من غير أن يحيل إلى شيء من كتبه.

(2) قلادة الجواهر 252 .

(3) النحفة العالية في أوراد الشاذلية 16 .

(4) كشف الأسرار لتنوير الأفكار ص 9 طبع على نفقة أحمد اليشرطي شيخ الطريقة اليشرطية الشاذلية.

(5) مجلة منار الهدى 47/43 .

(6) اليشرطية طائفة صوفية فاسدة حكى عنها أمور مذمومة واعتقادات مشؤومة حتى نفتهم الحكومة العثمانية، حكى في (حلية البشر أنهم كانوا يفخرون بمخالفة الشريعة وأن فعل المنكرات يوصل إلى رب الأرباب، ويذكر أنهم كانوا يرتكبون الفواحش، وكان كثيرون يشكونهم إلى مؤسس الطريقة علي بن أحمد اليشرطي فكان يقتصر على قوله: "عظوهن وعرّفوهن أن هذا محرم. وإذا وعظهم إنسان سخروا منه وعدوه من أهل الجهالة" (انظر الأعلام للزركلي 261/4).

(7) كشف الأسرار ص 128 .

(1) كشف الأسرار 74 - 75 وانظر 86 .

(2) الكشف الإلهي 80 .

(3) الدليل القويم 160 .

ولا وجود لمثل هذا في كلام ابن تيمية وإنما هذا ما يراه الحبشي مما يزعم أنه من كلامه، ولو سأله عن المصدر الذي أخذ منه هذه العبارة لقال لك أنا لم أنقل هذا نصاً وإنما هو لازم كلام ابن تيمية في قوله بالقدم النوعي.

ولقد نبه ابن تيمية من قبل على أن هذه طريقة من طرق أهل الكلام في الافتراء على خصومهم حيث يُلزمونهم بما لم يقولوه، ثم يحكونه للناس فيظنون أنه نص كلامهم، وإذا طوّلوا بالدليل على ما زعموه من مصدر خصومهم قالوا لك: هذا لازم قول خصمنا. وهو تحريف واضح وليس بجديد، فقد حرفوا كلام الله: جعلوا الاستواء استيلاء، فما الذي يمنعهم من تحريف كلام غير الله؟! ولا يعتقدون أن لازم المذهب ليس بمذهب.

تبرئة ابن تيمية من القول بقدم العالم

قال الحبشي "فإن قلت أين قال ابن تيمية بأن دوام النوع أزلية. قلنا مراده بدوام النوع الأزلية كما لا يخفي⁽¹⁾ فلم ينقل الحبشي شيئاً من كتب ابن تيمية وإنما قال "لا يخفى أن يكون هذا مراده" أي مقصوده. ولو كان لابن تيمية نص صريح لتمسك به الحبشي وأظهره على الملا. لكنه لا يملك نصاً فلم يسمعه إلا أن يقول: ومراده بدوام النوع الأزلية كما لا يخفي". وهذا تلبيس ماكر لا يتغطى له العامة من الناس.

وهو لا يخبرهم أن ابن تيمية يرى أن الصفات الفعلية لله تعالى وإن كانت أزلية النوع إلا أنها حادثة للأفراد كالخلق والكلام.

لكن الظالمين قلبوها إلى "قدم العالم النوعي" وجعلوا ذلك موافقاً لقول ابن سينا والفارابي وابن رشد الحفيـد⁽²⁾، بطريقة اعتباطية جائرة. وهذا قولهم عن الحنابلة أنهم يعتقدون بأزلية وقدم ورق المصحف والحرير وجلد الغلاف. وقد جهلو أن الله مطلع على هذا التلبـيس الذي لا يزيد طالب الحق إلا نفوراً من مذهب الظلم.

وقد أفتى ابن تيمية بـكفر الفلسفـة لقولـهم بـقدمـ العالمـ، وصرـحـ مرارـاً بـأنـ اللهـ لمـ يـزـلـ خـالـفاًـ فـعـالـاًـ وـأـنـ دـوـامـ خـالـقـيـتـهـ مـنـ لـوـازـمـ وـجـوـدـهـ،ـ فـهـذـاـ لـيـسـ قـوـلـاًـ بـقـدـمـ شـيـءـ مـنـ عـالـمـ⁽³⁾.

وأكـدـ أـنـ القـوـلـ بـقـدـمـ الـعـالـمـ قـوـلـ الـدـهـرـيـنـ وـهـوـ كـفـرـ ظـاهـرـ مـعـلـومـ فـسـادـهـ بـالـعـقـلـ وـالـشـرـعـ،ـ إـذـ لـوـ كـانـ الـعـالـمـ قـدـيـمـاـ لـوـجـبـ أـنـ يـكـونـ مـعـ الـلـهـ قـدـيـمـ آـخـرـ⁽⁴⁾ـ بـلـ هـذـاـ مـنـ أـبـطـلـ الـبـاطـلـ وـأـنـ مـنـ قـالـ بـذـكـرـ فـلـيـسـ مـعـهـ إـلـاـ الجـهـلـ"ـ (ـمـنـهـاجـ السـنـةـ 101ـ/ـ104ـ).ـ فـإـنـ "ـكـلـ مـاـ سـوـىـ الـلـهـ مـخـلـوقـ حـادـثـ كـائـنـ بـعـدـ أـنـ لـمـ يـكـنـ،ـ وـأـنـ اللـهـ هـوـ وـحـدـهـ الـقـدـيـمـ الـأـزـلـيـ لـيـسـ مـعـهـ شـيـءـ قـدـيـمـ تـقـدـمـهـ"ـ (ـدـرـءـ التـعـارـضـ 125ـ/ـ1ـ).

قال "ويمتنع أن يكون مفعوله (أي ما خلقه الله) مقارناً له أزلياً معه، لأن كونه مقارناً في الأزل يمنع كونه مفعولاً له، فإن كون الشيء مفعولاً مقارناً ممتنع عقلاً" (منهاج السنة 117/1). مما يؤكد أن كلام ابن تيمية عن دوام النوع لا يعني به شيئاً من دوام أحد غير الله.

⁽¹⁾ الدليل القويـمـ 41.

⁽²⁾ قالـهـ فـيـ كـتـابـهـ إـظـهـارـ العـقـيدةـ السـنـيةـ 41.

⁽³⁾ مـجـمـوعـ الـفـتاـوىـ 95ـ/ـ16ـ.

⁽⁴⁾ شـرـحـ حـدـيـثـ النـزـولـ 160ـ وـ170ـ طـ المـكـتـبـ الإـسـلـامـيـ .

وقال "وليس معه شيء قد يُقدم بقدمه، بل ليس في المفهولات قد يُقدم أبداً، بل لا قد يُقدم إلا هو سبحانه، وهو الخالق لكل ما سواه، وكل ما سواه مخلوق" (المنهاج 8/272).

فهذا هو يصرح بوضوح أن القول بوجود قد يُقدم آخر مع الله تعالى من أبطل الباطل، فأوضحوا كلامكم وأجيبوا ببساطة ووضوح: هل يقول ابن تيمية بقدم شيء مع الله أم لا؟ إن سؤالاً مثل هذا على بساطته سوف يُحرجهم لأنهم لن يجدوا من كلام ابن تيمية ما يؤيد فريتهم.

سلسل الحوادث لا إلى أول

يمنعون على الله التخلق

وأما مذهبكم الذي أخذتموه من الحبشي فإن العامة لم يقفوا بعد على حقيقته وهو أنكم تجعلون ممتنعاً على الله أن يخلق شيئاً قبل خلق الماء أو العرش. وهو الذي جعل ابن تيمية يخالفكم في ذلك أشد المخالفات، لأن مذهبكم ينتهي إلى نسبة العجز لله عز وجل، لا سيما وأنه محالٌ على الله برأيكم أن يخلق شيئاً قبل خلق السموات والأرض، لأن الامتناع عنكم داخل في باب المحالات.

وهذا ما حدا بابن تيمية إلى مخالفتكم قائلاً بأنه:

"إذا لم يزل الله حياً قادرًا مريداً متكلماً – وذلك م لوازم ذاته – فالفعل ممكن له بموجب هذه الصفات له، وإنه: أن يوصف الله بالفعل أكمل من أن لا يفعل شيئاً وأنه لا يلزم من هذا القول أن يكون شيء من مخلوقاته ملازم معه أولاً لأنه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدماً لا أول له. فالكل مخلوق أول، والله لا أول له. وليس من العقل أن يكون الله خالقاً من غير خلق." وقال "إذا عرض على العقل ذات يمكنها أن تتكلم بقدرتها وتفعل ما تشاء بنفسها، وذات لا يمكنها أن تتكلم بمشيئتها ولا تتصرف بنفسها: قضى العقل الصريح أن هذه الذات أكمل"⁽¹⁾.

وإثباتكم أن الله خالق لكنه لم يكن خالقاً قول مرجوح، ونسألكم: هل يمكن أن يخلق مذ كان خالقاً؟ فإن قلتم نعم فقد قلتم بإمكان حوادث لا أول لها، ولا فرق عند العقلاة بين إمكاناتها وبين حدوثها فعلاً. وإن قلتم: لا، وقعتم في سفطات لا نهاية لها.

فأئتم لم تعرفوا إلا مذهبين: مذهب الفلسفه القائلين بقدم العالم ومذهبكم في الاستدلال على الخالق بحدوث العالم آل بكم إلى نفي صفات الله الفعلية. لأن الفعل عنكم حدوث، وظننتم أنه إذا بطل مذهب الفلسفه صح مذهب الأشاعره.

بينما هناك قول ثالث: وهو التفريق بين الخلق والمخلوق، فالخالق هو الله تعالى والخلق هو الصفة التي قامت به والمخلوق هو الموجد المنفصل عنه.

فيقال في صفة الخلق لله ما يقال في صفة الكلام. وهذا معنى دوام النوع عند ابن تيمية الذي احتاج بقوله تعالى {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ} على دوام خالقيته مع تصريحة الدائم بأنه ليس مع الله شيء قديم⁽²⁾.

ولكن ليس عنكم أي رغبة في الاعتراف بوجود الفرق بين نوع الصفة وبين عين الصفة، وذلك هرباً من القول بحلول الحوادث بذاته تعالى، وقد فعلتم الشيء نفسه في صفات الله الأخرى فألحدتم في الصفات الفعلية منها وعطلتموها وجعلتم الصفات كلها أزليه، وهو السبب الذي جعلكم تنكرن أن يدخل كلام الله تحت مشيئته وقدرتها. وأن يدخل فعله تحت مشيئته وقدرتها.

⁽¹⁾ مجموع الفتاوى 6/242 درء التعارض 7/4 - 10 .

⁽²⁾ مجموع الفتاوى 18/228 .

بينما يفرق ابن تيمية بين النوع والمعنى ويقسم الصفات إلى ذاتية أزلية وفعالية غير أزلية على النسق الذي فعله الأشعري والبيهقي والكرماني والحافظ ابن حجر من قبل.

وهذا ما حملكم على ظلم الرجل واتهامه بموافقة الفلسفه مع أنه يكفرهم لقولهم بقدم العالم. وشهادتكم عليه شهادة زور تُسألون عنها أمام الله يوم يقوم الأشهاد !

وفي صفة الإرادة يفرق ابن تيمية بين الإرادة للشيء وبين إرادة فعله كقوله تعالى {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} فكلمة (إذا) ظرفية تمضي الفعل الماضي لاستقبال. ففي الآية إثبات إرادة مستقبلة تتعلق بالمراد⁽¹⁾.

وهو لا شك أنه أراد هذا الشيء قبل كونه أزلاً، وهي الإرادة القديمة. وأما إرادة الشيء عند خلقه فهي إرادة متعاقبة لا تتعارض مع إرادة الله الأزلية.
ويقول "أنتم تسلمون قدم الإرادة والقدرة وحدوث المخلوقات بعد أن لم تكن، فما أوجب حدوث المخلوقات في وقت دون آخر؟

فاما أن يوجد سبب لحدثها أو لا يوجد. ولا يمكن أن يقال: لا يوجد سبب.
وهذا السبب هو الفعل الحادث الذي يفتر الأشاعرة المتأخرة منه هروباً من القول بقيام الحوادث بالله. وهو لازم لهم كما ألمتهم به الرazi.

وفي صفة العلم يفرق التفريق نفسه فيرى أن الله يعلم بالشيء قبل وقوعه فلما خلقه تجدد له علم مع علمه المتقدم أنه سيكون. كقوله تعالى {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقِبُ عَنِ الْعِقَبَيْهِ} وقوله {وَلَنَبْلُوْنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوْ أَخْبَارَكُمْ} وقوله {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} ولا يرد على ذلك قولهم أنه يلزم من ذلك التغير في ذات الله. فإن التغير من حجج الفلسفه وشبهاتهم التي جعلتهم ينفون علم الله. وكتاب الله جاء بخلاف ما تخرصت به الفلسفه وأتباعهم الذين جعلوا العلم والإرادة شيئاً واحداً حتى لا يقولوا بتجدد العلم والإرادة.

وصفة السمع والبصر لا تتعلقان بالمدعوم فإذا خلق الله الأشياء رآها، وإذا دعاها عباده سمع دعاءهم. فلله سمع وبصر ذاتيان وفعاليان ففي الرواية يقول تعالى {وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَّا كُنْتُمْ} ولم يقل {قدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} {قدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ} إلا بعد أن قالوا ما قالوا.

وهذا ما انتهى إليه الرazi في شرح الإشارات حيث ذهب إلى أن قول أبي الحسين البصري بتغير العلم عند تغير المعلوم هو المذهب الصحيح⁽¹⁾.

(1) رسالة الصفات الاختيارية لابن تيمية 2/13 ضمن جامع الرسائل .

(1) شرح الإشارات 1/76 عن الزركان ص 309 .

إما حدوث الفعل وإما أزليّة المفعول

وأما قولكم بأزليّة صفات الله الفعلية فإنه يؤدي إلى القول بأزليّة المفهولات، لأننا إذا قلنا بأن الفعل كان أزلياً صار المفعول أزلياً مثله. وإن كان الفعل محدداً بوقت صار المفعول محدداً غير أزلي. فإن من قال إن الله خلق السماوات والأرض والبشر منذ الأزل فقد جعل وجود المخلوقات أزلياً. ولهذا كان قولكم هو المشعر بالتصريح بقدم العالم، وهو الذي دعا الرازى إلى مخالفتكم وإلى التصريح بأن جميع من تهربوا من القول بالحدث في أفعال الله تعالى اضطروا إلى العودة إليه بصيغة أخرى.

ولهذا لم يكن يوافقكم ابن تيمية على زعمكم في:

- 1) التحديد الزمني لابتداء فعل الله التخليف. لأنّه ما من وقت إلا كان الله فيه خالقاً.
ولم يكن معطلاً عن الخلق.
- 2) ولم يوافقكم على زعمكم أن الله كان موصوفاً بأنه خالق لكن التخليق كان ممتنعاً عليه.

3) ومع ذلك لم يكن يرى ابن تيمية وجود شيء قديم مع الله عز وجل كما تزعمون عليه بلا تقوى ولا إنصاف، فإنه قال "وكل مخلوق فهو محدث مسبوق بالعدم وما ثم قديم أزلي إلا الله وحده، وإذا قيل لم يزل خالقاً فإنما يقتضي قدم نوع الخلق [أي التخليق ولهذا قال] ودوم خاليقه لا يقتضي قدم شيء من المخلوقات، فيجب الفرق بين أعيان المخلوقات الحادثة بعد أن لم تكن، فإن هذه لا يقول عاقل أن منها شيئاً أزلياً"⁽²⁾. فain قال ابن تيمية بقدم شيء من المخلوقات؟!

والذين يجعلون لفعل التخليق لله تعالى تحديداً ويمعنون عليه أن يكون خالقاً شيئاً قبل خلق السماوات والأرض فليس عندهم إلا رواية "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض" ويفهمون من ذلك أنه قبل السماوات والأرض لم يكن ثمة خلق. مع أن الرواية هذه تفيد بأن العرش والماء كانوا مخلوقين قبل خلق السماوات والأرض. مما يدل على أن هذه الرواية لا يلزم منها القول بأن الله لم يكن خالقاً شيئاً قبل خلق السماوات والأرض.

- فقد جاء أهل اليمن يسألونه عن هذا العالم المشهود وليس عن جنس المخلوقات. فأخبرهم عن خلق السماوات والأرض حال كون عرشه على الماء ولم يخبرهم عن ابتداء خلق العرش الذي تؤكد الرواية أنه كان مخلوقاً خلق قبل السماوات والأرض.

- وأيضاً فقد قال "كان الله ولم يكن شيء قبله" وفي رواية "معه" وفي رواية "غيره" - والمجلس كان واحداً - فعلم أنه قال أحد هذه الألفاظ الثلاثة والآخران رُويا بالمعنى. ولهذا كان كثير من أهل الحديث يروونه بلفظ "القبل" كالحميدي والبغوي وابن الأثير.

ولفظ "القبل" ثبت عن النبي ﷺ في غير هذا الحديث:
فقد ثبت عنه ﷺ أن الله "قدر مقادير الخالق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة: وكان عرشه على الماء" (مسلم 6243) وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء" (مسلم 2713).

القائلون من أئمة الكلام بتسليسل الآثار⁽¹⁾.

قال الأسنوي في شرح منهاج الوصول (103/2) "وأجاب في التحصيل (لالأرموي) بجوابين ... الثاني "أن المحال من التسلسل إنما هو التسلسل في المؤثرات والعلل، وأما التسلسل في الآثار فلا نسلم أنه ممتنع.

قال الأصفهاني في (شرح المحسوب) وفيه نظر لأنه يلزم منه تجويف حوادث لا أول لها، وهو باطل على رأينا" انتهى كلام الأسنوي ونقطة.

قال العلامة محمد بخيت المطيعي في الصفحة نفسها على (شرح الأسنوي) معلقاً على كلام الأرموي قال "كلام جيد، وأما قول الأصفهاني: (وفيه نظر...) فلا يلزم من كونه باطلاً على رأيه أنه باطل في الواقع ونفس الأمر، فإنه لغاية الآن لم يقدم دليلاً على امتناع التسلسل في الآثار الموجودة في الخارج، وإن اشتهر أن التسلسل فيها محال، ولزوم حوادث لا أول لها يضر بالعقيدة إلا إذا قلنا: لا أول لها: بمعنى لا أول لوجودها: وهذا مما لم يقدم به أحد، بل الكل متفق على أن ما سوى الله تعالى - لما كان أو يكون - حادث: أي موجود بعد العدم بقطع النظر عن أن تقف آحاده عند حدٍ من جانبي الماضي والمستقبل أو لا تقف عند حد من جانبيهما".

فالأرموي مجوز، والأصفهاني مبطل بقوله (وفيه نظر) والإسنوي ناقل، وبخيت المطيعي شيخ الأزهر ناصر لقول الأرموي، وكذلك أثير الدين الأبهري⁽²⁾ في كتابه المعروف بـ "تحrir الدلائل في تقرير المسائل" قائل بها، والشيخ محمد عبده والجلال الدوّاني قائل بذلك كما ستراه: ومع هذا فلا تفسيق ولا تضليل ولا تفكير على النحو الذي نراه من الحبس وأضرابه.

وقد رجح الدوّاني القول بحوادث لا أول لها في حدوث العالم فقال "أنت خبير بما سبق أنه يمكن صدور العالم مع حدوثه، وعلى هذا الوجه، فلا يلزم القدم الشخصي في شيء من أجزاء العالم، بل القدم الجنسي بأن يكون فرد من الأفراد لا يزال على سبيل التعاقب موجوداً؟"

(1) هذا الفصل مستفاد من الكتاب القيم (دفع الشبه الغوية عن شيخ الإسلام ابن تيمية) ص 38 لمؤلفه مراد شكري شكر الله سعيه.

(2) أثير الدين المفضل بن عمر الأبهري السمرقندى صاحب كتاب (هداية الحكم) شيخ الأصفهاني شارح المحسوب توفي 363هـ.

وقال الشيخ محمد عبده في حاشيته على "شرح الدوّاني للعقائد العضدية" (ص 179) ما نصه "وقد استشهد الحكماء على قدم الممكناًت بدليل نقلٍ، وهو ما ذمَ الله به اليهود {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ عُلِّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَاتٌ} وببيانه: أنه لو قيل بحدوث العالم فقد قيل بأن الحق في أزليته لم ينزل معطلاً عن الفيض والجود أزمنة غير متناهية لا ابتداء لها ثم أخذ يعطي الوجود، ومعه أنَّه على فرض أنه لم ينزل خلاقاً إلى الأبد فكل ما خلقه فهو متناهٍ، ونسبة المتناهي إلى غير المتناهي كلام نسبة، وذلك جلي التصور، فنسبة إعطاء الحق للوجود إلى منعه عن كل موجود ليست بشيء، وإن هذا إلا غلَّ اليد، حيث أن الإعطاء ليس بشيء يذكر في جانب المنع، وهذا من الشناعة بمكان... والجواب أن ذلك - التخلص من الشناعة - لا يتوقف على القول بقدم شيء من أجزاء العالم، بل يكفي أن يقال: إن الله لم ينزل خلاقاً، وإن كان كل جزء من أجزاء العالم حادثاً، فلا أول لعطائه، ولا مانع يقهره سبحانه، وهو الجواب الحق، ينفق كيف يشاء، ولا شيء من العالم قديم، بل كل حادث فهو مسبوق بالعدم، فلا دلالة في الآية على القدم" انتهى.

فتأمل قوله (فلا أول لعطائه) وقوله (كل جزء من أجزاء العالم حادث) وقوله (لم ينزل خلاقاً).

قال الأستاذ مراد شكري "واعجب أخي أن أحداً من المحققين النظار لم يخطر بباله أبداً أن قدم النوع هو شيء قديم مع الله، وأن النوع شيء محسوس له وجود.

واسأل هؤلاء: هل نوع الحوادث منفك عن الحوادث أم ملازم لها؟ فهو هي؟ إذ لا يمكن أن يكون شيئاً آخر كما يبدو؟

إن كان هو هي - وهو محال - فما الداعي لذكره؟ فهو حادث مثلها، وإن كان ملزماً لها فالمعروف أن القديم: زائد الحديث يساوي = حادثاً.

والمركب من القديم والحادث هو حادث وهذا بينَ عند من شدا شيئاً من علم الكلام.

وأما إن قالوا: إن النوع شيء والحوادث شيء، فقل لهم: فسرروا لنا كلمة (نوع) وحدها هكذا مجرداً، والأفضل أن ترجعوا لـ "الأجرامية" فتدرسووا باب المضاف والمضاف إليه، وتعربوا جملة (نوع الحوادث) فهذا أليق بكم⁽¹⁾.

ثم نقل عن ابن تيمية في (درء التعارض 9/153) ما نصه "فيقال لكم: أتريدون بذلك أن كل حادث فلا بد أن يكون مسبوقاً بغيره وأن الحوادث المحدودة لا بد أن تكون مسبوقة، أو أن الجنس لا بد أن يكون مسبوقاً؟"

أما الأول والثاني فلا نزاع فيها، وأما الثالث فيقال: أتريدون به أن الجنس مسبوق بعدم أم مسبوق بفاعله؟ بمعنى أنه لا بد له من محدث؟ الثاني [أي أنه مسبوق بفاعله] مسلم، والأول محل نزاع".

قال الأستاذ مراد "فهذا تقرير وتسليم أن جنس الحوادث مسبوق بالفاعل وهو الله جل وعلا، وهذا يؤكد أن القول بحوادث لا أول لها، أو تسلسل الآثار لا يفهم عاقل هذه العبارة إلا أنها متعلقة بمشيئة الله التي هي أزلية، وهي مسبوقة بالفاعل رب العالمين، وهذا بدهي وإلا لما كانت حوادث جمع حادثة، وهي المخلوقة المسبوقة بالعدم بأفرادها".

قال "ويُسأل القائل (إن إثبات حوادث لا أول لها مشاركة لله في اسمه "الأول" فيقال له: ماذا تقول في هذه الحوادث التي لا أول لها الآن؟ هل هي موجودة أم معروفة؟ فاما أن يقول: موجودة أو معروفة. أو يفتح فمه ويقول: ها، ها لا أدرى.

قال شيخ الإسلام في (درء التعارض 3/51) "وأيضاً فالحوادث الماضية عدّمت بعد وجودها، فهي الآن معروفة كما أن الحوادث المستقبلية الآن معروفة، فلا هذا موجود ولا هذا موجود الآن، وكلها ماله وجود في غير هذا الوقت، ذاك في الماضي، وهذا في المستقبل".⁽¹⁾

(1) دفع الشبه الغوية 49 .

اتهامه بالقول بقدم العرش

وهذه كذبة أخرى يفترضها الحبشي على ابن تيمية وينقلها عن الجلال الدواني كما في

شرح العضدية "وقد رأيت في تأليفِ لابن تيمية القول ب القدم الجنسي للعرش"⁽¹⁾. ولعلك تلاحظ عبارة "تأليف" وما تتضمنه من الافتراء فلماذا لم يذكر اسم هذا التأليف.

وإذا كنت لا تعرف من هو الجلال الدواني فابحث عن كتاب "إيمان فرعون"⁽²⁾ فإن الدواني كتبه دفاعاً عن فرعون وإثبات أنه مات على الإيمان. فقد ردّ عليه الشيخ ملا علي القاري في كتاب "فر" العون من مدّعي إيمان فرعون". ألم يجد الحبشي رجلاً يحتاج به غير من يدافع عن فرعون ويحكم بإيمانه؟

قال الألوسي المفسر "وحاشا ابن تيمية أن يثبت عنه هذا الكتاب بل نسبته إليه كنسبة كتاب "إيمان فرعون" إلى الجلال الدواني، فاحفظ ذلك" ثم تعقب الجلال الدواني قائلاً "وجلال الدين وأضرابه أجهل الناس بالحديث".

وكذلك حكى الألوسي طعن الكوراني في حاشيته المسمّاة: "مجلى المعاني على شرح عقائد الدواني" في صحة نسبة هذا الكتاب إلى ابن تيمية قائلاً "لم أقف على هذا التصنيف لابن تيمية"⁽³⁾.

وهكذا حال من يحتاج الحبشي بتجریحهم لابن تيمية لا يخلون من التعصب والانحراف الصوفي كالدواني والسبكي والهيثمي والحسني.

⁽¹⁾ إظهار العقيدة السنّية 60 .

⁽²⁾ تحقيق ابن الخطيب ط المطبعة المصرية 1924 .

⁽³⁾ عن جلاء العينين في محاكمة الأحمديين للألوسي 340 و 332 - 333 .

إقعاد النبي ﷺ على العرش

وزعم الحبشي أن ابن تيمية قال "إن الله تعالى قاعد على الكرسي وترك موضعه لمحمل ليجلسه عليه في الآخرة. وهذا الكتاب غير الرسالة العرضية"⁽¹⁾. ولكن، أين قال ابن تيمية هذا؟ وفي أي كتاب. إننا لم نره يؤيد ذلك في كتاب من كتبه، بل إنه حكى أن من السلف من قال بذلك وأنكرها آخرون⁽²⁾. وصدق فيما قاله، فإن من السلف من قال بذلك، ونقلت أسانيد كلامهم في هذه المسألة بأسانيد صحيحة منها:

- رواية مجاهد التي صححتها الطبرى في تفسير قوله تعالى {عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُودًا} روى لها المحدثون كالخلال في السنة أسانيد كثيرة جداً. بلغ بعضها الصحة. قالوا إن الله يُقعد النبي ﷺ ليرى الخلق منزلته⁽³⁾.

ولذلك قال الحافظ ابن حجر "قال ابن الجوزي: وقيل إن المقام محمود أي إقعاده على العرش، وقيل على الكرسي وحكي كلا من القولين عن جماعة⁽⁴⁾ ورواه الطبرى عن جماعة من السلف ولم ينكر رواية مجاهد في إقعاد النبي ﷺ على العرش⁽⁵⁾.

وقد رد الحافظ ابن عبد البر كلام مجاهد واعتبره مخالفًا للصواب ومهجوراً عند أهل السنة⁽⁶⁾. ومنهم من أيد قول مجاهد وبالغ في الانتصار له كأبي بكر المرزوقي الذي جمع فيه كتاباً وروى عن إبراهيم بن عرفة سمعت ابن عمير يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول "هذا قد تلقته العلماء بالقبول". وكذلك انتصر وأفتي بوجوب التسليم له جماعة من أهل العلم والحديث منهم أبو داود السجستاني صاحب السنن وإبراهيم الحربي ومحمد بن مصعب العابد شيخ بغداد وخلق كثير، بحيث قال ابن الإمام أحمد عقب رواية قول مجاهد "أنا منكر" على كل من رد هذا الحديث، وهو عندي رجل سوء متهم، سمعته من جماعة وما رأيت محدثاً ينكره، وعندنا إنما تنكره الجهمية" بل انتصر له ابن جرير وقال "ليس في فرق الإسلام من ينكر هذا" وقال بأن ما قاله مجاهد غير مدفوع صحته لا من خبر ولا من نظر⁽¹⁾. وذكر بأنه لا يلزم منه لوازם باطلة.

فمسألة إقعاد النبي ﷺ على العرش على افتراض صحة نسبتها إلى ابن تيمية مسألة تكلم فيها طائفة من السلف كمجاهد وغيره.

(1) شريط 13 (وجه أ) 94 .

(2) رسالة الرد على البكري 329 المعروفة بكتاب الاستغاثة.

(3) رواه الخلال في السنة 218 وانظر العلو للذهبي 75 .

(4) فتح الباري 2 : 95 .

(5) تفسير الطبرى المجلد الثامن الجزء 15 .

(6) التمهيد 7 / 157 .

(1) تفسير الطبرى المجلد الثامن 8: 15-98 و 99-124 العلو للذهبى .

فانظر مدى دقة ابن تيمية حول رواية الإقعاد "رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة، وهي كلها موضوعة، وإنما الثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف، وكان السلف والأئمة يروونه ولا ينكرونه ويتلقونه بالقبول"⁽²⁾.

وقد يقال: إن مثل هذا لا يقال إلا توقيفاً، لكن لا بد من الفرق بين ما ثبت من ألفاظ الرسول، وما ثبت من كلام غيره سواء كان من المقبول أو المردود"⁽³⁾.

ابن فورك يقر الإقعاد فهل تكفرون؟

وحتى ابن فورك فإنه روى رواية مجاهد أن الله يقعد محمداً على العرش وجعل لها تأويلاً محتملاً - على عادته - وهو أن معنى (يقده معه على العرش) أي بمعنى النصر والمعونة". فقد قال:

"فَإِنْ قِيلَ: فَمَا تَقُولُونَ فِيمَا رُوِيَّ عَنْ مَجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى {عَسَى أَنْ يَبْعَثَنَا رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} قِيلَ ... يَحْتَمِلُ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ مَعَهُ بِمَعْنَى النَّصْرِ وَالْمَعْوَنَةِ" (مشكل الحديث وبيانه 339). ثم قال "ولم ينكر إقعاد النبي ﷺ على العرش تأويننا لفظة معه على ما يليق به من معنى النصرة والمعونة" (291). انتهى كلامه. فها هو ابن فورك يثبت الرواية ويصرح باعتقادها ولكن مع تأوبل سائغ لها.

⁽²⁾ ذكر أهل العلم أن الأسانيد إلى مجاهد مدارها على الليث بن أبي سلمة.

⁽³⁾ درء تعارض العقل والنقل 5/237 - 238 .

ونقل الخفاجي في شرح الشفا عن الدارقطني في حديث: أن المقام المحمود للنبي ﷺ هو أن يجلسه معه تعالى على العرش ما نصه:

إلى أحمد المصطفى مسند
على العرش أيضاً فلا تنكروه
ولا تدخلوا فيه ما يُفسد
ولا تنكروا أنه يُقعد

حديث النبوة عن أحمد
وجاء الحديث بإسناده
أمرّوا الحديث على وجهه
ولا تنكروا أنه قائم

و هذه الأقوال مرجوحة، ولقد ثبت عن النبي ﷺ بسند صحيح أنه قال "المقام المحمود: الشفاعة"⁽¹⁾.

ومن الطريف أن الذين لا يؤمنون باستواء الله على العرش - وإنما يؤمنون باستيلائه عليه - تعتبرهم هنا غيرية على العرش بعد أن نفوا أن يرتفع الله عليه كما قال مجاهد في البخاري.

⁽¹⁾ أخرجه أحمد 478/2 والترمذى (3137) وأبو نعيم 8/372.

الرافعية والنقشبندية

يفضّلُون قبر النبِي م على العرش
ويزعمون علو مشايخهم فوق عرش الرحمن

وأهل البدع الصوفية يفضّلُون قبر النبِي م على عرش الرحمن والكرسي بل والجنة أمثال محمد الصيادي الرفاعي⁽¹⁾ وقالوا إن قبره م أفضل من عرش الرحمن وكرسيه! فأي القولين أعظم ضلاله: إقعاده على العرش أو تفضيل قبره عليه؟

ويزعمون أن الله وضع ديكًا عند العرش اسمه (ديك العرش) وأن أبا الوفا (من كبار الرفاعية) كان ينظر إليه وهو جالس في مكانه ويأمر الناس بالنظر إليه وهو يصبح للصلاه من على العرش⁽²⁾.

وزعم الصيادي (كبير الرفاعية) أنه لما أخرج آدم من الجنة جعل بيكي على فراق "الملائكة الصوفية" السبعين ألفاً جُرْدُ مُرْد⁽³⁾ يرقصون حول العرش وجبريل رئيس الراقصين وميكائيل قولهم (منشدهم)⁽⁴⁾ يقولون:

لولا الملك هلكنا
جل الملك ملکنا

وزعم النقشبنديون (الذين يفخر بهم الحبشي وينتسب إلى طريقتهم) أن أولياءهم يرجعون إلى السماء بل ويرتفعون فوق عرش الرحمن متى يشاءون. فقد نقلوا عن أحمد الفاروقي قوله "كثيراً ما كان يُعرج بي فوق العرش المجيد، فلما ارتفعت فوقه بقدر ما بين مركز الأرض وبينه (أي العرش) رأيت مقام الإمام شاه نقشبند" وأضاف "واعلم أنني كلما أريد العروج يتيسر لي"⁽⁵⁾.

ولقد اطلعت على كثير من كتب التصوف ورأيت أكثرها يتضمن مثل هذه القصص التي يرفعون بها مشايخهم فوق عرش الله ويجعلون من كراماته ارتقاء العرش وتعديل ما في اللوح المحفوظ لتعظيم الشقي سعيداً أو السعيد شقياً. ونسبة التصرف في الأكونان إليهم.

(1) قلادة الجواهر 104 ضوء الشمس 1/176 الذخائر المحمدية 161 و 206 لعلوي مالكي .

(2) تریقاً المحبین 42، روضة الناظرين للوتری 27 .

(3) جمع أمرد وهو الولد الذي لم تظهر لحيته بعد .

(4) قلادة الجواهر 185 الفجر المنیر 80 .

(5) المواهب اللدنیة 184 الأنوار القدسیة 182 .

كذبة الرسالة العرضية

وقد افترى عليه الحبشي وزعم أن كلامه موجود في الرسالة العرضية، وهو ما لم نجده فيه. ولذلك اضطر إلى تقليد الكوثري جهمي العصر⁽¹⁾ في كذبه على ابن تيمية أنه تم مؤخراً حذفها من المطبعة في مصر⁽²⁾، ونحن نتحداه بمخطوطات الرسالة العرضية⁽³⁾ التي كتبت قبل القرن الذي ولد فيه الكوثري وليس فيها هذه الدعوة الكاذبة.

قال الحبشي "كان ابن تيمية يُخفي بعض كتبه عن عامة أتباعه لئلا ينقلب عليه أحد منهم ولكن أحد هم اطلع على أحد كتبه يقول في هذا الكتاب أن الله تعالى قاعد على الكرسي وترك موضعًا لمحمد ليجلسه عليه في الآخرة وأن تلميذه ذهب بهذا الكتاب إلى أبي حيان فلما اطلع عليه لا زال يلعنه حتى مات"⁽⁴⁾.

وهذه كذبة باردة، فمتى كان ابن تيمية يستخدم هذه التقية وقد قال أمام أعدائه "أى يذهب بي أعدائي، أنا جنتي وبستانني في صدرني أينما ذهبت، أنا حبسي خلوة ونفيي سياحة وقتلني شهادة".
ويوم أن منعه السلطان أن يفتدي بطلاق الثلاث قال: لا يسعني أن أكتم علمًا. فلم يداهن ولم يُتق أحداً غير الله.

(1) وهو حنفي مت指控 يصح ما لا أصل له كحديث (أبو حنيفة سراج أمتي) دفعه لذلك غلوه في أبي حنيفة حتى وصفه الغماري بـ(مجنون أبي حنيفة) (بعد القصیر 180) قد تطاول على الصحابة حتى رمى أنساً بالخرف وطعن في البخاري حتى نفى عنه ما وصفوه به بأنه أمير المؤمنين في الحديث وزعم أنه رجل متبرج ومن المتساهلين الذين لا يفرّقون شملهم من يميشهم (انظر تأثیر الخطیب 44-45) والکوثري صاحب العنوان المزور (السیف الصقیل فی الرد علی ابن زفیل) يعني ابن القیم وقد سأله الغماري عن أصل هذا الاسم فلم يُجب، وكان يدعى أن ابن تيمية كان يتلقى خمسة دراهم مقابل كل فتوی يحل فيها الحرام ويحرم فيها الحلال (ستکتیب شهادتهم وپیشالون) وقد أعلن حسام الدين القديسي ناشر کتب الكوثري براءته من حقده الدفين وطعنه المطلق بالبشر (مقدمة القدسی لكتاب الانتقاء 3) وقد أحسن من كشف ضلالاته في مجلد ضخم أسماه التنکیل لما عند الكوثري من الأباطيل. وقد صدر مؤخراً كتاب للشيخ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري بعنوان "بيان تلبیس المفتری محمد زاہد الكوثري" أثبت فيه طعن الكوثري في جملة من أئمة أهل العلم بدأ بالشافعی مروراً بأحمد. والكتاب بتحقيق أخيانا الفاضل الشيخ علي عبد الحميد.

(2) إظهار العقيدة السننية 152 المقالات السننية 25 .

(3) موجودة في خزانة مخطوطات مركز الملك فيصل .

(4) إظهار العقيدة السننية 151 - 152 الدليل القويم 39 .

فأيهمما أكثر شجاعة: ابن تيمية أم ذاك (...) الذي يرتمي هو أتباعه بين أحضان الظالمين الذين يستخدمونه خنجرًا في وجه الدعاة إلى الله؟ قد أتوا به وطلبوا منه نشر عقيدة أهل سنته وجماعته المتضمنة للبدع والشرك وتکفير المسلمين والدفاع عن العلمانيين الذين يبنذون القرآن ويحكمون عوضاً عنه بقوانين البشر الوضعية. وينصّبون أنفسهم محامين ومدافعين عن الحكام بغير ما أنزل الله؟

ومتى كان ابن تيمية يُخفي شيئاً عن الناس وقد وضع بين أيدي خصومه كتاب الواسطية وبين فيه عقيدته وأعطاهم مهلة ثلاثة سنوات أن يجدوا فيه ما يخالف الكتاب والسنة فلم يستطيعوا معارضته.

لو فرضنا أنه قالها فإن مسألة إقعاد النبي ﷺ على العرش ليست ذاك السر الذي يحتاج ابن تيمية إلى إخفائه فإن روایات الإقعاد قد ملأت بطون كتب الحديث حتى إن الخلال والطبرى والسيوطى ساقوا عشرات الروایات منها واعتبرت تفسيراً لقوله تعالى {عَسَى أَن يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُودًا} غير أنها كما قلت لم ترتفع إلى درجة الصحة وإنما صحت الروایات إلى بعض التابعين الذين قالوا بها كمجاهد في أحد قوله⁽¹⁾.

بل هو قول الجيلاني

قال الشيخ عبد القادر "إن أهل السنة يعتقدون أن الله يجلس رسوله معه على العرش يوم القيمة"⁽²⁾، غير أن عامة أهل السنة والحديث لأحمد والذهبي منعوا هذا القول لعدم صحة السند فيه إلى النبي ﷺ. ولكن من تمسك بهذه المسألة ظناً منه صحة الأحاديث الواردة فيه فلا يجوز تکفيره، وإلا كان المکفر له شرّاً منه وأقرب إلى الحرورية الغلة.

⁽¹⁾ انظر كتاب السنة للخلال (244 و 250 و 253 و 268 و 271 و 272 و 273).

⁽²⁾ الغنية لطالبي الحق . 71

نسبة المخادعة إلى ابن تيمية

يبطلها العيني وغيره

وزعم الأحباش أنه لم عقدوا مجلساً لابن تيمية احتال عليهم وزعم أنه أشعري.
وأنا لم أجد أنه قال ذلك وإنما قال أنه على اعتقاد الشافعي فرضوا ذلك منه⁽¹⁾.
فأما إن ذكر أنه على اعتقاد الشافعي فأي كذب في ذلك فإنه بإثبات الصفات
وعدم التأويل ونقد علم الكلام أقرب إلى منهج الشافعي منهم. فإن الشافعي كان يحذر
من علم الكلام وأبن تيمية يوافقه، بينما الأحباش يلقبون الحبشي (إمام علم الكلام)
وهو يُؤوّل الصفات وقد قالوا: التأويل مذهب الخلف والإثبات مذهب السلف!
أما إن قال إن أشعري المعترض فأي كذب في ذلك وقد استقر أمر الأشعري
رحمه الله على موافقة عقيدة أحمد بن حنبل، وشهد بذلك الأشاعرة المتقدمون كابن
عساكر في التبيين والبيهقي والمتاخرون كالتابع السبكي في طبقاته والزبيدي في
إتحافه وأبن عذبة، وشهد بذلك غيرهم الذهبي وأبن كثير⁽²⁾.

قوله (أنا أشعري) أفضل من قولكم: إننا أشاعرة بينما تخالفون الأشعري وتتفافقون المعتزلة.
 فهو أقرب وأكثر موافقة مع عقيدة الأشعري منكم. فالأشعري في الحقيقة حنيلي المذهب في العقيدة
أيها الأشاعرة.

وإن كنتم تعتبرون ذلك جيناً ومراؤحة فهل تقولون ذلك في أبي الحسن
الأشعري رحمه الله وقد حكى الكوثري أنه كان يقول للحنابلة (أنا حنيلي أنا على
مذهب أحمد) وزعم الكوثري أنه كان يراوغهم بقصد التدرج بهم⁽³⁾!

⁽¹⁾ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان 4/411.

⁽²⁾ تبيين كذب المفترى 150 - 152 و 392 طبقات السبكي 3/99 الاعتقاد للبيهقي 96 و 109 إتحاف السادسة المتقدمة 4/2 للمرتضى الزبيدي الخطط المقريزية 3/308 الروضة البهية 53.

⁽³⁾ تبيين كذب المفترى 117 - 118.

ابن تيمية الشجاع

ولم يزل بدر العيني يحكى موافقه الشجاعة في حق سلاطين التتار كقوله لغازان ملك التتار فيما رواه ابن كثير عن الشيخ عبد الله بن قوام البالسي "أنت تزعم أنك مسلم وقتل المسلمين وأباوك كانوا كافرين ولم يفعل ما فعلت، قد عادت فغدرتَ وقلت فيما وفيتَ".

قال كلمة الحق ولم يخش إلا الله عز وجل. قال: ثم قرّبوا طعاماً فأكلوا إلا ابن تيمية فقيل له: ألا تأكل؟ فقال: كيف أكل من طعامكم وكله مما نهبتوه من أغذام الناس. ثم إن قازان الملك طلب منه الدعاء فقال ابن تيمية: اللهم إن كان هذا عبده محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا ولتكون الدين كله لك فانصره وأيده، وملكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياء وسمعة وطلبًا للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليدلّ الإسلام وأهله: فاخذلْه وزلزلْه ودمّرْه وقطع دابرْه. قال: وكان قازان يؤمّن على دعائه ويرفع يديه. قال: فجعلنا نجم ثيابنا خوفاً من أن تتلوث بدمه إذا أمر السلطان بقتله".

قال "فما خرجنا من عند السلطان قال القاضي نجم الدين ابن صوري لابن تيمية: لقد كدت أن تهلكنا وتنهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا، فقال: وأنا والله لا أصحابكم. فانطلقتنا وتأخر هو ومعه جماعة من أصحابه، فتساءلت به الخواقين والأمراء من أصحاب قازان فأتوه يتبركون بدعائه طول الطريق. وهو سائر إلى دمشق، وأما الذين أتوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتار فسلبواهم عن آخرهم"⁽¹⁾".

ولما سمع بتقديس أهل دمشق لصخرة أخذ فأساً وكسرها⁽²⁾، ولذا وصفه الذهبي بأنه كان أمّاراً بالمعروف نهاءً عن المنكر.

⁽¹⁾ انظر البداية والنهاية 14/89 ومن أراد الوقوف على موافقه الشجاعة يجدها في البداية والنهاية لابن كثير (4/14 و 7/10 و 11/12 و 14-16 و 19 و 24-26 و 33-35 و 43 و 132).

⁽²⁾ عقد الجمان 2/51 و 86 و 312.

مقارنة

بين موقف الرفاعية من التتار وبين موقف ابن تيمية هناك فرق عظيم بين موقف ابن تيمية من التتار وبين موقف الرفاعية (سلف الحبشي) منهم، فإن سجل ابن تيمية مشرف حافل بالجهاد وتحريض ولادة المسلمين ضد التتار بل خروجه بنفسه مع طائفة من المخلصين لملاقاتهم، وكان بهذا العمل النبيل رمز العالم العامل الشجاع.

أما مواقف الرفاعية (سلف الحبشي) فتنقسم بالخسنة والخيانة. فقد كثر ترددتهم على التتار وتقربيهم بالأحابيل التي يسمونها (كرامات) وقد تولوهم طمعاً في هداياهم وأموالهم حتى قال الذهبي "قد كثر الزغل (الفساد) في أصحاب الطريقة الرفاعية، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق: من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيّات. قال "وهذا ما عرفه الشيخ أحمد الرفاعي ولا صلحاء أصحابه، فنعود بالله من الشيطان"⁽¹⁾.

وقول الذهبي "منذ أخذت التتار العراق" إشارة إلى أنهم كانوا يوالون التتار الذين احتلوا العراق بإيعاز من زعماء الروافض الشيعة وقتلوا مليوني مسلم، فكانوا يتربون إلى التتار بتلك الأحابيل.

وكان التتار يعجبهم ما يفعله الرفاعية، ويجزلون لهم العطاء، فكانت إشارة من الذهبي إلى أن من يوالى أعداء الله: كيف يكرمه الله بالكرامات؟ وكذلك حمل عليهم الشيخ الألوسي فقال "وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة: مبتدعة الرفاعية، فلا تجد بدعة إلا ومنهم مصدرها وعنهم موردها وأماؤذها، فذِكْرُهُمْ عبارة عن رقص وغناء والتجاء إلى غير الله وعبادة مشايخهم. وأعمالُهُمْ عبارة عن مسك الحياة"⁽²⁾.

تحريف كلام الحافظ ابن حجر حول تنقيص علي

وقد زعم الحبشي أن الحافظ ابن حجر اتهم ابن تيمية بأنه كان ينتقص سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث كتب رداً على ابن المطهر الحلي. ثم حرف الحبشي النقل عن الحافظ فقال "وكم من مبالغة له لتوهين كلام الحلي أدت إلى به أحياناً إلى تنقيص علي رضي الله عنه" انتهى.

وهذا تلاعب بالنصوص: فإن النص من النسخة المطبوعة التي أحال إليها الحبشي "وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدته أحياناً إلى تنقيص علي رضي الله عنه"⁽¹⁾.

(1) العبر في خبر من غبر 3/75.

(2) غاية الأمان في الرد على النبهاني 1/370.

(1) المقالات السنوية ط: جديدة 200.

فراد الحشبي لفظ (له) ليؤكد أن الكلام عائد على ابن تيمية. وبدل الكلمة (الرافضي) بكلمة الحلي ليزيد القارئ تأكيداً بأن الضمير ما زال يعود على ابن تيمية. واستبدل لفظ (أدته) إلى (أدته به) ليؤكد أن الضمير ما زال يعود على ابن تيمية.

مفاجأة بعد الرجوع إلى مخطوطة لسان الميزان

لقد رجع إلى مخطوطتين لتاب لسان الميزان فاكتشفت ما يلي:
المخطوطة الأولى لا تتضمن ترجمة يوسف والد الحسن المطهر.
المخطوطة الثانية تتضمن:
ترجمة يوسف (ابن) الحسن، وتم تصحيحها في المطبوع إلى (والد) الحسن. وكان مقدم هذا النص لم يتقن عمله.

وفيها اضطراب فيها أن يوسف هو شارح ابن الحاجب وأنه هو الذي رد عليه ابن تيمية. في حين أن ولده (الحسين) هو شارح ابن الحاجب. وهو الذي رد عليه ابن تيمية لا على أبيه. فالخلط والتحريف واضحان جداً فيمن يجري مقارنة بين ترجمة ابن (لسان الميزان 2/319) وبين ترجمة والد يوسف (317/5).

فهل الأب هو شارح ابن الحاجب أم ابنه؟
وهل الأب هو الذي رد عليه ابن تيمية أم ابن؟

إن مثل هذا الخطأ لا يمكن أن يكون صادراً عادة من ناقد حافظ عظيم كابن حجر مما يرجح أن تكون بعض الأيدي قد عمدت إلى إقحام هذه الترجمة ولم يتقنوا تحريفهم فجعلوا يوسف والد الحسن هو شارح ابن الحاجب وهو الذي رد عليه ابن تيمية. ثم إن يوسف هذا ليس له عادة ترجمة خاصة.

أن النص في المخطوطة غير واضح ويتعدى قراءة هذه العبارة التي تتضمن التقىص. ولا يسلم أنها تتضمن عبارة (وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي...). وقد تقدم صورة المخطوط⁽¹⁾.

وحتى النسخ المطبوعة حصل فيها خلط والتباس. ففي طبعة دار الفكر لفظ (ذاته) بدل (أدته). فهناك خلط واحتمال للتزوير ثم بياض طويل لا يدرى كيف انتهى الكلام فيه. الأمر الذي يجعل الاحتجاج بهذا النص في لسان الميزان ساقطاً.

وحينئذ نرجع إلى صيغ كلام الحافظ ابن حجر في ابن تيمية حيث كان يحتاج بنقده العلمي لأدق المسائل وحكمه على الروايات والأحاديث وترجيحه للمسائل المختلف فيها. بل ونرجع إلى صريح كلام ابن حجر في ابن تيمية كما أورده السخاوس في الحواهر والدرر. فقد سُفِّه فيه ابن حجر المتحاملين على ابن تيمية وأكَّد أنه يستحق الوصف بشيخ الإسلام.

أن السبكي كان حريصاً على كشف أخطاء ابن تيمية وذكر رد ابن تيمية على الرافضي ولكنَّه أثنى على رد ابن تيمية على ابن المطهر ولم يحك لنا شيئاً عن طعنَه في علي رضي الله عنه. ولو وجد من ذلك شيئاً لطار به واحتاج به ضد ابن تيمية. فقال قال:

⁽¹⁾ انظر صفحة 1040.

ولابن تيمية رد عليه وفي
لكره خلط الحق المبين بما
يحاول الحشو أنى سار فهو له
يرى حوادث لا مبدأ لأولها

بمقصد الرد واستيفاء أضربه
يشوبه كدر في صفو مشربه
حيث سير بشرق أو بمغربه
في الله سبحانه عما يظن به

تمويهات الحوت

وقد قام كما الحوت بعمل حيلة، فجمع بعض الرسائل والمقالات في كتاب أسماه (الرسائل السبكية) ثم غير اسم هذا الكتاب من (الرسائل السبكية) في الرد على ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية إلى (التفقيق الرباني في الرد على ابن تيمية الحراني) وحذف منه رسالة السبكي في الرد على نونية ابن القيم، وزاد فيه رسالة أحمد الكلابي في نفي الجهة في الرد على ابن تيمية.

وقام ببعض التغييرات الطفيفة في المقدمة أيضاً حتى بدا للناس أنه كتاب آخر مختلف عن الكتاب السابق، وهو رجل معروف بهذا النوع من العمل والشکوى تزداد منه يوماً بعد يوم، حيث إنه يأخذ كتب الآخرين يصورها وينشرها ويغير غلافها وعنوانها.

وقد ثبت تزويره حذفاً وإضافة حين كان يعمل بقسم التحقيق بدار (عالم الكتب) وقام بحذف بعض العبارات من كتاب للشيخ عبد الفتاح أبي غدة مما أدى إلى طرده من الدار بعدما ظهر عدم أمانته.

الشيخ محمد بن درويش الحوت يعظم ابن تيمية ويحتاج به

وتجاهل موقف قرابتة من العلماء الشيخ محمد بن درويش الحوت الذي كان يحتاج بحكم ابن تيمية على روایات الحديث كما في كتاب (أسنى المطالب، الصفحات التالية 41، 89، 118، 125، 181، 236، 253، 341، 350، 359، 399، 435، 452، 566) كذلك كان يحتاج بأقوال ابن القيم (صفحة 89، 168، 452).

أو تعلمت أيها الحوت من شيخك الحبشي ما جهله سلفك وقرابتاك؟
وإذا كان الحوت معظماً لابن تيمية وتلميذه الأمر الذي يجعله يكثر من الاحتجاج بأقوالهما
فهل يكون موافقاً لعقيدة شيخك الحبشي كما زعمتم في مجلتكم المنار (54/44) أم مخالفًا له؟

وهذه حيلة يراد بها التعطيل

ومن تمويهاته قوله "جمهور الأمة الإسلامية على تنزيه الله عن مابهه الحوادث"⁽¹⁾.

نعم، التنزيه على طريقة أحمد وغيره من سلف الأمة بإثبات صفات الله إثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل: فعلى الرأس والعين.

⁽¹⁾ التوفيق الرباني 7 الرسائل السبكية 15 .

أما أن يقصد بالجمهور: جماهير الجهمية والمعتزلة وأفراخهم الذين يعيشون بصفات الله وبيؤولونها على الوجه الذي يحلو لهم: فهو إلحاد مكسو بكساء التزييه كمن قال: اتخذوا من دعوى التزييه جُنَاحَةً ليصدوا بها عن إثبات ما وصف الله بن نفسه رسوله ﷺ.

فالمعتزلة قبلكم كانوا يرون طريقة أحمد باطلة وكانوا يرونها مشبهًا ويزخرفون باطلهم بدعوى التزييه، وكان الجهمية يدندنون حول التزييه عن التشبيه أكثر منكم. وكان جهم أول المستائين من آية الاستواء والمجيء واليدين وحديث النزول.

هل كان سجنه دليلاً على فساد عقيدته؟

- وأما صورة مرسوم ابن قلاوون في ابن تيمية وندننتكم حول موت ابن تيمية في السجن وقولكم يكفيكم دليلاً على ضلاله: رميء في السجن حتى مات فيه.
- فلا تغرنكم المراسيم السلطانية الصادرة من السلاطين ضد العلماء ولا تعولوا عليها، فقد وقع لغيره من كبار العلماء نظير ما وقع له.
- فقد صدر مرسوم سلطاني ضد أحمد بن حنبل يشبه مرسوم ابن قلاوون في ابن تيمية، وأتوا به مكبلاً إلى الخليفة المأمون، وتعرض للضرب ولم يمنعه ذاك من الثبات على الحق والصبر على الأذى في الله.
 - وكذلك فعلوا بمالك حين تعرض للضرب من قبل المنصور.
 - وقاسى البخاري من أهل عصره حتى أخر جوه إلى مدينة خرتنك فمات بها.
 - وقاسى أبو حنيفة من الحبس والضرب حتى مات وهو في السجن.
 - وقاسى الشافعي من أهل مصر لما ادعى الاجتهد المطلق.
 - ومن قبلهم فعلوا بسعيد بن المسيب وبسعيد بن جبير بوالحسن البصري كما في السير.

فلو كان تعرضاً للعلماء لاضطهاد السلاطين وظلمهم دليلاً على فساد معتقدهم لما بقي لنا عالم واحد، إذ ما منهم إلا وقد نال نصيبه من أذاهم إلا من كان مواليًا أو شيطاناً آخر. فكيف وقد علمتم أن البلاء الذي وقع فيه ابن تيمية كان بسبب وشایة أبي نصر المنبجي به إلى السلطان بيبرس الجاشنكير. وذلك أن ابن تيمية بلغه تعظيم المنبجي لابن عربي وشیوع القول بوحدة الوجود بين أتباعه، فأنكر عليه ابن تيمية، مما دفع بالمنبجي إلى تسلط السلطان ضده كما حكاه بدر الدين العیني⁽¹⁾.

زعمه أنه طعن بعلي رضي الله عنه

قال الحبشي "وابن تيمية هذا طعن في علي بن أبي طالب وقال إن حروبه أضرت بال المسلمين". ثم انتهى إلى أن ابن تيمية يحرف القرآن⁽¹⁾. وللجواب على ذلك نقول:

1) أن ابن تيمية لم يقل ذلك ومن ادعى شيئاً من ذلك فعليه الدليل. ولقد طالب الألوسي ابن حجر الهيثمي بالدليل على ذلك من كتب شيخ الإسلام. فلماذا لا يشير الحبشي إلى الموضع الذي سب فيه ابن تيمية علي بن أبي طالب؟

(1) عقد الجمان 461/4 .
(1) شريط 13 الوجه الأول 94 .

ويوم أن اتهموا الطبرى بالتشييع وزعموا أنه أجاز مسح الرجلين في الوضوء؛ ردّ الذبى على ذلك قائلاً "ولم نر ذلك في كتبه"⁽²⁾. ونحن نطالبكم بالدليل على الطعن المزعوم المنسوب إلى شيخ الإسلام.

ولقد ذكر ابن كثير كيف ثبض على أحد أعداء ابن تيمية وقد زوّر عليه كتاباً فقطع السلطان يده هو ومن توأطوا معه على ذلك⁽³⁾ فما يمنع أن تكون هذه الرسالة المزعومة مدسوسه عليه لا سيما وأنك تقرأ من كتابه المنتشرة ما يخالفها.

2) إن الحبشي لا يملك أي مستند يدعم به فريته، ولهذا لا يملك إلا أن يقول: إن ابن تيمية كتم معتقده هذا ولم يظهره في كتابه التي بين أيدينا، ولكن كيف توصل الحبشي إلى معرفة ذلك؟ أعلمه أطلع على كلامه النفسي ففهم ما في نفسه من المعاني. إنه تارة يفترى لابن تيمية رسالة عرضية غير التي بأيدينا، ويدافع عن ابن عربى تارة أخرى فيدعى وجود نسخة لفتورات المكية ليس فيها الكلام الكفري الموجود في النسخة المتداولة. وهكذا هوَ متبوع، من غير دليل.

ثم جاء صاحب كتاب التوفيق (85-89) تحت عنوان (افتراوه على الإمام علي) جعل ينقل عن الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة (114/1) ما يظنه دليلاً على طعن ابن تيمية بعلي رضي الله عنه، ثم نقل عن مواضع عديدة من كتاب منهاج السنة لشيخ الإسلام يستدل بها بزعمه على مسألة الطعن. وقد كان في ذلك ملساً للحق بالباطل، ونحن سنرى خيانته وتلبيسه وكيف حرّف عبارات شيخ الإسلام وشوهها.

نماذج من تحايل هذا الرجل

ذكر في (ص 89) من كتابه عن ابن تيمية قوله "علي رضي الله عنه كان عاجزاً عن قهر الظلمة من العسكريين. ولم تكن أعونه يواافقونه على ما يأمر به، وأعون معاوی يواافقونه. وكان يرى أنه لم يحصل المطلوب بالقتال... إلى أن قال: فأئمة السنة يعلمون أنه ما كان القتال مأموراً به ولا واجباً ولا مستحيباً ولكن يذرون من اجتهاد فاختطاً⁽¹⁾".

- وقال في (ص 85) "وقد ذكر ابن تيمية في حق علي في كتاب منهاج السنة (203/2) ما نصه: وليس علينا أن نبایع عاجزاً عن العدل علينا، ولا تاركاً له. فأئمة السنة يسلّمون أنه ما كان القتال مأموراً به ولا واجباً ولا مستحيباً".

- وقال في (ص 89) وانظر الصحفة (204) يقول فيها: "فإن قال الذائب عن علي: هؤلاء الذين قاتلهم علي كانوا بغاة فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال لumar رضي الله عنه: "تقتلك الفئة الباغية" وهم قتلوا عماراً.
فها هنا للناس أقوال:
منهم من قذف في حديث عمار.

⁽²⁾ سير أعلام النبلاء 14/277 .

⁽³⁾ البداية والنهاية 14/22 .

⁽¹⁾ منهاج السنة 2 - 202/203 .

ومنهم من تأوله على أنه الباقي الطالب⁽²⁾ وهو تأويل ضعيف.
وأما السلف والأئمة فيقول أكثرهم كأبي حنيفة ومالك وغيرهم: لم يوجد شرط قتال الطائفة
البالغية.
قلت: قد صرح المرتضى الزبيدي بهذا فانظره⁽³⁾.

وقال المتجمي (ص89) "مرادنا من هذا الكلام تبيين أن علياً هو الخليفة الواجب الطاعة وأن مخالفيه بغاة. فكيف يقول هذا السخيف [أي ابن تيمية] أنه ما كان القتال مأمراً ولا واجباً ولا مستحبأ، وأنه لم يحصل لل المسلمين في مصلحة لا في دينهم ولا في دنياهם. فهذا فيه مخالفة للأحاديث التي أوردنها، ليس هذا ذمّاً بعي؟!"

قلت: لعله لم يطلع على ما قاله ابن الهمام في المسابرة من أن كثيراً من العلماء ذهبوا إلى أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة بل ظلمة وقتلة وعتاة لعدم الاعتداد بشبهتهم⁽¹⁾. ففرق بين البغي وبين غيره.

الجواب عن شبّهات الحوت

على القارئ الكريم أن يقارن ما نقله هذا الظالم بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية ليرى خيانته في النقل مع ادعائه أنه نقل كلامه نصاً وحرفياً: راجع النصوص الثلاثة

الأولى المقطعة المختزلة⁽²⁾.

ثم أقرأ ما كتبه شيخ الإسلام رداً على ابن المطهر الحلبي الرافضي بنصه "... وعسكر معاوية يعلمون أن علياً أفضل وأحق بالأمر منه. ولا ينكر ذلك منهم إلا معاند أو مع أعمى الهوى قلبه. ولم يكن معاوية قبل تحكيم الحكمين يدّعى الأمر لنفسه، ولا يتسمى بأمير المؤمنين، وإنما ادعى ذلك بعد حكم الحكمين، وكان غير واحد من عسكر معاوية يقول له: لماذا نقاتل معك علياً وليس لك سابقته وفضله ولا صهره وهو أولى بالأمر منك؟! فيعرف لهم معاوية بذلك، ولكن قاتلوا مع معاوية لظنهم أن عسكر علي فهيم ظلمة يعتدون عليهم كما اعتدوا على عثمان، وأنهم يقاتلونهم دفعاً لصيالهم عليهم، وقتل الصائل جائز. ولهذا لم يبدأهم بالقتال حتى بدأهم أولئك.

ولهذا قال الأشتر النخعي: إنهم ينصرون علينا لأننا نحن بدأناهم بالقتال، وعلى رضي الله عنه كان عاجزاً⁽³⁾ عن قهر الظلمة من العسكريين، ولم تكن أعوانه يواافقونه على ما يأمر به. وأعوان معاوية يواافقونه. وكان يرى أن القتال يحصل به المطلوب، فما حصل به إلا ضد المطلوب. وكان في عسكر معاوية من يتهم علياً بأشياء من الظلم هو بريء منها. وطالب الحق من عسكر معاوية يقول: لا يمكننا أن نبایع إلا من يعدل علينا ولا يظلمنا، ونحن إذا بايعنا علياً ظلمنا عسكراً كما ظلموا

(2) قال شيخ الإسلام في المنهاج (210/2 - 211) "وأما تأويل من تأوله أن علياً وأصحابه قتلواه وأن الباقي: الطالب بدم عثمان فهذا من التأويلات الظاهرة الفساد للعامة والخاصة".

(3) إتحاف السادة المتقيين 2/225.

(1) إتحاف السادة المتقيين 2/225.

(2) دعوة شيخ الإسلام وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة ص 352.

(3) هذه خلاصة رأي عسكر معاوية رضي الله عنه ولكن الظالم حاول إيهام القارئ بأنه من رأي شيخ الإسلام ابن تيمية.

عثمان. وعلى إما عاجزٌ عن العدل علينا أو غير قادر لذلك: وليس علينا أن نبایع⁽⁴⁾ عاجزاً عن العدل علينا ولا تاركاً له.

(4) هذا من كلام عسکر معاویة ولكن الظالم أو هم القارئ بل خدعاً بأنه من كلام ابن تیمیة .

فائمة السنة يعلمون أنه ما كان القتال مأموراً به لا واجباً ولا مستحبأ ولكن يعذرون من اجتهد فأخطأ".

"وقوله (أي الرافضي) وقاتل (أي معاوية) علياً وهو عندهم رابع الخلفاء إمام حق، وكل من قاتل إمام حق فهو باغ ظالم. فيقال له:

أولاً: الباقي قد يكون متاؤلاً معتقداً أنه على حق. وقد يكون متعمداً يعلم أنه باع، وقد يكون بغية من شبهة أو شهوة وهو الغالب".

"وعلى كل تقدير: فهذا لا يقدح فيما عليه أهل السنة فإنهم لا ينزعون معاوية ولا من هو أفضل منه من الذنب، فضلاً عن تنزيتهم عن الخطأ في الاجتهاد. بل يقولون: إن الذنب لها أسباب: تدفع عقوبتها من التوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة. وهذا أمر يعمّ الصحابة وغيرهم...".

إلى أن قال: "أما الرافضي فإذا قدح في معاوية رضي الله عنه بأنه كان باعياً ظالماً قال له الناصبي⁽¹⁾. وعلى أيضاً كان باعياً ظالماً قاتل المسلمين على إمارته وبدأهم بالقتل وصال عليهم وسفاك دماء الأمة بغير فائدة لا في دينهم ولا في دنياه. وكان السيف في خلافته مسلولاً على أهل الملة ومكفوفاً عن الكفار.

والقادحون في علي طائف: وكلهم مخطئون في ذلك ضالون مبتدعون. وخطأ الشيعة في القدح بأبي بكر وعمر: أعظم خطأ في من أولئك في علي.

وأما السلف والأئمة فيقول أكثرهم كأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم: لم يوجد شرط قتال الطائفة الbaghīyah: فإن الله لم يأمر بقتالهم ابتداءً، بل أمر إذا اقتلت طائفتان أن يصلح بينهما ثم إن بَغَتْ إحداهما على الأخرى قوتلت التي تبغي، وهؤلاء قوتلوا ابتداءً قبل أن يبدأوا بقتل".

"ومذهب أبي حنيفة وأحمد وغيرهما أن مانعي الزكاة: إذا قالوا نحن نؤديها بأنفسنا ولا ندفعها إلى الإمام لم يكن له قتالهم.

⁽¹⁾ هذا الكلام عبارة عن جدال مفترض بين رافضي وناسبي قادح في علي: وليس هو من كلام ابن تيمية، ولذلك قال بعدها ابن تيمية: والقادحون في علي طائف: وكلهم مخطئون.

ولهذا كان هذا القتال عند أحمد وغيره كمالك قتال فتنة، وأبو حنيفة يقول: لا يجوز قتال البغاة حتى يبدعوا بقتال الإمام: وهؤلاء لم يبدعوا بل الخوارج بدعوا به. وقتل الخوارج ثابت بالنص والإجماع⁽¹⁾ انتهى.

فهذا نص شيخ الإسلام ابن تيمية الذي ردّ به على افتراط الرافضي الحلي، ثم قارنه مع النص الثالث المتقدم الذي نقله عنه هذا الظالم مختزلًا ليثبت أنه كان ينذر علياً رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية "قال الرافضي: وقال (أي عمر) بالرأي والحدس والظن.

والجواب أن القول بالرأي لم يختص به عمر رضي الله عنه بل على كأن من أقوالهم بالرأي وكذلك أبو بكر وعثمان وزيد وابن مسعود وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقولون بالرأي.

وكان رأي علي في دماء أهل القبلة من الأمور العظام كما في سنن أبي داود وغيره عن الحسن عن قيس بن عباد قال: قلت لعلي: أخبرنا عن مسيرك هذا أعدد عهده إليك رسول الله ﷺ أم رأيُ رأيَه⁽²⁾؟

بل روى الأحاديث الصحيحة هو وغيره من الصحابة في قتال الخوارج المارقين".

"وأما قتال الجمل وصفين فلم يرو أحد منهم فيه نصاً إلا القاعدون. فإنهم رووا الأحاديث في ترك القتال في الفتنة.

وأما الحديث الذي يروى أنه أمر بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فهو حديث موضوع على النبي ﷺ⁽³⁾.

"ومعلوم أن الرأي إن لم يكن مذموماً فلا لوم على من قال به. وإن كان مذموماً فلا رأي أعظم ذمّاً من رأي أريقي به دم ألف مؤلفة من المسلمين. ولم يحصل بقتالهم مصلحة للمسلمين لا في دينهم ولا في دنياهم: بل نقص الخير عما كان، وزاد الشر على ما كان.

⁽¹⁾ منهاج السنة 203/2 - 205 .

⁽²⁾ سنن أبي داود (4658).

⁽³⁾ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة 410/1 .

فإذا كان مثل هذا الرأي لا يُعاب به: فرأيُ عمرٍ وغيره في مسائل الفرائض والطلاق أولى أن لا يُعاب.

مع أن علياً شركهم في هذا الرأي وامتاز برأيه في الدماء.
وقد كان ابنه الحسن وأكثر السابقين الأولين لا يرون القتال مصلحة وكان هذا الرأي أصلح من رأي بالدلائل الكثيرة"⁽¹⁾ انتهى.

وقد ردّ شيخ الإسلام على ابن المطهر الحلي الرافضي حين عاب عمر رضي الله عنه بالرأي والحسد والظن، ولكن هذا الظالم تلاعب بالنص ونقله مقطوعاً عما قبله وبعده: حاول هذا الكاتب الظالم تغفير الناس عن شيخ الإسلام، بعدهما نقل عنه نقاً مشوهاً واستدل به على نم علي بن أبي طالب رضي الله عنه. عليه من الله ما يستحق.

منزلة علي رضي الله عنه عند ابن تيمية

وغير خاف على من له إمامٌ بكتب شيخ الإسلام أنها مليئة بالدفاع عن آل بيت النبي ﷺ وعلى رأسهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومن نصوص شيخ الإسلام في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الفاضحة لتزوير هذا الظالم:

قال ردأ على الرافضي: "والرافضة لا يمكنهم أن يثبتوا وجوب مواليته (أي علي) كما يمكن أهل السنة، وأهل السنة متلقون على ذم الخوارج الذين هم أشد بغضاً له وعداوة من غيرهم.

وأهل السنة متلقون على وجوب قتالهم. فكيف يفترى المفترى بأن مدح هذا (أي معاوية) لبغضه علياً وذم هذا لمحة علي مع أنه ليس من أهل السنة من يجعل بغض علي طاعة ولا حسنة ولا يأمر بذلك ولا من يجعل مجرد حبه سيئة. ولا معصية ولا ينهى عن ذلك.

وكتب أهل السنة من جميع الطوائف مملوءة بذكر فضائله ومناقبه وبذم الذين يذمونه من جميع الفرق.
وهم ينذرون على من سبّه وكارهون لذلك.

وما جرى من التسابُّ والتلاعن بين العسكريين من جنس ما جرى من القتال وهم من أشد الناس بغضًا وكراهة لأن يتعرض له بقتال أو سب. بل هم كلهم متتفقون على أنه أجل قدرًا وأحق بالإمامية وأفضل عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من معاوية وأبيه وأخيه الذي كان خيراً منه.

وعلٰى هو أفضٰل من هو أفضٰل من معاوية، فالسابقون الأولون الذين بايعوا تحت الشجرة كلهم أفضٰل من الذين أسلموا عام الفتح، وفي هؤلاء خلق كثير أفضٰل من معاوية. وأهل الشجرة أفضٰل من هؤلاء كلهم.

وعلٰى أفضٰل جمهور الذين بايعوا تحت الشجرة، بل هو أفضٰل منهم كلهم إلا الثلاثة⁽¹⁾. فليس في أهل السنة من يقدم عليه أحداً غير الثلاثة". يعني أبو بكر وعمر وعثمان.

كلمةأخيرة

أخبرونا: أين الطعن في علٰي الذي تزعمونه؟ لماذا التمويه على العامة من الناس؟ إن هذه النصوص تفصح كذب من يجعلون كلام عسكر معاوية كلام ابن تيمية، بينما يعرضون عن صريح نصوص ابن تيمية التي يثني فيها على علٰي رضي الله عنه اتباعاً للهوى وإيثاراً للظلم والتجني.

⁽¹⁾ منهاج السنة 206/2

اتهامه بتحريم التوسل مطلقاً

قال الحبشي "ومن أشهر ما صح عن ابن تيمية بنقل العلماء المعاصرين له: تحريم التوسل بالأنبياء والصالحين بعد موتهم وفي حياتهم، وتحريم زيارة النبي ﷺ". قال السبكي "ولم يسبق ابن تيمية في إنكاره التوسل أحد من السلف ولا من الخلف، بل قال قوله عالم قط"⁽¹⁾. وهذا الكلام الذي وضع لك تحته خطأ هو محض افتراء، فإن ابن تيمية لم يحرم التوسل بالنبي ﷺ في حياته، بل أثبته محتاجاً بحديث الأعمى الذي طلب من النبي ﷺ أن يدعوه له، لكنه حرم التوسل به ميتاً واحتاج بتراك الصحابة التوسل به بعد موته كتوسل عمر بالعباس وتوسل معاوية بيزيد بن الأسود⁽²⁾ مما يستنتج منه أن المفهوم المتاخر للتوسل ينافي فهم السلف له، حيث فهموا منه التوسل بدعاء المتتوسل به لا بشخصه. وقد كانوا في حياته ﷺ يأتونه ويطلبون منه أن يدعوه الله أن يسقيهم.

ولابن تيمية في هذا الفهم الصحيح سلف: فقد سبقه بذلك أبو حنيفة وأحمد في أحد قوليه، وهذا يبطل ادعاء السبكي أنه لم يسبق أحد ابن تيمية في موقفه من التوسل. ويكفيك أن تتطلع على هذه الفقرة وفيها:

جاء في الدر المختار⁽³⁾ وهو من أشهر كتب الحنفية ما نصه "عن أبي حنيفة قال: لا ينبغي لأحد أن يدعوا الله إلا به، والدعاة المأذون فيه المأمور به: هو ما استفید من قوله تعالى {ولله الأسماء الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}.

وقال أبو حنيفة "وأكره أن يقول: بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك"⁽⁴⁾. وقال أبو يوسف "لا يُدعى الله بغيره". وقال المرتضى الزبيدي "وقد كره أبو حنيفة وصحاباه أن يقول الرجل: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، إذ ليس لأحد على الله حق"⁽⁵⁾ وذكر الآلوسي أن نصوص علماء المذهب تدل على أن الكراهة لتحريم وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد⁽⁶⁾. وأما حديث "أسألك بحق السائلين عليك" ففيه عطيه العوفي وفي روايته وهن.

هل حرم ابن تيمية زيارة القبور؟

وأما زعم السبكي وغيره أن ابن تيمية كان يرى المنع من زيارة قبر النبي ﷺ فإن ابن تيمية لا يحرم زيارة القبور ولا قبر النبي ﷺ، كيف وقد كتب كتاباً بعنوان (الرد على البكري واستحباب زيارة قبر خير البرية)؟ ومن نقل خلاف هذا فليأت بدليل من كتب الشيخ. وإنما منع شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، ومأخذُه النص؟!

(1) المقالات السننية 26.

(2) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة 92 و 94 و 126.

(3) 630/2 ونقله القدورى وغيره عن أبي يوسف.

(4) الفتاوى الهندية 280/5.

(5) إتحاف السادة شرح إحياء علوم الدين 285/2.

(6) جلاء العينين 452.

واحدة بوحدة!!!

ونحن نذكر الحبشي بقوله حين صرف الناس عن الزكاة قائلًا "كيف تنكرون على الشافعى ومالك فتواهما بعدم الزكاة في غير الذهب والفضة وأخذهما النص"⁽¹⁾.
ونحن نستخدم عبارته هذه ونقول: كيف تُنكِّر على ابن تيمية فتواه بتحريم شد الرحال إلى غير المساجد وأخذها النص؟ وهو قول النبي ﷺ "لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلات: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا"⁽²⁾.

كتب كتاباً بعنوان (الرد على البكري واستحباب زيارة قبر خير البرية)؟ ومن نقل خلاف هذا فليأت بدليل من كتب الشيخ. وإنما منع شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، وأخذها النص؟!

وابن تيمية لم يتفرد بهذا القول بل قاله الإمام الجويني وهو من كبار أصحاب المذهب الأشعري، كما حکاه عنه النووي⁽³⁾ وحکاه المناوي عن القاضي عياض والقاضي حسين في تحريم شد الرحال لمجرد زيارة القبر⁽⁴⁾.

ولئن كان النووي قد تعقب الجويني وخالفه فإن اعتراضه مردود بموقف الإمام مالك الذي كان يرى تحريم شد الرحال إلا إلى المساجد الثلاث تمسكاً بالحديث النبوى.

⁽¹⁾ بغية الطالب 160.

⁽²⁾ رواه البخاري (1189) و(1864) و(1197) ومسلم (827).

⁽³⁾ النووي على مسلم 106/9 و 168.

⁽⁴⁾ فيض القدير 403/6.

أذوبة تحريم زيارة القبر النبوى

وقد دافع ابن كثير عن هذا الاقتراء قائلاً "فانظر إلى التحريف على شيخ الإسلام فإنه جوابه ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وإنما فيه ذكر قولين في شد الرحال والسفر إلى مجرد زيارة القبور، وزيارة القبور من غير شد رحال شيء: وشد الرحال لمجرد الزيارة أمر آخر. والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل، بل يستحبها ويندب إليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك، ولم يتعرض إلى الزيارة ولا قال إنها معصية ولا حكى الإجماع على المنع منها ولا هو جاهل قول النبي ﷺ "زوروا القبور فإنها تذكر الآخرة"⁽¹⁾. بل صرح بأن السفر لزيارة مسجد النبي ﷺ وقبره معاً مستحب ويدخل القبر تبعاً⁽²⁾.

وجوب التفريق بين الزيارة وبين شد الرحال

وإنما قال ﷺ "لا تشد الحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا" ولم يقل "وقبري هذا" والحديث نصٌ في تحريم شد الرحال إلى القبور⁽³⁾.

- نعم قال الحافظ العسقلاني أن تحريم زيارة قبر النبي ﷺ من أبغض المسائل المنقولة عن ابن تيمية⁽⁴⁾.

قلت بل من المسائل المكذوبة عليه، ولا يفيد قول الحافظ العسقلاني له ولكن عموم كلامه يدل على أنه لا يزال له قدره و منزلته عنده لا سيما وأنه وصفه بالعلامة في (فتح الباري 289/6) وبـ"الحافظ" كما في (التلخيص الحبير) كما سيأتي واحتج به في الحكم على كذب روایة (وهو الان على ما عليه كان) وأنها ليست في شيء من كتب الحديث.

⁽¹⁾ البداية والنهاية 14/124.

⁽²⁾ الرد على الأخنائي 172 - 173.

⁽³⁾ البخاري (1995) ومسلم (1338).

⁽⁴⁾ فتح الباري 3/66.

الحافظ يعطيه رتبة حافظ

فخذوه حيث حافظ عليه نص

بل أعطاه ابن حجر رتبة ((حافظ)). فقد ذكر في (التلخيص الحبير 3/109) حديث (الفقر فخري وبه أفتخر) ثم قال "وَهَذَا الْحَدِيثُ سُئِلَ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ تَمِيمَةَ قَالَ: إِنَّهُ كَذَبٌ لَا يُعْرَفُ فِي شَيْءٍ مِّنْ كِتَابِ الْمُسْلِمِينَ الْمَرْوِيَّةِ".

والتحريم المزعوم لزيارة قبره ρ إنما هو شيء ألزمته به أعداؤه كما اعترف بذلك الحافظ نفسه. وكان السبكي واحداً من أبرز الملزمين له بذلك حين زعم أنه يحرّم زيارة قبر النبي ρ مع علمه أنه يحرّم شد الرحال إليه ولا يحرّم مجرد الزيارة.

فقد أكد أن زيارة المسجد النبوي الشريف (ثم) زيارة القبر النبوي عمل صالح ومستحب⁽¹⁾، جلّ ما في الأمر أنه يفرق بين الزيارة الشرعية وبين الزيارة البدعية التي تتضمن إما السفر من أجل القبر وإما المخالفات التي ترتكب عند القبر من تقبيل الجدران والاستغاثة به ρ أو أن يكشف ضرراً أو يقضي حاجة. وحصول الخشوع والإقبال على الدعاء لمجرد الوقوف عند القبر بما لا يحصل منه بين يدي الله في الصلاة". قال:

"فالزيارة الشرعية مقصودها السلام على الميت والدعاء له، سواء أكان نبياً أو غيرنبي، ولهذا كان الصحابة إذا زاروا قبر النبي ρ يسلمون عليه، ويدعون له ثم ينصرفون، ولم يكن أحد منهم يقف عند قبره ليدعوه لنفسه، وقال "وقد اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ρ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين من الصحابة وأهل البيت أنه لا يتمسح به ولا يقبله، بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر قال "والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولو لا أني رأيت رسول الله ρ يقبلك ما قبلك".

أضاف:

"ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركتيُّ البيت ولا مقام إبراهيم ولا صخرة بيت المقدس ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين "فهذه هي الزيارة البدعية وهي من جنس دين النصارى وهو أن يكون قصد الزائد أن يستجاب دعاؤه عند القبر أو أن يدعو الميت أو يقسم به على الله في طلب حاجاته وتفريج كرباته، فهذه من البدع التي لم يشرعها النبي ρ ولا فعلها أصحابه"⁽¹⁾.

قال:

"وأما زيارة القبور المشروعة فهو أن يسلم على الميت ويدعوه له بمنزلة الصلاة على جنازته كما كان النبي ρ يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ..."⁽²⁾.

⁽¹⁾ الجواب الباهر 14 .

⁽¹⁾ كتاب الزيارة 13 - 14 .

⁽²⁾ كتاب الزيارة 81 - 88 .

وبهذا يتبيّن لك غلط السبكي وأمثاله على ابن تيمية حيث نسبوا إليه ما ثبت خلافه من كلامه، وسارعوا إلى ركوب أهوائهم من غير أن ثبت. ولهذا صرّح الحافظ ابن حجر أن تحريم زيارة قبره من المسائل المنسوبة إلى ابن تيمية.

أما قوله (مستشنع) فليس فيه مذمة، فقد قال بعض أهل العلم إن مسألة التزوج بالبنّت من الزنا من أبغض المسائل المنقوله عن الشافعي وأن جواز التيمم بالثلج من أبغض المسائل المنقوله عن مالك. وأن تزوج المغربي من المشرقي (وبالعكس) ثم ولدت الزوجة ولدًا يلحق بالأب وإن لم يجتمع الزوجان قط: من أبغض المسائل المنقوله عن أبي حنيفة.

الجويني سبق ابن تيمية بهذه الفتوى

وقد تحدى الحبشي أن يكون أحد من السلف أو الخلف سبق ابن تيمية زيارة قبر النبي ﷺ ، ونحن نتحداه أن يأتي بدليل من كلام ابن تيمية يحرّم فيه زيارة قبر النبي ﷺ ، أما تحريم شد الرحال إلى القبر فقد سبقه إلى ذلك الإمام الحرمين كما حكا عنه النووي والمناوي ⁽⁴⁾.

وقال الإمام مالك قبلهما "أكره أن يقول القائل: زرت قبر النبي ﷺ " ولا يعني هذا تحريم زيارة قبر النبي ﷺ وإنما تحريم السفر من أجله تمسكاً بالحديث. ويجب التفريق بين زيارة القبر وبين شد الرحال إليه لا كما يفعله الشيعة. وحاشا مالكاً أن يكون بذلك مخالفًا للإجماع وهو أعلم أهل زمانه. فإنه لم يثبت عن أحد من الصحابة أنه كان يأتي من سفر للقدوم على قبر النبي ﷺ إلا ما كان من فعل ابن عمر. وقد جاء في مصنف عبد الرزاق عن عبيد الله بن عمر أنه قال: ما نعلم أحداً من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر".

الرافضة وأضرحة الأئمة

ولقد بين ابن تيمية أمراً مهماً يجب ملاحظته وعدم إغفاله وهو أن أول من وضع الأحاديث المكتوبة في السفر لزيارة المشاهد (أضرحة الأئمة والأولياء) هم أهل البدع الرافضة الذين يعطّلون المساجد ويعظّمون المشاهد: يتركون بيوت الله التي أمر أن يُذكر فيها اسمه، ويعظّمون المشاهد التي يُشركُون بها، والكتاب والسنة جاءا بتعظيم المساجد لا المشاهد. قال تعالى {وَأَقِيمُوا وُجُوهُكُمْ عَنْ كُلِّ مَسْجِدٍ} وليس عند كل ضريح أو مقام.

الشرك المجرب وليس الترياق المجرب

أما روایات الحبشي المظلمة التي يزعم فيها أن "قبر معروف الكرخي: الترياق المجرب" فما أظلم وأكذب أسانيده في العقائد التي نقض بها ما تعهد به، أنه لا تجوز الرواية في أمور العقائد إلا بما صح سنته، ولئن كان هذا الترياق مجرّباً بما بال الصحابة لم يجرّبوا (ترياق) قبر رسول الله ﷺ ؟! لماذا تدافعون عن شيء هلك به المشركون وبنوا لأجله الأصنام؟

⁽³⁾ المقالات السنوية 137.

⁽⁴⁾ فيض القدير 6/403 وشرح مسلم 9/106 و 168.

إنكم لن تجدوا في أفعال الصحابة ما يوافق ذلك اللهم إلا الشيعة ومن قبلهم اليهود والنصارى
ومن قبلهم قوم نوع الذين كانوا يعتبرون قبور ود سواع ويعوق ويعوق ونسر: هي الترائق المجرب:
أعني الشرك المجرب: هم سلفكم: يا خلّفُهُم!

أما قول إبراهيم الحربي (الترائق المجرب) فهو أولى عندكم بالأخذ من قول النبي ﷺ "عن الله اليهود والنصارى: اتخاذوا قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد". تعارضون ما صح سنده عن النبي ﷺ بهذه الأكاذيب المروية من غير المعصومين!!!

منهجية السبكي في إثبات الزيارة

ومصادره في هذه المسألة

ولم يلتفت السبكي إلى تفريقي ابن تيمية بين مجرد زيارة قبر النبي ﷺ وبين شد الرحال إليه، فكتب كتاباً بعنوان "شفاء السقام في زيارة خير الأنام" ملأه بالموضوع والمكذوب من الروايات.

وقد رد عليه الحافظ بن عبد الهادي وفند جميع روایاته الضعيفة في كتاب بعنوان (الصارم المنكي في الرد على السبكي) قال فيه:

"أما بعد فإني وقفت على هذا الكتاب فوجده كتاباً مشتملاً على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة، وعلى تضعيف الأحاديث الصحيحة الثابتة"⁽¹⁾.

وصرح الحافظ بأن طرق حديث "من زار قبري" كلها ضعيفة ونقله عن ابن خزيمة أنه لم يصح حديث في هذا الباب⁽²⁾.

منهجية السبكي في رد ابن تيمية

غير أن السبكي لم يلتفت إلى تفريقي ابن تيمية وكتب كتاباً بعنوان "شفاء السقام في زيارة خير الأنام" مع أنه نقل فيه عنه التفريقي بين الزيارة البدعية والزيارة الشرعية⁽³⁾.

ويما ليت السبكي لم يكتب هذا الكتاب، فقد ملأه بالموضوع والمكذوب من الروايات، فكشف بكتابه هذا عن مدى علاقته بفن الحديث. دافع الحبشي بدوره عن هذه الروايات بتعصب وانحراف بالغين⁽⁴⁾.

وقد اقترح السبكي أن يسمى كتابه "شن الغارة على من أنكر الزيارة" لكن سلاحه لا يصلح لشن الغارة لأنها ضعيف لم يزد خصمها إلا رسوحاً وثباتاً فضلاً عن أن زعمه أن خصم أنكر الزيارة هو ظلم كبير لا سيما إذا علم أن ابن تيمية كتاباً اسمه "الرد على البكري واستحباب زيارة قبر خير البرية".

وقد رد الحافظ ابن عبد الهادي على كتاب السبكي المذكور قائلاً "أما بعد فإني وقفت على هذا الكتاب فوجده كتاباً مشتملاً على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة، وعلى تضعيف الأحاديث الصحيحة الثابتة"⁽¹⁾.

ويكفي اليوم في الرد على السبكي: مجرد تخريج الأحاديث التي حشاها في كتابه ليتعرف المنصف على صدق كلام ابن عبد الهادي وعلى ضعف السبكي في علم الحديث، وعلى تعصبه وعدم إنصافه لابن تيمية، ولنذكر بعضًا من هذه الأحاديث من غير توسيع في تخريجها:

(1) الصارم المنكي في الرد على السبكي 18 - 19 .

(2) انظر لسان الميزان 6/258 وميزان الاعتدال 225/4 .

(3) شفاء السقام 129 .

(4) انظر كتابه المقالات السننية ص 139 .

(1) الصارم المنكي في الرد على السبكي 18 - 19 .

- "من زار قبرى وجبت له شفاعتي"⁽²⁾.
- "من جاءنى زائراً لا يعمله حاجة إلا زيارتى كان حفأ على الله أن أكون له شفيعاً"⁽³⁾.
- "ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر"⁽⁴⁾.
- "من لم يزور قبرى فقد جفانى"⁽⁵⁾.
- "من حج فزار قبرى بعد وفاتي فكأنما زارنى في حياتي"⁽⁶⁾. قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص429) "رواه البيهقي وفيه حفص القاريء رمي بالكذب".
- "من حج البيت ولم يزُرني فقد جفاني"⁽⁷⁾. قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص467) "لا يصح".

وتعجب كيف يمكن أن يقول الرسول ﷺ هذا وهو الذي صح عنه أنه قال "لا تجعلوا قبرى عيداً وصلوا على فإن صلاتكم تبلغني حيث كنت". وكيف يسأل ربه أن لا يجعل قبره وثناً ثم يأمر بشد الرحال إليه بل يوبخ من لا يفعل ذلك ويصفه بالمجافاة؟!

(2) شفاء السقام 2 ضعفه السيوطي والألباني (إرواء الغليل 1127 اللآلئ المصنوعة 129/2).

(3) شفاء السقام 16 ضعفه الحافظ ابن حجر في التلخيص 267/2.

(4) شفاء السقام 16 ضعفه الألباني في كتابه "دفاع عن الحديث" 109.

(5) شفاء السقام 39 ذكره ابن الجوزي في الموضوعات 217/2.

(6) شفاء السقام 20 ضعيف انظر الإرواء 1128 وسلسلة الضعيفة 47 ومشكاة المصابيح 2756.

(7) شفاء السقام 39 قال الحافظ العراقي في تحرير الإحياء "ذكره ابن الجوزي في الموضوعات" الإحياء . 258/1

- "من زارني إلى المدينة كنت له شفيعاً وشهيداً"⁽¹⁾.
- "من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيمة"⁽²⁾.
- "من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي"⁽³⁾. قال الشيخ محمد بن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص 435) "رواه الدارقطني وفي سنته مجهول". فهذا اعتراف من مشايخ الأحساء المعتبرين فاعتبروا يا أولي الأ بصار.

فهذه الروايات الضعيفة التي تحت على اتخاذ القبور مساجد تتعارض مع الروايات الصحيحة النافية عن اتخاذ القبور مساجد كحديث "لا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك".

وليس شيء من هذه الأحاديث صحيحًا حتى تكون شفاءً للسقام وإنما هي بين موضوع وضعيف جداً فكيف تكون شفاءً للسقام، وإنما كان هذا السقم نفسه هو رأس المال السبكي في ردّه على صحاح البراهين التي احتاج بها ابن تيمية، ولم يستطع مناقضته ولا بحديث واحد صريح صحيح، لأنّه لا يوجد.

⁽¹⁾ شفاء السقام 36 ضعفه الحافظ في التلخيص 2/267 وانظر ميزان الاعتدال 1/53.

⁽²⁾ شفاء السقام 31 نقده الذهبي في ميزان الاعتدال ترجمة رقم (9168).

⁽³⁾ ذكره السيوطي في الأحاديث الموضعية 2/130.

ابن تيمية ومسألة الطلاق

وأما اتهامه لابن تيمية بمخالفة إجماع الأئمة في مسألة طلاق الثلاث وطلاق اليمين. فنسأل

أولاً:

هل كل مخالفة للأئمة تكون مخالفة للدين؟

وهل كان تقرؤ ابن تيمية في هذه المسألة مخالفًا لما كان يفعله النبي ﷺ؟

وهل كان مخالفًا بعض الأئمة أم خالٍ إجماعهم؟

إن كانت من مسائل الاجتہاد فلا ضير أن يجتهد من وصفه ابن حجر والسيوطی بالحافظ والعالمة وشيخ الإسلام ومجتهد وقته وبحر عصره. أما أن يكون مخالفًا للإجماع فلا يقول ذلك إلا (حقد أو جاھل) أو (واهم).

قال الحافظ ابن حجر "ويتعجب من ابن التین حين جزم بأن لزوم الثلاث لا اختلاف فيه، مع ثبوت الاختلاف كما ترى"⁽¹⁾.

وقال النووي "وقد اختلف العلماء فيمن قال لامرأته: أنت طالق ثلاثة، فقال الشافعی ومالك وأبو حنيفة وأحمد وجمahir العلماء من السلف والخلف: يقع الثلاث، وقال طاووس وبعض أهل الظاهر: لا يقع بذلك إلا واحدة، وهو رواية عن الحجاج بن أرطاة ومحمد بن إسحاق، والمشهور عن الحجاج بن أرطاة أنه لا يقع به شيء، وهو قول ابن مقاتل، ورواية عن محمد بن إسحاق"⁽²⁾.

قلت: وهو قول جماعة من الصحابة كابن عباس والزبير بن العوّام وعبد الرحمن بن عوف كما حکاه ابن وضاح وابن مغیث في (كتاب الوثائق)⁽³⁾ وأفتى به علي بن أبي طالب وابن مسعود، ومن التابعين ابن المسيب وجماعة من التابعين والفقهاء كعطاء وطاوس وعمرو بن دینار كما ذكر الألوسي في تفسیر روح المعانی، وكأحمد بن بقی بن مخلد ومحمد بن القاسم بن هبة الله الشافعی⁽⁴⁾ قالوا إن طلاق الثلاث طلاق بدعي وكل بدعة مردودة"⁽⁵⁾.

(1) فتح الباري 9 / 363.

(2) شرح مسلم 325/10 حديث رقم (1472).

(3) فتح الباري 9 / 363.

(4) ذكره ابن كثير من جملة المفتين بذلك. البداية والنهاية 13 / 132.

(5) أعلام المؤquin 3 / 38.

وأفتى به من المتأخرین جمع من العلماء والمفتین أبرزهم الشیخ عبد المجید سلیم الحنفی المصری شیخ الجامع الأزهرب و مفتی الديار المصریة. وقد بحث المسألة بحثاً شدیداً. قال الفقی "وكانت خاتمة بحثه ومھط رأیه: أننا لو طرحا الأحادیث لما يقال من اضطرابها و عدم بيانها: يبقى معنا النص القرآنی {الطلاقُ مَرَّتَانِ ...} فما لا يشک فیه بعد ذلك أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا یقع إلا واحدة"⁽¹⁾. والشیخ أحمد شلتوت الذي قال "وعلى هذا فلا نحكم بوقوع الطلاق إلا إذا كان مرة مرة وكان منجزاً مقصوداً للتفريق، في طهر لم یقع في طلاق ولا إفضاء وكان الزوج بحالة تکمل فيها مسؤولیته. وبهذا لا نحكم بوقوع الثلاث دفعة واحدة إذا قال: أنت طلاق ثلاثا"⁽²⁾.

وقال الحافظ ابن حجر "ومن القائلين بالتحريم واللزوم من قال: إذا أطلق ثلاثاً مجموعه وقعت واحدة، وهو قول محمد بن إسحاق صاحب المغازي، واحتج بما رواه عن داود بن الحصین عن عکرمة عن ابن عباس قال: طلق رکانة بن عبد یزید امرأته ثلاثاً فحزن على طلاقها حزناً شدیداً فسأله النبي ﷺ "كيف طلاقتها؟" قال: طلاقتها ثلاثاً، فقال: في مجلس واحد؟ قال نعم، قال: فإنما تلك واحدة فارتجعها إن شئت"⁽³⁾.

قال الحافظ "وهذا الحديث نص في المسألة لا یُقبل التأویل الذي في غيره من الروایات الأخرى".

⁽¹⁾ حاشیة الفقی على المنتقی للمجد ابن تیمیة 600/2.

⁽²⁾ الفتاوی للشیخ شلتوت ص 310 ط: دار الشروق. القاهرة - بیروت.

⁽³⁾ رواه البیهقی وقال "هذا الإسناد لا تقوم به حجة" وقال الألبانی "هذا الإسناد صححه الإمام أحمد والحاکم والذهبی وحسن الترمذی فی متن آخر، وذكرنا اختلاف العلماء فی داود بن الحصین وأنه حجة فی غير عکرمة، ولو لا ذلك لكان إسناد الحديث لذاته قویاً ولكن ذلك لا یمنع من الاعتبار بحديثه والاستشهاد بمتابعتها لبعض بنی رافع، فلا أقل من أن يكون الحديث حسناً بمجموع الطريقین عن عکرمة، وكلام ابن حجر فی الفتح یشعر بأنه یرجح صحته أيضاً، فإنه قال "أخرجه أحمد وأبو یعلی وصححه من طريق محمد بن إسحاق . . . ويقوی حديث ابن إسحاق المذکور ما أخرجه مسلم (فتح الباری 9/362 إرواء الغلیل 7/144).

وأما رواية أبي داود وفيها أن النبي ﷺ استخلف ركانة "الله ما أردت إلا واحدة؟ فقال ركانة والله ما أردت إلا واحدة" ففيها علي بن يزيد بن ركانة وهو مجاهد وابنه عبد الله: ضعيف والزبير بن سعيد: ضعيف. قال الترمذى (رقم 1177) "سألت محمد (أي البخارى) عن هذا الحديث فقال: فيه اضطراب" وقال الحافظ المنذري "ضعفاء" وأعلى الحافظ في التلخيص (3/213) طرق هذا الحديث⁽¹⁾.

وهو لاء ما أرادوا بروايتهم هذا الحديث العمل به، وإنما أرادوا التشغيب وضرب حديث مسلم به، وإلا فلا نعدهم يعتبرون الثلاثة واحداً لمن طلق ثلاثة ونوى واحدة. ثم إن الطلاق هزله جد، ومن تلفظ بالثلاثة ونوى بها واحدة وجب على من يعتبرها ثلاثة أن يلزمها بالثلاثة عقوبة له. كما أن من تلفظ بالطلاق ونوى عدمه لا يقبلون منه النية وإنما يلزمونه بما تلفظ به.

قال ابن عباس رضي الله عنه "كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وستين من خلافة عمر: طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب إن الناس قد استجلوا في أمر قد كانت لهم في أناة، فلو أمضيناهم عليهم فأمضاه عليهم" وفي رواية لمسلم أن أبو الصهباء قال لابن عباس: أتعلم أنها كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وثلاثة من إمارة عمر؟ فقال ابن عباس: نعم (قد كان ذلك)"⁽²⁾.

فانظر كيف قدموا هنا فعل عمر الموقوف على المرفوع، بينما قدموا المرفوع على موقوف أبي هريرة لما قال للمنتقبية "المسجد تريدين يا أمة الجبار". فتارة يقدمون فعل الصحابي على فعل رسول الله ﷺ وتارة يعكسونها!

قال ابن تيمية بعد ذكر هذين الحديثين "ولم يثبت عن النبي ﷺ خلاف هذه السنة بل ما يخالفها إما أنه ضعيف، بل مرجوح. وإما أنه صحيح لا يدل على خلاف ذلك" وقال "ولا نعرف أحداً طلاق على عهد النبي ﷺ امرأته ثلاثة بكلمة واحدة فالزمه النبي ﷺ بالثلاث ولا روي في ذلك حديث صحيح ولا حسن، ولا نقل أهل الكتب المعتمد عليها في ذلك شيئاً. بل رویت في ذلك أحاديث كلها ضعيفة باتفاق علماء الحديث؛ بل موضوعة"⁽³⁾.

⁽¹⁾ انظر إرواء الغليل 139/7 .

⁽²⁾ رواه مسلم رقم (1472) .

⁽³⁾ مجموع الفتاوى 71/33 وانظر ص 12 و 13 .

الإجماع منعقد على أن الثلاث واحدة

وبهذا يبطل قول من زعم أن ابن تيمية خالف بهذه الفتوى الإجماع من الخلف والسلف. فإن الإجماع قد انعقد في عهد رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وسنتين من خلافة عمر على أن طلاق الثلاث واحدة كما نص عليه ابن عباس رضي الله عنهما.
فما يفيد ذلك؟ أليس يفيد إجماعاً؟

أما الموقف الآخر الذي اتخذه عمر فإنه اتخذه مع علمه بأن طلاق الثلاث واحدة في عهد النبي ﷺ بل وعمله به لستنين، وإنما اتخذه لمصلحة طارئة رأها، ومع ذلك فل ينعقد بين الصحابة على ذلك. وما أكثر المسائل التي يظن الناس أنها مجمعٌ عليها بينما ليست كذلك.

وقد استنكر العالمة الآلوسي بشدة ادعاء عبد الغني النابلسي أنه رأى النبي ﷺ فسألته عن المطلقة بالثلاث في المجلس الواحد "كيف حكمه عندك يا رسول الله؟ فقال: "تقع ثلاثاً"⁽¹⁾! مع أن الثابت عنه ﷺ من الأحاديث عكس ذلك. وهذا جرياً على عادة الصوفية في حسم المسائل المتنازع عليها بكشوفات ومنامات يُحْلَّون بها في عالم المنام ما ثبت تحريمها في عالم اليقظة.

⁽¹⁾ جلاء العينين في محاكمة الأحمديين . 236

موقف الحبشي من هذا الحديث

وقد نقض الحبشي هذا الحديث⁽¹⁾ وأقترح لإبطال العمل به: عدة مقتراحات:

1- أن يقال بأنه لا يجوز العمل بظاهره. ولست أدرى ما يمنعه بعد هذا أن يقول "لا يجوز العمل به"!

2- أنه يمكن معارضه الحديث بإجماع الصحابة على العمل بخلافه بعد موت النبي ﷺ وكأن الإجماع يُقْدَم على قول النبي ﷺ وأفعاله. وإن كان كذلك فلماذا تمسكتم بحديث الأعمى وتجاهلتـ إجماع الصحابة على ترك التوسل بالرسول ﷺ والتـوسل مكانه بالعباس. فقد توسل عمر بالعباس على مرأى الصحابة جميعاً ولم ينكر أحد منهم عليه، فلماذا لا ترتكـون التـوسل بالموتـي وتحمـون بنسخـ الإجماع لـحديثـ الأعمى؟!!.

وكيف وأن هذا الإجماع المزعوم في مسألة الطلاق لم ينعقد. فقد عمل جماعة من الصحابة كابن عباس والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف بمقتضـى الفتوـيـةـ النبوـيةـ كما حـكـاهـ ابنـ وضـاحـ وأفـتـىـ بهـ عـلـيـ بنـ أـبـيـ طـالـبـ وـابـنـ مـسـعـودـ، وـمـنـ التـابـعـيـنـ اـبـنـ الـمـسـيـبـ وـجـمـاعـةـ مـنـ التـابـعـيـنـ وـالـفـقـهـاءـ كـمـاـ ذـكـرـ الـأـلوـسـيـ فـيـ تـفـسـيرـ رـوـحـ الـمعـانـيـ. وـهـوـ مـعـتـمـدـ الـمـحاـكـمـ الـشـرـعـيـةـ فـيـ أـكـثـرـ الـبـلـادـ الـإـسـلـامـيـةـ. أو لم يـكـفـهـمـ أـنـ كـانـ مـعـتـمـداـ عـنـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺ وـخـلـافـةـ أـبـيـ بـكـرـ؟!

3- أن يقال إن الحديث ضعيف بالشذوذ. وهذا تلبيس فإن الشذوذ في رواية (عارم) كما عند أبي داود والنـسـائـيـ وـالـدارـقـطـنيـ، أما رـوـاـيـةـ مـسـلـمـ وـالـبـيـهـقـيـ فـلـيـسـ شـاذـةـ. ولـذـاـ لـمـ تـضـمـنـ زـيـادـةـ (ـقـبـلـ أـنـ يـدـخـلـ بـهـ).

4- أن يقال إن الحديث مؤول بأن معنى (كان الطلاق طلاقـ الثـلـاثـ وـاحـدـاـ) أن الـبـتـةـ كـانـتـ تستعملـ للـطـلاقـ الـواـحـدـ لـتـأـكـيدـ ثـمـ صـارـ النـاسـ يـسـتـعـمـلـونـهـاـ فـيـ خـلـافـةـ عمرـ بـصـدـ الـثـلـاثـ فـأـجـرـىـ عـلـيـهـمـ عمرـ الـحـكـمـ عـلـىـ مـوجـبـ قـصـدـهـمـ.

وهـذاـ تـأـوـيـلـ مـرـدـودـ. ثـمـ إـنـ هـذـهـ تـأـوـيـلـاتـ الـمـعـتـادـةـ لـيـسـ بـأـعـظـمـ مـنـ تـأـوـيـلـاتـهـمـ لـصـفـاتـ اللهـ وـقـولـهـمـ عـلـىـ اللهـ بـغـيـرـ عـلـمـ وـلـاـ هـدـىـ وـلـاـ كـتـابـ مـنـيـرـ. وـبـيـطـلـ تـأـوـيـلـ قـوـلـ عمرـ (ـقـدـ اـسـتـعـجـلـوـاـ)ـ وـقـدـ رـأـىـ وـقـفـ الـعـلـمـ لـمـصـلـحةـ رـاجـحةـ عـنـهـ وـهـوـ تـعـزـيرـ النـاسـ وـتـأـدـيـبـهـمـ، وـذـلـكـ مـثـلـ تعـطـيلـهـ حـدـ السـرـقةـ عـنـ الرـمـادـةـ وـإـقـرـارـ الصـحـابـةـ لـهـ عـلـىـ ذـلـكـ.

قال الألباني "وهل يجوز مع هذا كله أن يُترك الحكمُ المُحكمُ الذي أجمع عليه المسلمين في خلافة أبي بكر وأول خلافة عمر من أجل رأي بدا لعمر واجتهـدـ فـيـهـ: فـيـؤـخـذـ باـجـتـهـادـهـ وـيـتـرـكـ حـكـمـهـ الذي حـكـمـ هوـ بـهـ أـوـلـ خـلـافـةـ تـبـعـاـ لـرـسـوـلـ اللهـ ﷺ وـأـبـيـ بـكـرـ؟!

الـلـهـمـ إـنـ هـذـاـ لـمـنـ عـجـائـبـ مـاـ وـقـعـ فـيـ الـقـفـهـ الـإـسـلـامـيـ، فـرـجـوـعـاـ إـلـىـ السـنـةـ الـمـحـكـمـةـ أـيـهـاـ الـعـلـمـاءـ، لـاـ سـيـماـ وـقـدـ كـثـرـتـ حـوـادـثـ الـطـلاقـ فـيـ هـذـاـ الزـمـانـ كـثـرـةـ مـدـهـشـةـ تـنـذـرـ بـشـرـ مـسـتـطـيرـ ثـصـابـ بـهـ مـئـاتـ الـعـائـلـاتـ" ⁽¹⁾.

(1) المقالات السنوية في كشف ضلالات ابن تيمية 55 - 56 .

(1) سلسلة الأحاديث الضعيفة 272/3 .

المفاسد المترتبة على توسيع الطلاق

وقد أوضح ابن تيمية المفاسد التي ترتب على توسيع باب الطلاق، فقال: "من تدبر نصوص الكتاب والسنة وجدها مفسرة لأمر النكاح، لا يشترط فيها ما تشرطه طائفة من الفقهاء".

كما اشترط بعضهم: ألا يكون إلا بلفظ الإنكاح والتزويج.
واشترط بعضهم: أن يكون بالعربية.

واشترط هؤلاء وأخرون: ألا يكون إلا بحضور شاهدين، ومع هذا فقد صححوا النكاح مع نفي المهر. ثم صاروا طائفتين: طائفة تصح نكاح الشugar، لأنه لا مفسد له إلا نفي المهر، وذلك ليس بمفسد عندهم. وطائفة: تبطله، وتتعل ذلك بعللٍ فاسدة.
ثم صححوا "نكاح المحل"⁽²⁾.

"فكان قول أهل الحديث وأهل المدينة الذين لم يشترطوا لفظاً معيناً في النكاح، ولا إشهاد شاهدين مع إعلانه وإظهاره، وأبطلوا نكاح الشugar، وكل نكاح فيه نفي المهر، وأبطلوا نكاح المحل ... أشبه بالكتاب والسنة وأثار الصحابة".

⁽²⁾ وهذا التحليل الذي وصف النبي ﷺ فاعله بالتيس المستعار صار وصمة عار في جبين الشريعة الإسلامية وموضع تهكم أعداء الدين.

"ثم إن كثيراً من أهل الرأي الحجازي والعربي وسّعوا "باب الطلاق" فأوقعوا طلاق السكران، والطلاق المحتل به، وأوقع هؤلاء طلاق المكره، وهؤلاء طلاق المشكوك فيه فيما حلف به، وجعلوا الفرقة البائنة طلاقاً محسوباً من الثلاث إلى أمور أخرى، ووسّعوا بها الطلاق الذي يحرّم الحال، وضيقوا النكاح الحال. ثم لما وسّعوا الطلاق صار هؤلاء يوسعون في عود المرأة إلى زوجها، وهؤلاء لا سبيل عندهم إلى ردها. فكان هؤلاء في آصار وأغلال. وهؤلاء في خداع واحتياط".

"ومن تأمل الكتاب والسنة وآثار الصحابة تبين له أن الله ألغى عن هذا، وأن الله بعث محمداً⁽¹⁾ بالحنفية السمحاء التي أمر فيها بالمعروف ونهى عن المنكر، وأحلَّ الطيبات وحرم الخبائث".

وقال أيضاً: ولكن بعض علمائنا لما ظنوا أن من الإيمان ما لا مخرج لصاحب منه، بل يلزمهم ما التزمه. فظنوا أن شرعنـا في هذا الموضع كشرع بـني إسرائـيل: احتاجوا إلى الاحتـيـاط في الأيمـان: إما في لـفـظ الـيمـينـ، وإما بـخـلـع الـيمـينـ، وإما بـدورـ الطـلاقـ، وإما بـجـعلـ النـكـاحـ فـاسـداـ فلا يـقـعـ فيـهـ الطـلاقـ.

وإن غـلـبـواـ عنـ هـذـاـ كـلـهـ دـخـلـواـ فيـ "ـالـتـحـلـيلـ"ـ وـذـلـكـ لـعدـمـ الـعـلـمـ بـمـاـ بـعـثـ اللـهـ بـهـ مـحـمـداـ⁽²⁾ـ فـيـ هـذـاـ المـوـضـعـ مـنـ الـحـنـيفـيـةـ السـمـحـاءـ، وـمـاـ وـضـعـ اللـهـ بـهـ الـآـصـارـ وـالـأـغـلـالـ.ـ كـمـ قـالـ تـعـالـيـ:ـ {ـوـرـحـمـتـيـ وـسـعـتـ كـلـ شـئـ عـفـسـأـكـبـهـ لـلـذـينـ يـتـقـنـونـ وـبـيـؤـثـونـ الزـكـاـةـ وـالـذـينـ هـمـ يـأـيـاتـنـاـ يـؤـمـنـونـ 156ـ الـذـينـ يـتـبـعـونـ الرـسـوـلـ الـنـبـيـ الـأـمـيـ الـذـيـ يـجـدـونـهـ مـكـنـوـبـاـ عـنـهـمـ فـيـ التـوـرـاـةـ وـالـإـنـجـيـلـ يـأـمـرـهـمـ بـالـمـعـرـوفـ وـيـنـهـاـهـمـ عـنـ الـمـنـكـرـ وـيـحـلـ لـهـمـ الـطـيـبـاتـ وـيـحـرـمـ عـلـيـهـمـ الـخـبـائـثـ وـيـضـعـ عـنـهـمـ إـصـرـهـمـ وـالـأـغـلـالـ الـتـيـ كـانـتـ عـلـيـهـمـ}ـ [ـالأـعـرـافـ]^[157]ـ ..ـ

وصار ما شرعه النبي لأمته هو الحق في نفس الأمر. وما أحدث غيره غايته: أن يكون بمنزلة شرع من قبله من شرعه، وإن كان الذين قالوه باجتهادهم لهم سعي مشكور وعمل مبرور. وهم مأجورون على ذلك مثابون عليه.

ولهذا أذاعوا ما دلّ عليه الكتاب والسنة على تلك الطريقة التي تتضمن من لزوم ما يبغضه الله ورسوله: من القطيعة والفرقة وتشتت الشمل، وتخريب الديار، وما يحبه الشيطان والسحرة من التفرق بين الزوجين، وما يظهر فيها من الفساد لكل عاقل.

ثم إنما أن يلتزموا هذا الشر العظيم، ويدخلوا في الأصال والأغلال. وإنما أن يدخلوا في منكرات أهل الاحتياط. فالطرق ثلاثة:

- إما الطريقة الشرعية المحسنة الموافقة لكتاب والسنة، وهي طريقة أفضضل السابقين الأولين، وتابعهم بإحسان.
- وإنما طريقة "الأصال والأغلال".
- وإنما طريقة "المكر والاحتياط".

- ومن صور التحايل (التجحيش) ويتم بقصد إرجاع المرأة التي طلقها زوجها إليه عن طريق زواج صوري شكلي يرضي أحد الوسطاء لنفسه أن يكون تيساً مستعاراً ويفتي بعض مشايخ السوء بجواز استعارته منهم الباجوري في حاشيته⁽¹⁾. قال رسول الله ﷺ "ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال "هو المحلُّ والمُحلَّ له"⁽²⁾ وهو رجوع إلى متعة الشيعة.

وكان الأولى بالحبشي وأتباعه أن يوسعوا على الخلق وأن لا يحرموا على الناس ما فعله النبي ﷺ مما اضطرهم إلى التجحيش الذي لا علاقة شرعية فيه بين المطلقة من الأول وبين التيس المستعار فإن الحيلة لا تجعل المحرم مباحاً ولا تقبل الحلال حراماً. وإنما هي علاقة زنا ورجوع إلى الزوج الأول غير مشروع وإنما هو زنا لأنها بانت منه، ولم تنكح زوجاً غيره في الحقيقة كما قال تعالى {فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} وإنما زنت بتيسٍ غيره.

⁽¹⁾ حاشية الباجوري على ابن قاسم 154/1 .

⁽²⁾ ابن ماجة (1936) والبيهقي 208/7 والحاكم 199/2 وصححه ووافقه الذهبي والحديث حسن بشواهد.

حول تطبيق الشريعة

إن هذا التحليل الذي وصف النبي ﷺ فاعله بالتيس المستعار صار وصمة عار في جبين الشريعة الإسلامية وموضع تهمك أعداء الدين.

ولهذا نسأل ماذا لو أتيح لنا تطبيق الشريعة الإسلامية التي يطالبون بها وعندها كم هائل من الحيل الشرعية والتلفيق بين المذاهب والتقليد الأعمى.

يبدو أننا نحن المطالبون بتطبيق قواعد أحكام الشريعة مطالبون بالمرؤنة وانفتاح العقل وعدم التعصب وشطب الحيل الشرعية من كتب الفقه، وإن فان حرمانتنا من تطبيق الشريعة خير لنا من التطبيق المشوه للشريعة أمام الآخرين، والذي لا يتطابق مع الإرادة الإلهية. بل ربما كان حرمانتنا منه عقوبة من الله على فساد فكرنا وروغانا.

إن هذا التحليل الشبيه بالمتعة كان السبب في دخول إيران في التشيع. حيث طلق الملك المغولي خدا بنده زوجته ثلاثة وهو غاضب، فأفتوه بأن يبحث له عن تيس مستعار، فاستتكف الملك عن ذلك، فدلله بعض الشيعة على ابن مظفر الحلي فأفتقاه بأن الطلاق الذي أوقعه باطل، فتشيع الملك. ولو أنه اهتدى إلى ابن تيمية لوجد لمسألته عنده حلاً نبوياً سنياً غير شيعي، ولوفر على ملايين البشر أن يدخلوا في المذهب الشيعي بعد أن خرّجت فارس قبل تشييعها آلاف العلماء الجهادنة:

قال الشاعر:

بما في الشرع ليس له وجوب
يضيق به الشرع الرحيب
من التعسir عندكم ضروب
لكم فيهن - لا لهم - الذنوب
ألا قل في الطلاق لموقعيه
غلوتם في ديانتكم غلوأ
أراد الله تيسيراً وأنتم
وقد حللت بأمانتكم كروب

هل يقع طلاق اليمين؟

ويتحقق بموضوع طلاق الثلاث فتوى لشيخ الإسلام بأن الحلف بطلاق يمين فيه كفارة اليمين، وهي أيضاً محل خلاف بين أهل العلم. فإن من أهل العلم من لا يوقع الطلاق بالحلف بالطلاق كطاووس وسفيان ابن عيينة شيخ الشافعى وداود وابن حزم.

وقال الشعراي في ميزانه "قال أبو حنيفة" لو قال لزوجته أنت على حرام؛ فإن نوى الطلاق بذلك كان طلاقاً، وإن نوى التحرير ولم ينور الطلاق أو لم يكن له نية: فهو يمين".⁽¹⁾

وحجتهم أن الحال بالطلاق إذا كان لا يقص به الطلاق وإنما قصد تعليقه بالحث أو المنع فإنه لا يقع، لقول النبي ﷺ "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" وأن مثل هذا يسمى يميناً في اللغة وفي عُرف الفقهاء، ولذا دخل في أيمان البيعة وفي عموم اليمين وفي عموم حديث "يمينك على ما يصدقك به صاحبك" وفي عموم حديث "إياكم والحلف في البيع".
وإذا كان يميناً: دخل في عموم قوله تعالى {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلِةً أَيْمَانُكُمْ} وقوله {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللُّغُوِّ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكُنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَدَّتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ} فتجب فيها الكفارة.

وكذلك قياس الطلاق المعلق لقصد الحث أو المنع بدليل قصة ليلي بنت العجماء التي حلفت أيماناً مغلظة لتطلاقن أبا رافع من زوجته، فأتى الرجل ابن عمر وحصة وغيرهما وسألهم عن ذلك، وكلهم أفتواها بأن تكفر عن يمينها وتخلّي بين الرجل وبين امرأته.

- فكيف يتافق الحبشي⁽²⁾ قول من زعم أنه لم يقل أحد قبل ابن تيمية بكافرة اليمين؟ أليس أبو حنيفة إماماً معتبراً عنده أم أنه يظن أن أحداً لن يفصح تمويهه على عامة الناس؟!

⁽¹⁾ النووي على مسلم (1474) الفقه على المذاهب الأربعة 4/338.

⁽²⁾ المقالات السنوية 74 - 75.

طلاق الحائض هل يقع؟

وأما قوله أن طلاق الحائض لا يقع وكذلك الطلاق في طهر جامع فيه فقد طلق ابن عمر زوجته وهي حائض، فسأل عمر النبي ﷺ عن ذلك فقال له "مُرْهٌ فليراجعها ثم ليتركها حتى تطهر ثم تحيسن ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس"⁽¹⁾.
- وقد بنى من قال بعد عدم اعتبار هذا الطلاق أنه بدعة وأن كل بدعة مردودة على صاحبها، ولذلك صح في الرواية أن النبي ﷺ لم يرها شيئاً. وفي الروايات اضطراب كثير وبسببه حدث الإشكال مع أن الألباني وبعد متابعة طويلة لمجموع تلك الروايات انتهى إلى ترجيح اعتقاد النبي ﷺ بطلقة واحدة لابن عمر⁽²⁾.

وهذه طريقة أهل السنة في الميل دائماً مع القول الصحيح المبني على الأدلة الصحيحة. لأن الانتصار دائماً للحمد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فابن تيمية حبيبنا وابن القيم حبيبنا لكن الحق أحب إلينا منهما. فقد تلقينا عنهما العلم بمنهج أهل السنة: ومما علمنا إياه: أننا ندور مع الكتاب والسنة حيثما دارا، ولا نديرهما حيث دار بنا علم الكلام وقوانين أرسطو.

- قوله أن الحائض يجوز لها الطواف بالبيت ولا كفارة عليها، فإن هذا قول أبي حنيفة لو كانوا يعلمون. كما قال المرشدي الحنفي في فتاويه: وعند أبي حنيفة رحمه الله أن الطواف لا يُشترط فيه طهارة. وقال الشعراوي في الميزان " - قال أبو حنيفة: إن الطواف لا يشترط فيه طهارة، فتطوف وتدخل مع الحاج وقد أفتى البازري والشيخ أحمد الطبيبي الشافعي بذلك في منظومته.
وأما الرواية الأخرى عن ابن عباس فقد قال شمس الحق العظيم أبادي "فتوى ابن عباس هذه تناقض فتواه الأولى. فلم يبق إلا الاعتماد على روايته"⁽³⁾. قال الحافظ وأجيب بأن الاعتراض برواية الراوي لا برأيه لما يطرق رأيه من احتمال النسيان"⁽⁴⁾.

هل يغار الحبشي على الدين؟!

((ما حكم هؤلاء عندكم أيها المقلدون))

تبدأ منشورات الأحباش ضد ابن تيمية بما يلي "فإنه عملاً بمبدأ النصيحة فإننا ننوجه إلى المسلمين ببيان المفسدين في الدين ... وعملاً بقوله تعالى {كُنُّتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرَجْتُ لِلأَسْرَى ثَمَرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}" وإذا كان الأمر كذلك فنسأل: لماذا لم يلتزموا هذا المبدأ في حق من حذر العلماء منه ومن كتبه كأبي حامد الغزالى الذي طعن فيه تلميذه أبو بكر ابن العربي وابن المنير وابن الصلاح وغيرهم؟!

لماذا يوجه الحبشي سهام القدح إلى ابن تيمية دون غيره؟ الغيرة منه على الدين؟ إن كانت الغيرة على الدين هي الدافع فلماذا يسكت عن مخالفات الآخرين لصرح الدين متلماً نراه في إحياء

(1) متفق عليه .

(2) إرواء الغليل 124/7 - 138 .

(3) عون المعبود 270/6 .

(4) فتح الباري 362/9 .

علوم الدين وغيره من كتب أهل الشطح؟ أم أن الخطة تقتضي تشويه الرموز السنوية التي تهتم بها الصحوة الإسلامية كابن تيمية وابن القيم؟ إنه التحيز والجور الذي يقول فيه الشاعر:

فرصاص من أحبيته ذهب كما ذهب الذي لم ترض عنه رصاص

ما حكم هؤلاء عند الغيارى على الشريعة؟!

فقد ذهب الحال الدواني إلى القول بآيمان فرعون. مستنداً في ذلك بسنة سلفه ابن عربى⁽¹⁾.

وكان الهيثمي يقول بأزلية نور النبي ﷺ وحکى عنه الحبشي هذا الاعتقاد⁽²⁾ غير أنه لم يزد على أن قال "وهذا التأويل مخالف للحديث الصحيح". ولم يلزم بالقول بقدم شيء مع الله.

مع أن الأحباش صرحوا بأنه "من الكفر قول من يقول: إن محمداً خلق من نور لأن ذلك تكذيب للقرآن لأن الله قال {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ}⁽³⁾. فهل يحكم الأحباش بـكفر الهيثمي؟

وكان أبو بكر ابن فورك يقول: كان رسول الله ﷺ رسولاً في حياته فقط، وأن روحه قد بطل وتلاشى وليس هو في الجنة عند الله تعالى مما دفع محمود ابن سبكين إلى قتله بالسم⁽¹⁾. ذكره أبو الوليد الباقي وابن حزم⁽²⁾.

ونقل ابن حزم عن الأشعرية أنهم قالوا: إن رسول الله ﷺ ليس هو اليوم رسول الله ولكنه كان رسول الله" وأوضح أن هذا القول منهم هو كفر صريح وتقليد لقول أبي الهذيل العلاف وقال في كتابه الدرة "وما قال بهذا القول أحد من ينتهي إلى الإسلام إلا أبو الهذيل العلاف المعتزلي وهي إحدى شنائع المخرجة له عن الإسلام ثم اتبعه على ذلك الطائفة المنتسبة إلى الأشعري"⁽³⁾.

وسبب هذه المقوله من ابن فورك الأصل الفاسد عند المذهب الأشعري أن العرض لا يبقى زمانين، وأن النبوة والرسالة صفة للحي وصفات الحي أعراض، وهذه الأعراض تبقى مشروطة بالحياة قائمة بها تزول بزوالها، فكيف يكون رسولاً نبياً بعد موته؟ فاللتزموا بعد انتقاء حياة النبي ﷺ انتقاء رسالته وزوالها، ثم رقعاً بدعتهم هذه ببدعة أخرى وهي أن الرسول ﷺ هي في قبره حياة "دنيوية" وبهذا لا زالت رسالته. قال ابن حزم " وإنما وقع فيه - أي هذا القول - من ضل لقول فاسد وهو أن الروح عرض لا يبقى وقتين"⁽⁴⁾.

وهاهو الخميني يقول في كتابه⁽⁵⁾ بأن للأئمة "مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسلاً". وقد نقل ابن حجر الهيثمي تكثير علماء الأمة لمن يقول "الأئمة أفضل من الأنبياء"⁽⁶⁾.

(1) وسبب ذلك اعتقادهم أنه لا فاعل على الحقيقة إلا الله حسب الكسب الأشعري، ولأن فرعون صرخ عند الصوفية بوحدة الوجود التي يسمونها (وحدة الشهود) و(الفناء عن السوى) فإن قول الصوفي أنا الله أنا الكبعة ما في الجبة إلا الله شبيه بقول فرعون أنا ربكم الأعلى وما علمت لكم من إله غيري.

(2) الدليل القويم 179 صريح البيان 54 ط: مجلدة 132 .

(3) منار الهدى 25/34 و 25/34 .

(1) النجوم الظاهرة 240/4 وفيات الأعيان 1/482 سير أعلام النبلاء 6/83 الفصل في الملل والنحل لابن حزم 1/88 طبقات السبكي 4/132 محققة. وقد دعا ابن حزم للسلطان بخير لقتله ابن فورك.

(2) سير أعلام النبلاء وأقوه 17/216 .

(3) الفصل في الملل والنحل لابن حزم 1/88 و 76 والدرة فيما يجب .

(4) الدرة فيما يجب اعتقاده 204 .

(5) الحكومة الإسلامية 52 .

السکوت عن انحرافات القشيري

وهذا هو القشيري (عبد الكريم بن هوازن) صاحب الرسالة القشيرية⁽¹⁾ يروي مقوله خبيثة عن الدقاق وفيها: أن الله يكتن المزابل بأرواح الصوفية⁽²⁾ فهل يكتن الله المزابل يا أشاعرة!! وهو من أهل الغلو فقد أفرط في الثناء على الجويني حتى قال "لو ادعى إمام الحرمين اليوم النبوة لاستغنى بكلامه عن إظهار المعجزة"⁽³⁾. ولا تنس أخي أن المذهب الأشعري يشترط على النبي المعجزة وحدها كشرط لصحة نبوته. لكن الجويني غني - من بين الأنبياء - عن هذا الشرط! ويروي القشيري أن حقيقة مقام الرضا بالله: أن لا تسأل الله الجنة ولا تستعذ به من النار⁽⁴⁾. - وينقل عن الشبلي أنه سئل: ألا تعلم أن الله رحمن؟ قال: بلى ولكن منذ عرفت أن الله رحمن ما سأله أن يرحمني⁽⁵⁾ وعن أبي يعقوب السوسي أن حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه إليه⁽⁶⁾. وعرف الصوفي بأنه: الذي لا يكون له إلى الله حاجة"⁽⁷⁾. ونقل عن مشاد الدينوري قوله "منذ ثلاثين سنة ثُرِّضَ عَلَىَ الْجَنَّةِ فَمَا أَعْرَثَهَا طرفي"⁽⁸⁾. وعن أبي حفص قوله "منذ عرفت الله تعالى ما دخل قلبي حق ولا باطل"⁽⁹⁾. وسئل الجنيد عن المحبة⁽¹⁰⁾ فقال "دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب"⁽¹¹⁾.

وذكر القشيري أن حقيقة المحبة توجب انتقاء المباهنة فإن المحب أبداً مع محبوبه⁽¹⁾ وذكر قصة خبيثة استند بها الغزالى على تفضيل التواشيح والأغانى الصوفية على تلاوة القرآن⁽²⁾ وعن الحلاج "من عرف حقيقة التوحيد سقط عنه لم وكيف"⁽³⁾. قلت: ومن مثل هذا النص أخذ الصوفية القول بسقوط التكاليف عن الأولياء.

فهاهو القشيري يتحجج بحكم الحلاج وهو من أعظم زنادقة هذه الأمة الذي يدعي أنه لم يعرف الله حقيقة إلا اثنان: إبليس وفرعون.

(1) وقد نقد ابن الجوزي رسالة القشيري ووصفها بأنها تخليط ليس بشيء (تلبيس إبليس ص 165).

(2) الرسالة القشيرية 128.

(3) طبقات السبكى 174/5 محققة.

(4) الرسالة القشيرية 90.

(5) الرسالة القشيرية 100.

(6) الرسالة القشيرية 145.

(7) الرسالة القشيرية 125.

(8) الرسالة القشيرية 139.

(9) الرسالة القشيرية 141.

(10) قال ابن الجوزي وكم من مرة أخذ الجنيد مع علمه وشهدوا عليه بالكفر والزندة هو وطائفه كأبي سعيد الخراز وأحمد بن عطاء ... وكان الجنيد يتستر بالفقه على مذهب أبي ثور (تلبس إبليس 170 و 173).

(11) الرسالة القشيرية 145.

(1) الرسالة القشيرية 148.

(2) الرسالة القشيرية 156.

(3) الرسالة القشيرية 6.

والقشيري أحد الصوفية الذين يتحجّب الحبشي بكلامه ويعظمه، فلماذا لا يحدّر من انحرافاته؟ لأنّه أشعري مثله مبالغ في التّعصب للأشاعرة حتّى تسبّب في فتنّة عظيمة كما حكاه الذهبي في السير (19/425) وتسبّب تعصّبه في فتنّة عظيمة أدت إلى إخراجه من بلده إلى بغداد⁽⁴⁾.

السّكوت عن انحرافات الهيثمي

وهابه ابن حجر المكي يزعم في شرح الأربعين النّووية أنّ أوليّة النور المحمدي أوليّة مطلقة، وأنّ أوليّة ما سواه من الماء والعقل والقلم: أوليّة نسبية، اعترف الحبشي بذلك، واعتذر عنه بتأويلات متعسفة قائلاً "وما حدث كنت أول النبيين في الخلق وأخرهم في البعث". ولو صحّ فكان معناه أن روحه **أول روح أرواح البشر**⁽⁵⁾.

وعلوّم أن ابن حجر المكي قد استقى هذه اللوثة العقائدية من الصوفية الذين يسمونها (الحقيقة المحمدية). ولذلك نجد هذه اللوثة عند الصيادي في كتاب قلادة الجواهر، ذاك الكتاب الذي كان مرجعاً مهمّاً عند الحبشي لدى كتابة رسالته (المقالات السنّية)⁽⁶⁾.

⁽⁴⁾ سير الأعلام 18/231 و 19/425 البداية والنهاية 12/107 طبقات السبكي 5/153 وطبقات الحنابلة 19/3 .

⁽⁵⁾ الدليل القويم 179 - 180 .

⁽⁶⁾ ص 83 .

السکوت عن انحرافات الصيادي

وقد ورد في كتابه (قلادة الجواهر 80) كفر خطير فزعم أن إبراهيم الأعزب (خال أحمد الرفاعي) قال "ناداني العزيز سبحانه وقال لي: إنني أريد أن أخسف الأرض وأرمي السماء على الأرض. فقلت له: إلهي: من يعارضك في ملكك وإرادتك؟ فقال الله: سيدتي إبراهيم. فأخذت إبراهيم الرعدة ووقع على الأرض".

وزعم أن الرفاعي قال بأن الولي لا يعمل عملاً إلا عن إذن سماوي وأن كل شيخ لا يكتب الشقى سعيداً فليس برجل (قلادة 190-191).

وصرح الصيادي بأذلة نور النبي ﷺ فقال في قلادته:

"اللهم صلّ على نورك الأسبق الذي أبرزته رحمة شاملة لوجودك: نقطة مركز الباء الدائرة الأولية الذي فاقت به رتق الوجود وخصصته بالمقام المحمود وأقسمت بحياته: فهو سرّك القديم الساري وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحبيتَ به الموجودات من معدنٍ وحيوانٍ ونباتٍ"⁽¹⁾.
ويقول بأن الذكر: حفظ القلب من الوسواس... وإدراك الوحدة بالكثرة⁽²⁾.

ويقول "إن النبي ﷺ هو العلة الغائية لخلق الخلق ومعرفة الحق" وإن مجرد تسمية الرجل ولده (محمدًا) يكفي لدخول الجنة⁽³⁾، وأن الله ينادي يوم القيمة: كل من اسمه محمد فليدخل الجنة وزاد شيخه أحمد الرفاعي على ذلك فقال "كان هو مولوده في الجنة"⁽⁴⁾.

ويزعم أن شيخه الرفاعي يحيي ويميت⁽⁵⁾ ويحми أتباعه إلى يوم القيمة ويدخلهم الجنة أمامه⁽⁶⁾ ويطلع على المقدور والمكتوب فيغير الشقى سعيداً⁽⁷⁾ ويشتري لأتباعه أراضي وقصوراً في الجنة على غرار صكوك الغفران عند النصارى⁽¹⁾ وأن السموات والأرض صارتَا في رجله كالخلال⁽²⁾.

فلماذا تتكتمون أيها المنحرفون عن هذه الشواد التي هي أقرب إلى النصرانية والبوذية منها إلى الإسلام، كم أضحت بالأمس صكوك النصارى على كنيستهم. وكم نأسى على ذيوع مثلها بين المسلمين. باسم الكرامة التي أساء هؤلاء فهمها وتفهيمها.

(1) قلادة الجواهر 249 .

(2) قلادة الجواهر 232 .

(3) عن كتابه ضوء الشمس 1: 104 .

(4) كتاب حالة أهل الحقيقة مع الله 140 .

(5) قلادة الجواهر 73 و 145 وطبقات الأولياء لابن الملقن 99 .

(6) قلادة الجواهر 233 .

(7) قلادة الجواهر 103 و 193 وطبقات الأولياء لابن الملقن 98 .

(1) قلادة الجواهر 70 روض الرياحين للإيافعي 440 جامع كرامات الأولياء 296/1 والكواكب الدرية 214 للإيافعي .

(2) طبقات العراني 142/1 الفجر المنير 19 .

سکوته عن انحرافات السهوردي

وهاهو السهوردي في عوارف المعرف يتحج بكلام الحلاج⁽³⁾ ويدعو إلى التخلق بأخلاق الله⁽⁴⁾ ويزعم أن الصوفي لا يزال يترقى حتى يطلب رؤية ربه فيقول "لا أعبد رباً لم أره"⁽⁵⁾ أي ليكون كمن قالوا {أرنا الله جهراً}. ولا يكون الصوفي صوفياً حقاً (فقيراً) حتى لا يكون له إلى الله حاجة⁽⁶⁾ وأن من علامات الركون إلى الدنيا: الزواج وكتابة الحديث (حديث رسول الله ﷺ) وطلب المعاش⁽⁷⁾ وأن خير حال المرء أن يبقى عزباً بلا زوجة وأن الزواج انحطاط وانغماس في الدنيا وخروج من الزهد. وأن من تعود أخذ النساء لا يفلح"⁽⁸⁾.

ويقول عبد السلام بن مسيش الشاذلي "اللهم انشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، واستحسنها الزبيدي، واستحسن قول أبي يزيد البسطامي "انسلخت نفسي عن نفسي كما تنسلخ الحياة عن جلدها نظرت فإذا أنا هو" أي فإذا أنا الله⁽⁹⁾.

(3) عوارف المعرف 48/5.

(4) عوارف المعرف ملحق بالإحياء 73/5.

(5) عوارف 75/5.

(6) عوارف المعرف 103 والرسالة القشيرية 125.

(7) عوارف المعرف 104/5.

(8) عوارف المعرف 104/5 105.

(9) النحفة العلية في أوراد الشاذلية 16 إتحاف السادة المنقين 6/537 وانظر 3/145.

سکوته عن انحرافات الغزالی

قوله "ليس في الإمكان أفضل مما كان"

واسألووا الحبشي عن موقفه من قول أبي حامد الغزالى "ليس في الإمكان أفضل مما كان" أي ليس في إمكان الله خلق العالم بأفضل مما هو عليه الآن، هذه الكلمة التي كانت أحد أسباب حملة العلماء عليه كالطروشى والمازري وأبى بكر ابن العربي، وابن الجوزي وابن الصلاح. حتى قال الطروشى فيه "ولقد كاد ينسلاخ من الدين... فسقط على أم رأسه"⁽¹⁾. وقال ابن حزم "ومن قال إنه ليس عند الله أصلح مما عمل بنا... فهو كافر"⁽²⁾.

وقد كتب الغزالى كتاب "الإملاء عن إشكالات الإحياء" أصرّ فيه على عدم بطلان هذه العبارة التي قالها في كتابه "إحياء علوم الدين" واتهم فيه المعترضين عليها بأنهم محظوظون عن الفهم والعلم⁽³⁾. واعترف البيجورى بصحة نسبة هذه العبارة إلى الغزالى وأنه شنع عليه جماعة من العلماء بأن فيه نسبة العجز إلى الله⁽⁴⁾. واستعرض الزبيدي أقوال المشنعين على الغزالى لهذا القول منهم تلميذه أبو بكر ابن العربي، وقال القرطبي "قال شيخنا أبو حامد قوله قولاً عظيماً انتقده عليه أهل العراق وهو شهادة لله موضع انتقاد. ومنهم أبو عبد الله المازري وأبو الوليد الطروشى وابن المنير الذي كتب كتاباً بعنوان الضياء المتلali في تعقب الإحياء للغزالى قال فيه "المسألة المذكورة لا تتمشى إلا على قواعد الفلسفه والمعتزلة". وابن الصلاح ويوسف الدمشقي. وبدر الدين الزركشي الذي قال في تذكرته "هذه من الكلمات العقى التي لا ينبغي إطلاق مثلها في حق الصانع". ومنهم إبراهيم البقاعي تلميذ الحافظ ابن حجر الذي صنف ثلاث رسائل في الرد على الغزالى أولها: المقصد العالى. والثانى: تهريم الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان. والثالثة: دلالة البرهان على أن في الإمكان أبدع مما كان. ثم ذكر أقوال المتنصرين لقوله المتعصبى له⁽⁵⁾.

وقد صرخ الغزالى بأن أولياء الصوفية لا يريدون الجنة ولا يأتون لها وإنما يريدون مجالسة الله وإنما الجنة مأوى من لا شغل لهم إلا شهوة البطن والفرج. وهذا القول هو كفر، ونقل ابن حجر الهميتي قوله أهل العلم بتكفار من قال: إن أعطاني الله الجنة لا أريد لها"⁽⁶⁾.

(1) انظر طبقات السبكي 423/6 و 253 محققة.

(2) الدرة فيما يجب اعتقاده 311.

(3) الإملاء على هامس الإحياء 13/5.

(4) تحفة المرید شرح جوهرة التوحید 40.

(5) إتحاف السادة المتقيين 9/442 - 460.

(6) الإعلام بقواعد الإسلام 67.

علامات تحيز السبكي وتعصبه

وكتب السبكي كتاب "الإيضاح والبيان عن معنى ليس في الإمكان"⁽¹⁾ دافع فيه بعصبية عن هذه العبارة الطاونة في قدرة الله عز وجل. وذلك على النحو المعهود عنه في عصبيته. يدافع عما ظاهره كفر، ملتمساً له أ عجب المعاذير، بينما يلفق لخصومه شتى الاتهامات الكاذبة.

طعن الغزالى في النبوة

اختبار آخر لدعوة الغيرة على الدين

قال الحبشي "من ادعى أن النبوة مكتسبة أو أنه يبلغ بصفاء القلب إلى مرتبتها أو ادعى أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة: فهو كافر بالإجماع"⁽²⁾ وقد نقل هذه العبارة عن سبقه وهو يعلم موقف الغزالى من النبوة لكنه يسكت عليه.

وقد اقتدى الغزالى بالفلاسفة في تقسيم خصائص النبوة إلى ثلاثة: قوة التخييل وقوة العقل وقوة النفس. وهذا نفسه هو كلام الفلاسفة الذين يقولون أن النبوة مكتسبة⁽³⁾. وبالتحديد ابن سينا. ولهذا اشتد نكير العلماء عليه.

قال الغزالى: إن في الأولياء من يكاد يُشرق نوره حتى يكاد يستغنى عن مدد الأنبياء⁽⁴⁾.

قال "وراء العقل طور آخر تفتح فيه عين أخرى يُبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل. وقد أبى بعض العقلاة مُدرِّكَات النبوة واستبعداها وهذا عين الجهل.. وقد أعطى الله خلقه أنموذجاً من خاصية النبوة.. فالنبوة عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور، يحصل لها نور يظهر في نورها الغيب"⁽⁵⁾.

بل قد تتمثل للأنبياء والأولياء في اليقظة والصحة صورة جميلة محاكية لجوهر الملائكة وينتهي الوحي والإلهام فيتلقون من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم⁽⁶⁾. فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتاب والكتب بل بالزهد في الدنيا⁽¹⁾ وهذه الرحمة ليست موقوفة على الأنبياء وحدهم وإنما هي ممنوعة لكل من يستعد لتزكية النفس وتطهيرها⁽²⁾.

- ومن هنا أعلنها الغزالى دعوة عامة إلى الجميع لانتظار سماع الوحي الذي حصل لموسى بقوله "واطوا الطريق: فإنك بالواحد المقدس طوى، واستمع بسر قلبك لما يوحى، فلعلك تجد على النار هدى، ولعلك من سُرّادات العرش تُنادي بما نودي به موسى {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ}⁽³⁾.

(1) مخطوط بمكتبة شيستربي بإيرلندا.

(2) الدليل القيوم 148 الإسلام بقواطع الإسلام 74.

(3) 135 - 137 ط: دار الإفاق الجديدة بيروت.

(4) مشكاة الأنوار (40) مجموعة القصور العوالى.

(5) المنفذ من الضلال 45-35.

(6) فيصل التفرق بين الإسلام والزنقة 130.

(1) الإحياء 18/3.

(2) ميزان العمل 22.

(3) الإحياء 251/4.

قال "وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليُفْرَأ رأسه في جيبه أو يتذرّب بكساء أو إزار، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق، ويشاهد جلال الحضرة البروبية⁽⁴⁾".

ويروي الغزالى (ضمن حكايات المحبين لله وأقوالهم وأحوالهم) عن أبي تراب النخشبى الصوفى قوله لـلتميمى "وإليك! أتغتر بالله! والله لو رأيت أبا يزيد البسطامى مرة واحدة كان أفعى لك أن ترى الله سبعين مرة" ويروى عن البسطامى قوله "قولك: سبحان الله: شرك"⁽⁵⁾ علق ابن الجوزى على هذا الكلام بقوله "وهذا فوق الجنون بدرجات" (تلبيس إيليس 354).

ويشتبه الغزالى أفعال المخلوقات بالذى يظن الناظر إليها أنها تتحرك من تلقاء نفسها⁽⁶⁾ وإنما تحرّكها خيوط عنكبوتية ممتدّة من السماء حجب العوام عن رؤيتها ورأها الخواص من أهل الكشف!⁽⁷⁾

ولهذا تكرر قوله كثيراً بأنه (ليس في الوجود إلا الله وأفعاله)⁽⁷⁾. وذكر الزبيدي أن من المصرحين بأنه ليس في الوجود إلا الله إنما هو ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية⁽⁸⁾.

ولقد قال الأحسان "انظروا إلى تفسير سيد قطب لسوره الإخلاص بأن الوجود الحقيقي إنما هو الله فقط" ثم قالوا: أليس هذا قولًا بوحدة الوجود التي اتفق علماء المسلمين على كفر قائلها" غير أنها لتحيزهم لا يتحدثون عن هذه الكلمات التي كان الزبيدي يقرّها ويشرحها ويقرّ بعقيدة وحدة الوجود وأنه ليس في الوجود على الحقيقة إلا الله وأفعاله" (219/10)؟!

سكته عن انحرافات النابلسي

وها هو عبد الغنى النابلسي أحد أبرز المدافعين عن عقيدة وحدة الوجود وهو رجل تجتمع

فيه متناقضات عجيبة. وكتب في عقيدة وحدة الوجود مؤلفات عديدة منها:

- إيضاح المقصود من وحدة الوجود.
- الظل الممدود في معنى وحدة الوجود.
- حلّ رموز الدائرة الكبرى.
- اللؤلؤ المكنون في الإخبار عما سيكون⁽¹⁾ وفيه يشرح الوسائل التي يمكن بها كل واحد معرفة الأمور المستقبلية وأمور الغيب ذكر نمها الاطلاع على حركات الأفلak. ويتحدث عن مزايا كتاب الجفر الشيعي.
- كشف السر الغامض في شرح ديوان ابن الفارض وابن الفارض صحب الثانية الشعرية المشهورة التي يغازل فيها رب العالمين ويختابه بضمير الأنثى.

سكته عن انحرافات السر هندي

وهذا السر هندي النقشبendi يثبت لنفسه مقاماً فوق مقام أبي بكر الصديق ويدعى العروج إلى السموات العلا بل فوق العرش متى أراد⁽²⁾. بل حكم على نفسه بأنه وصل إلى مقام عظيم فوق

(4) الإحياء 3/76.

(5) الإحياء 4/356 و358.

(6) الإحياء 4/97.

(7) الإحياء 1/330 و4: 5 و86: 30 جواهر القرآن 11 مشكاة الأنوار 18.

(8) إتحاف السادة المتقيين 9/560.

(1) ألفه عام 1110 رقم 7504 تصوّف بالظاهرية بدمشق.

مقامات الخلفاء الثلاثة الآخرين وهناك وجد شيخه خواجه بهاء الدين نقشبند. ولما جاءته رسالة فيها اعتراض على كلامه هذا أجاب بأن هذا الكلام صحيح ولا غبار عليه وليس موهماً لتقضيل نفسه على أبي بكر⁽³⁾.

وأخذ يبرر أقوال ابن عربي "إن الله ليس بعالم للغيب" وقول الحلاج "أنا الحق، سبحانه ما أعظم شأنى هل في الدارين غيري" ويبيرر قول أبي يزيد البسطامي "لؤانى أرفع من لواء محمد" والتمس له الأعذار واعتبر ذلك ن الأحوال التي يعذر فيها لغلبة سكره⁽⁴⁾.

بل زعم أن آباء ذكر أن بعض سالكي طريق النقشبندية يجد نفسه في مقامات العروج في مقامات الأنبياء أنه عرج به إلى ما فوق مقاماتهم⁽⁵⁾.

ونذكر السرهندي قوله "لا مجال لأحد في تبديل القضاء المبرم الآلي، فإني أتصرف فيه أيضاً إن أردت ذلك"⁽¹⁾. وأخذ يلتمس له التأويلات.

والسرهندي يعتبر روح الإنسان صورة شبيهة عن الله. محتاجاً بحديث "إن الله خلق آدم على صورته" حتى نقل عنه الكوثري أن الكمال في التوحيد الوجودي ظهور أن العبد والرب رب⁽²⁾.

فهذا الكفر الصريح تتسع له الصدور وتلتمس له الأعذار، أما ما هو دون ذلك من الكلام فإن الأعذار تلتمس لتکفير قائله !!!

(2) المكتوبات 176 وانظر 17 و 200 .

(3) مكتوبات الإمام الرباني 17 وانظر حول الاعتراض 163 .

(4) مكتوبات السرهندي 33 و 101 و 106 و 114 .

(5) مكتوبات الإمام الرباني 176 .

(1) مكتوبات الإمام الرباني 189 .

(2) المكتوبات 373 و 326 وانظر إرغام المرید للكوثري 71 .

هل تحكمون بـكفر الرفاعي

لقوله إن الصوفي يؤتى كلمة (كن) فيكون؟

ذكر الصيادي أن الشيخ أحمد الرفاعي قال "وإذا صرّف الله تعالى الوليَّ في الكون المطلق: صار أمره بأمر الله تعالى: إذا قال للشيء كن فيكون⁽¹⁾، وأنه جاء في بعض الكتب الإلهية أن الله تعالى قال: يا بني آدم أطيعوني أطعكم، وراقبوني أراقبكم، وأجعلكم تقولون للشيء: كن فيكون⁽²⁾. وقال علي بن محمد الدينوري "تركت قولي للشيء كن فيكون: تأدباً مع الله"⁽³⁾.

وقد نص القرافي أن هذا القول من الصوفية كفرٌ صريح، فنقل ابن حجر الهيثمي عن القرافي أنه قال "وقد وقع هذا لجماعة من الصوفية يقولون: فلان أعطي كلمة (كن). قال "وهذا كفر". فبماذا تحكمون على الرفاعي والصيادي الذي جعلها من مناقبه وكراماته! وزعم النبهاني أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لعمر النبئي "أعط طافتي هذه للشيخ عبد الوهاب الشعراي قل له يتصرف في الكون⁽⁴⁾.

سكته عن انحرافات ابن عربي
وهاهو يسكت عن محيي الدين بن عربي الذي يقول بوحدة الوجود وقدم العالم والذي قلب
معنى العذاب في النار إلى معنى العذوبة والراحة حتى قال⁽⁵⁾:
على لذة فيها نعيم مباين
وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم
يُسمى عذاباً من عذوبة طعمه
قال له شيخ الإسلام ابن تيمية "أذاقكم الله هذه العذوبة".

(1) قلادة الجوادر 73 و 145 المعارف المحمدية 47. وانظر البرهان المؤيد 94 تحقيق الحبشي نفسه وذكرها النبهاني عن ابن عربي 32/1.

(2) قلادة الجوادر 147 طبقات الشعراي 142/1.

(3) جامع كرامات الأولياء 158/2.

(4) جامع كرامات الأولياء 135/2.

(5) فصوص الحكم 94.

مواقف الآخرين من ابن عربي

- قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الحلاج مانصه "ولا أرى أحداً يتعصب للحلاج إلا أهل الوحدة المطلقة، ولهذا ترى ابن عربي يعظمه ويقع في الجنيد"⁽¹⁾.

فماذا يقول الحبشي في قول الحافظ وقد أمرنا أن نقبل على وجه التسليم كل ما ينص عليه الحافظ، وهو أولى بالجرح والتعديل من الشعراي فهل يقبل جرحه لابن عربي؟!

- وقال أبو حيّان النحوي بـالحادي لأنه يقول بـوحدة الـوجود⁽²⁾.

- وذكر الذهبي بأنه "قدوة العالمين في القول بـوحدة الـوجود"⁽³⁾.

- وقال شمس الدين ابن الجوزي الشافعي بـكفره. وأنشد يقول⁽⁴⁾:

دعا ابن العريبي الأئمَّا ليقتدوا
بأعورَة الدجال في بعض كتبه
وفرعونَ أسماءَ لكُل محقق
إماماً لا تَبَأْلِه ولحزبه

- وحكم تقي الدين السبكي بـكفره. حكاه الشيخ ملا علي قاري⁽⁵⁾.

- وحكم القاضي زين الدين الكتاني بـكفره⁽⁶⁾.

- والشيخ نور الدين البكري بـكفره⁽⁷⁾.

- والشيخ ابن خلدون في مقدمته⁽⁸⁾.

- وقد صنف الشيخ برهان الدين البقاعي كتاب "تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي".

- ونص ابن الملقن في طبقاته أن العز بن عبد السلام (أحد معاصريه) كان يحط عليه، وسأله ابن دقيق العيد عنه فقال "هو شيخ سوءٍ كاذب، يقول بـقدم العالم ولا يحرّم فرجاً"⁽⁹⁾.

(1)

لسان الميزان 2/384 ترجمة الحلاج رقم (647/2808).

(2) تفسير البحر المحيط 449/3.

(3) العبر في خبر من غير 3/333 ميزان الاعتلال 108/3.

(4) العقد الثمين للفاسي 173-174 وذكر العلامة القاري في الرد على القائلين بـوحدة الـوجود 138 وانظر صفحة رقم 130.

(5) العقد الثمين 187/2-188 الرد على القائلين بـوحدة الـوجود 135.

(6) العقد الثمين للفاسي 2/174-175.

(7) العقد الثمين 2/175-175.

(8) مقدمة ابن خلدون 323 و 472 العقد الأمين 2/178.

(9) سير الأعلام 48/23-49 طبقات ابن الملقن (153) ص 469 ميزان الاعتلال للذهبى 3/659 الرد على القائلين بـوحدة الـوجود 34.

ابن طولون حجة عليكم

- وذكر ابن طولون الحنفي أن غالب فقهاء العرب وجميع المحدثين بلغوا نحواً من خمسمائة إلى تكفيره. ذكر منهم: علامة زمانه تقى الدين ابن تيمية وكمال الدين الأدفونى وأبو زرعة والعيني وحافظ العصر شهاب الدين ابن حجر وابن الصلاح وابن دقيق العيد وبدر الدين بن جماعة وشيخ الإسلام تقى الدين السبكي⁽¹⁾.

- وشئع عليه السعد التفتازاني في كتاب "فاضحة الملحدين"⁽²⁾. ولعله بعنوان آخر "الرد والشنیع على كتاب الفصوص" الذي قال عنه الذهبي "فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر"⁽³⁾.

فهؤلاء يضرب صحفاً عن ذكرهم، ويدافع عنهم ويعلم أتباعه بأنهم من خُلص أولياء الله. أما الألباني وابن تيمية فهم من أكفر خلق الله عنده!!

⁽¹⁾

القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية 2/538 - 539.

⁽²⁾

مخطوطة محفوظة بمكتبة برلين 2891 حسب بروكلمان 2/35.

⁽³⁾

سير أعلام النبلاء 23 / 48.

سکوته عن انحرافات النبهاني

وقد ذكر النبهاني جملة من "أصحاب الكرامات" منهم:

- (إبراهيم الملقب بـ (جيحانة): من كراماته أن امرأة أتته وسألته الدعاء وأمرت يدها على أطماره الرثة ثم أمرتها على وجهها، وهناك فقيهان روميان فقال أحدهما: يا حرمة تنجزت يدك بما مررت عليه. فنظر الشيخ إليه مغضباً ثم جلس وغاط ثم نهض فتقدم الفقيه المنكر وجعل يلعق غائطه ورفيقه متمسك بأثوابه ويضممه ويقول: ويلك هذا غائط الشيخ! إلى أن لعق الجميع ببعض التراب، فلما نهض جعل يعتبه فقال: والله ما لعقت إلا عسلاً⁽¹⁾.

- (إبراهيم العريان) كان يخطب الجمعة بالناس وهو عريان ... فيحصل للناس بسط عظيم⁽²⁾.

- (عبد الكريم الممشقي) سأله: هل تستطيع أن تشرب كل ما في هذه البركة؟ فقال: إملأوها. فأخذ حال عجيب ووضع فمه في البركة فصار يشرب والماء يخرج من إحليله (ذكريه) ولم يزل كذلك يدخل الماء من فمه ويخرجه من إحليله إلى أن فرغت البركة. قال النبهاني: وهي من أعظم كرماته⁽³⁾.

- (عبد الله الذي كان يطحن الحشيش) من كراماته أنه كان كل من أخذ من حشيشه (رضي الله عنه) وأكل منه يتوب لوقته ولا يعود لها أبداً⁽⁴⁾.

- (عبد الوهاب الشعراي) من كراماته أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لعمر النبئي "أعط طاقتي هذه للشيخ عبد الوهاب الشعراي وقل له يتصرف في الكون"⁽⁵⁾.

- (علي بن محمد الدينوري) قال "ترك قولي للشيء كن فيكون: تأدباً مع الله"⁽⁶⁾.

- (علي العمري) من كراماته ما رواه الحاج إبراهيم، قال: دخلت الحمام مع شيخنا الشيخ علي العمري ومعنا خادمه محمد الدبوسي ولم يكن في الحمام غيرنا. قال: فرأيت من الشيخ كرامة من أعجب خوارق العادات وأغربها وهي أنه أظهر الغضب على خادمه وأراد أن يؤدبه فأخذ إحليله (أي ذكريه) بيديه الاثنين من تحت إزاره بحيث طال طولاً عجبياً بحيث أنه رفعه على كتفه وهو زائد عنه وصار يجلد به خادمه، والخادم يتلوى من شدة الألم فعل ذلك مرات ثم تركه وعاد إحليله إلى ما كان عليه. قال الحاج إبراهيم: ففهمت أن الخادم عمل عملاً يستحق التأديب فأدبته الشيخ بهذه الصورة العجيبة.

قال النبهاني: ولما حكى لي ذلك الحاج إبراهيم حكاية بحضور الشيخ الذي كان واقفاً فقال لي الشيخ لا تصدقه، وأخذ يدي بالجبر عنى ووضعها على موضع إحليله فلم أحس بشيء مطلقاً حتى كأنه ليس برجل أبداً، فرحمه الله ورضي عنه ما أكثر عجائبه وكراماته"⁽¹⁾.

(1) جامع كرامات الأولياء 1/240.
(2) جامع كرامات الأولياء 1/246.
(3) جامع كرامات الأولياء 2/102.
(4) جامع كرامات الأولياء 2/125.
(5) جامع كرامات الأولياء 2/135.
(6) جامع كرامات الأولياء 2/158.
(1) جامع كرامات الأولياء 2/208.

- ومن كراماته أنه كان في بلد الشيخ علي رجل قليل الحباء معجباً بإحليله فكان يمازح الشيخ إذا رأه ويضع يده على إحليل نفسه ويقول له هل عندك مثل هذا؟ فضربه الشيخ بيده وقال له إذهب فذهب كأنه امرأة لم يتحرك له شيء⁽²⁾ باهـ. (يا لمصيبة هذه الأمة).

- (عيسى بن نجم البرلسي) مكتوب سبع عشرة سنة بوضوء واحد.

- (ولي الله الديوث) حكى الشيخ نور الدين الشوني أن شخصاً كان مكارياً يحمل النساء من بنات الخطأ وكان الناس يسبونه ويشفونه بالتعريض وكان من أولياء الله تعالى لا يركب امرأة من بنات الخطأ وتعود إلى الزنا أبداً⁽³⁾.

كيف صدقت عقولكم التي قدمتموها على النقل: هذه الخرافات والمهزلة التي لا تزيد النصارى إذا قرأوها إلا ثباتاً على النصرانية ونفوراً من الإسلام؟

⁽²⁾ جامع كرامات الأولياء 2/214.

⁽³⁾ جامع كرامات الأولياء 2/228.

نماذج من كلام ابن تيمية

و هذه نبذة من كلام ابن تيمية ليعرف المنصف موقفه من أسماء الله و صفاته و منهجه في

الدين بإيجاز: يقول:

تمسكه بهدي السلف

"ما قاله الله و رسوله ﷺ والسابقون الأولون وما قاله أئمة الهدى هو الواجب على جميع الخلق

في هذا الباب (باب الأسماء وغيره) فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، و شهد له بأنه بعثه داعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيراً، فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخبر الله تعالى بأنه أكمل له وألمته في دينهم، أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله و العلم به ملتبساً مشتبهاً، ولم يميز ما يجب لله من الأسماء الحسنى، والصفات العلا، وما يجوز عليه أو يمتنع.

فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهدایة، وأفضل ما اكتسبته القلوب و حصلت له النفوس وأدركته العقول، وقال فيما صح عنه "ما بعث الله نبياً إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم".⁽¹⁾

فكيف يتوهם من في قلبه أدنى مسكة من إيمان و حكمة أن لا يكون بيان هذا الباب (الأسماء والصفات) قد وقع من الرسول على غاية التمام؟ ومن المحال أن خير أمته وأفضل القرون قصراً في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين منه.

ولم يقل أحد منهم إن الله ليس على العرش، ولا إنه في كل مكان ولا إنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلأ به ولا منفصلأ عنه ولا إنه لا تجوز الإشارة إليه.

فإنْ كان الحق فيما ي قوله هؤلاء النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة، من هذه العبارات ونحوها دونما فهم من الكتاب والسنة إما نصاً وإما ظاهراً فكيف يجوز على الله و رسوله، ثم على خير الأمة: أنهم يتكلمون دائماً بما هو نصٌّ أو ظاهرٌ في خلاف الحق! ثم الحق الذي يجب اعتماده لا يبوحون به قط، ولا يدللون عليه، حتى جاء المتوجلون في علوم الفلسفه، فبيّنوا للأمة العقيدة الصحيحة، ودفعوا بمقتضى علومهم ما دلّ عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً!

فإنْ كان الحق في قولهم: فقد كان ترك الناس بلا كتابٍ ولا سنةٍ أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير.

⁽¹⁾ رواه مسلم (1844).

تأدب العقل

فإن حقيقة ما يقوله هؤلاء: أنكم يا معاشر العباد لا تطلبوا معرفة الله وما يستحقه من الصفات، لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة، ولكن انظروا أنتم: فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات في عقولكم فصيغوه به، سواءً كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن.

وكان الله قال لهم: ما نفاه قياس عقولكم مما اختلفتم فيه فانقوه، وإليه (أي العقل) فارجعوا عند التنازع، فإنه هو الحق الذي تعبدُّونَ به، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا فاعلموا أنني ممتحنكم بتنزيله لا لتأخذوا الهدى منه، ولكن لتجتهدوا في تحريفه على شواد اللّغة، ووحشى الألفاظ وغرائب الكلام.

وما أشبه حال هؤلاء بقوله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قِبْلَكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أَمْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا 60 وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنِكَ صُدُودًا 61 فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا} [النساء: 61].

فإن هؤلاء إذا دُعُوا إلى ما أنزل الله من كتاب وإلى الرسول أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إننا قدمنا علمًا وعملًا بهذه الطريق التي سلكناها والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية:

فيقال لهم: يا سبحان الله، كيف لم يقل الرسول يوماً من الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، لكن اعتقادوا الذي تقتضيه مقاييسكم فإنه الحق.

ثم الرسول قد أخبر بأن أمته ستفترق ثلاثة وسبعين فرقة، ثم قال "إني تاركُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله".

وقال في صفة الفرقة الناجية "من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي" فهل قال: من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال وإنما الهدى رجو عكم إلى مقاييس عقولكم؟!

و هذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب "التأويلات" وذكرها الفخر الرازبي في كتابه الذي سماه "تأسيس التقديس" ويوجد كثير منها في كلام كثير غير هؤلاء [كالمعتزلة] مثل أبي علي الجبائي، وعبد الجبار بن أحمد الهمданى وأبى الحسين البصري، التي ذكرها بشر المريسي في كتابه.

التأويل بين الخلف والسلف

ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ فيعطّلون أسماءه الحسنى وصفاته العلا، ويحرّفون الكلم عن مواضعه، فإن من حرّفوا لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالخلق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل، مثلوا أولاً وعلموا آخرًا، فهذا تشبيه وتمثيلٌ منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاته، وتعطيلٌ لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة به.

ثم المخالفون للكتاب والسنّة وسلف الأمة من المتأولين في أمر مريح، فإن من ينكر الرواية زعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطرب إلى التأويل، ومن يحيل أن الله علماً وقدر يقول: إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل، بل من يذكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة: يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطرب إلى التأويل، ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش: يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطرب إلى التأويل.

ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو أوب ما يدعى الآخر: أن العقل أحاله.

يا ليت شعري! بأي عقل يُوزَن الكتاب والسنّة، فرضي الله عن مالك بن أنس حيث قال "أوكلما جاءنا رجلٌ أجدلُ من رجلٍ تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجَدَلَ هؤلاء، وكلُّ من هؤلاء مخصوصٌ بممثلٍ ما خُصِّمَ به الآخر، فكلُّ من ظنَّ أن غير الرسول والسلف أعلم بهذا الباب، أو أكمل بياناً أو أحرص على هدى الخلق، فهو من الملحدين لا من المؤمنين"⁽¹⁾.

أصل الدين وقواعد

قال "ودين الإسلام مبني على أصلين، على أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيء، وعلى أن يُعبد الله بما شرعه على لسان نبيه ﷺ. وهذا مما حقيقة قولنا "لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله" فالإله هو الذي تأله القلوب عبادة واستعاناً ومحبة وتعظيمًا وخوفاً ورجاءً وإجلالاً وإكراماً.

والله عز وجل له حق لا يشركه فيه غيره فلا يُعبد إلا الله، ولا يُدعى إلا الله، ولا يطاع إلا الله.

والرسول ﷺ هو المبلغ عن الله تعالى أمره ونهيء وتحليله وتحريميه، وهو واسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيء.

وأما في إجابة الدعاء، وكشف البلاء . . . فالله تعالى هو الذي يسمع كلامهم ويرى مكانهم ويعلم سرهم ونجواهم، وهو سبحانه قادر على إنزال النعم، وإزالة الضرر والسمّ من غير احتياج منه إلى أن يعرّفه أحد أحوال عباده، أو يعينه على قضاء حوائجه . . . وهو سبحانه لا يشغله سمع كلام هذا ولا يغطّه اختلاف أصواتهم ولغاتهم، بل يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، ولا يبرمه إلحاد الملحدين بل يحب الإلحاد في الدعاء"⁽¹⁾.

⁽¹⁾ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة 180 - 181 ط: مكتبة دار البيان - دمشق .

ضوابط التكفير عند ابن تيمية

تبطل دعوة تكفирه للمخالفين في مسألة الطلاق

وزعم الحبشي أن ابن تيمية يكفر مخالفيه في مسألة الطلاق⁽¹⁾ فهذا كذب واضح يردّه قول ابن تيمية فقد كان يثني على المخالفين له في مسألة الطلاق ويقول بأن الذي قالوه باجتهادهم لهم سعي مشكور وعملٌ مبرور، وهم مأجورون على ذلك مثابون عليه، وأن من أصحاب منهم الكتاب والسنة فله أجران، ومن أخطأ فله أجر . . . وهم مطيعون الله ورسوله فيما أتوا به من الاجتهد المأمورين به. ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها"⁽²⁾.

وكلامه هذا يفضح افتراء الحبشي وإلا فليخبرنا: أي قال ابن تيمية بتکفير مخالفيه في مسألة الطلاق؟ وقد دل كلام ابن تيمية على نقيض ذلك: بل قد قال ابن تيمية "لقد كنت دائمًا أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: "إذا أنا متُ فاحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في اليم، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين، فعلوا به ذلك، فقال الله له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشينك. فغفر له. قال: وهذا رجل شاك في قدرة الله وفي إعادته إذا دُرِيَ بل اعتقاد أنه لا يُعاد، وهذا كُفُرٌ باتفاق المسلمين لكن كان جاهلاً لا يعلم بذلك، وكان مؤمناً يخاف أن يعاقبه الله فغفر له بذلك"⁽³⁾.

قال: "والمتأنل من أهل الاجتهد الحرير على متابعة الرسول ﷺ أولى بالمفترة من مثل هذا"⁽⁴⁾.

وقال "ولا يجوز تکفير المسلم بخطأ أخطاء كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة"⁽⁵⁾. بل قد ذكر النزاع في كفر الخوارج والروافض وغيرهم من الفرق وقد خالفوا إجماع المسلمين في أمور العقائد بما بالك بالمخالف في الفروع⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ المقالات السننية 57 و 62 و 75.

⁽²⁾ مجموع فتاوى ابن تيمية 33 / 149 - 150 .

⁽³⁾ علق الحافظ ابن عبد البر على هذا الحديث بقوله "وأما جهل هذا الرجل في هذا الحديث بصفة من صفات الله في علمه وقدره فليس ذلك بمخرجه من الإيمان" (التمهيد 18/24) وفي هذا رد على من اشترط للإيمان حفظ ثلاث عشرة صفة كما يدعى الحبشي.

⁽⁴⁾ مجموع الفتاوى 3/330 .

⁽⁵⁾ الفتاوى 3/283 .

⁽⁶⁾ الفتاوى 23 / 346 و 229 .

نقده لأهل التكفير

قال ابن تيمية "وطريقة أهل البدع في التكفير الذين يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة لكتاب والسنة وإجماع الصحابة ويکفرون من خالفهم في بدعتهم".

فالرأفة ابتدعوا تفضيل عليٰ على الثلثة وتقديمه في الإمامة، وكفروا من خالفهم.

وكذلك الجهمية ابتدعت نفي الصفات وجعلوا يکفرون من لم يوافقهم على ذلك.

وأنئمة السنة والجماعة وأهل الإيمان فيهم:
- العلم، والعل، والرحمة.

فيعلمون الحق الذي يکونون موافقين به لكتاب والسنة سالمين من البدعة، ويعدولون على من خرج منها ولو ظلمهم كما قال تعالى {كُوئُوا قَوْمَيْنَ لِلَّهِ شَهَادَاءِ بِالْقَسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلنَّقْوَىِ}.

ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، ولا يقصدون الشر لهم ابتداءً، بل إذا عاقبواهم، وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله الله، وأن تكون كلمة الله هي العليا.

فالمؤمنون أهل السنة أعمالهم خالصة الله تعالى، موافقة للسنة، وأعمال مخالفاتهم لا خالصة ولا صواب، بل بدعة واتباع الهوى، ولهذا يسمون "أهل البدع والأهواء".

فلهذا كان أهل العلم والسنّة لا يکفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يکفرهم. لأن الكفر حكمٌ شرعاً، فليس للإنسان أن يعاقب عليه، كمن كذب عليك وزنى بأهلك: ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرام.

وكذلك التكبير حق الله، فلا يکفر إلا من كفره الله ورسوله.

وأيضاً فإن تكبير الشخص المعين وجواز قتله موقف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يکفر من خالفها، وإلا؛ فليس كل من جهل شيئاً من الدين يکفر.

ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفافة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش، لمّا وقعت محنثهم:

"أنا لو وافقتم كنت كافراً، لأنني أعلم أن قولكم كفرٌ. وأنتم عندي لا تکفرون لأنكم جهال.
وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضائهم وشيوخهم وأمرائهم"⁽¹⁾.

(1) الرد على البكري 256 - 260 لابن تيمية.

فهكذا منهج هذا الرجل الفذ وطريقته الموزونة بميزان الكتاب والسنة لا تجد في كلامه ما تجده عند أهل الانحراف والظلم من العصبية والتجمي والانحراف عن السنة، حتى قال فيه الذهبي كلمته المشهورة "كان السنة نصب عينيه".

وقد انتقصه المتعصبون وشنعوا عليه ورموا بشتى التهم، وهذا من سلط الشيطان عليهم حيث زَيَّن لهم سبَّه وتکفیره بينما زَيَّن لهم الدفاع عن ابن الفارض وابن عربی بما أمكن من التأويل والتحيز والتکتم.

فوضى التكفير المتهور

وإذا كان موقف ابن تيمية من قضية التكفير على الوجه الذي حكيناه عنه فما هي موافق الناس من ذلك؟

إننا نعلم أن التكبير حق الله سبحانه وتعالى لا يجوز لأحد إخراج أحد من دين الله إلا ببينة ودليل يعذر بهما يوم القيمة عند الله. فإن المسلم قد يخرج من الدين بإخراجه منه من ليس عند الله كذلك.

قال رسول الله ﷺ "من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما" وفي رواية "أيما أمرئ قال لأخيه "كافر" فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال: وإن رجعت عليه"⁽¹⁾. فلا يجوز خروج هذه الكلمة (كفر) من فم أمرئ يتقي الله ويحتاط لدينه إلا بعد حذر شديد. إذ قد تكون سبباً في خروجه هو وأي خسارة أعظم من ذلك.

وليس خلق الله وصايا على دينه حتى يُخرجوا منه من يشاؤون ممن قد لا يستحقه، ثم يسكتون ويتغاضون عنم يشاؤون ممن يستحقه.

والتكفير لا يحكم عليه بلا أو نعم وإنما له ضوابط وشروط وفيه تفصيل بين ما يعذر فيه صاحبه بالجهل وبين ما لا يعذر فيه، وبين ما يكفر فيه صاحبه بالضرورة وبين ما لا يكفر فيه بالضرورة.

غفلة الناس عن معرفة ضوابط التكفير

ولا يبدون أن عند الحبسي وأتباعه مراعاة لضوابط التكفير ولا مسامحة ولين في التعامل مع المخالف، بل يلاحظ فيهم جانب الفظاظة والقسوة والشدة وهذا حاصل ثمرة علم الكلام وأهله كما وصفهم أبو حنيفة بأنهم قساة قلوب: ليس عندهم ورع ولا تقوى. ومن شاء الوقوف على سلوكيات هذا الرجل فليستمع ولو إلى شريط واحد من أشرطته ليرى فيها الطعن واللعن بالعلماء المخالفين له في المذهب.

وقد حكم بانسلاخ أحد مخالفيه من الدين (خالد كنعان) فقال له "ولعلك منذ أربعين سنة انحرف قلبك أم منذ كم؟ فعار عليك أن تدعى الإسلام بعد هذا الكفر الذي كفرت به، ثم لما جاءك المسمى القلبي انسلاخت منه كما انسلاخت عن حكم تكير ساب النبي؟ وهذا تسجيل آخر على نفسك بأنك منسلخ عن السلف والخلف"⁽¹⁾.

وليس من خلاف بين الفريقين في حكم ساب النبي ﷺ سبأ صريحاً، ولم يكن الخلاف حول حكم شاتم الرسول ﷺ وإنما حول قصة ذاك الرجل الذي قال للنبي ﷺ "إعدل يا محمد" بالكفر؟ ومحل الخلاف في كون هذه الكلمة سبأ صريحاً أم لا. وإذا كان كذلك فلماذا لم يقتله النبي ﷺ ردّه، علماً بأن هذا الرجل "ذا الخويصرة" كان له يد في بعض الفتوحات الإسلامية كالعراق والأهواز، وقد قيل إنه انضم بعد ذلك إلى صفوف الخوارج، لكن الخوارج أنفسهم لم يكفروا على الراجح من قول أهل

⁽¹⁾ البخاري (6103 و 6104 و 6105) و مسلم (80).

⁽¹⁾ صريح البيان 23 و 29.

العلم⁽²⁾. فلا يبدو من الصحابة أنهم عاملوه معاملة الكافر المرتد. واستغل الحبشي هذه الحادثة وحكم على خالد كنعان بالكفر والانسلاخ من الدين.

وهو متناقض شديد التناقض فقد سأله خالد كنعان نفسه عن التلفظ بالأقوال الكفريه فقال "الحكم لي على هذه الألفاظ الكفريه وإنما يكون من خلال فهم الشخص لها فإن كان يفهم منها كفراً فلا نكفره"⁽³⁾. مع أنه دائم التكفير لمن يخالفه ولو كان في مسائل بسيطة.

الحافظ يشهد بأن أهل الكلام تكفيريون

ولقد أبدى الحافظ ابن حجر استياءه من ذلك فقال "والعجب من من اشترط ترك التقليد من أهل الكلام ينكرون التقليد وهم أول الداعين إليه . . فالأمر لهم إلى تكبير من قلد الرسول ﷺ في معرفة الله تعالى. وكفى بهذا ضلالاً، ويلزم من ذلك إلى القول بعدم إيمان أكثر المسلمين"⁽⁴⁾. ونقل عن البيهقي في كتاب الاعتقاد أن غالباً من أسلم من الناس في عهد النبي ﷺ لم يعرفوا إثبات الصانع وحدوث العالم عن طريق استدلال المتكلمين وذكر أن هذا لا يكون تقبلاً وإنما اتباعاً⁽⁵⁾. وأثبت الحافظ أن هذا الاشتراط الذي عرفه المتكلمون إنما قدروا به المعتزلة الذين سبقوهم إلى تكبير من لم يعرف الله عن طريق الاستدلال. قال "وذهب أبو هاشم من المعتزلة إلى أن من لم يعرف الله بالدليل فهو كافر "⁽⁶⁾.

(2) فتح الباري 293/12

(3) شريط سؤالات عبد الله الحبشي بداية الوجه الأول.

(4) فتح الباري 354/13 .

(5) فتح الباري 353/13 .

(6) فتح الباري 350/13 .